
الطريق إلى الجنة
كتبه
مسعد حسين محمد
شبكة الألوكة
www.alukah.net

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي سهل لعباده المتقين إلى مرضاته سبيلًا، وأوضح لهم طريق الهداية وجعل اتباع الرسول عليها دليلًا، واتخذهم عبيدًا له فأقروا له بالعبودية ولم يتخذوا من دونه وكيلًا، وكتب في قلوبهم الإيمان لما رضوا بالله ربًا وبالإسلام دينًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أشهد بها مع الشاهدين، وأتحملها عن الجاهدين، وأدخرها عند الله عدة ليوم الدين.

وأشهد أن محمدًا عبده المصطفى، ونبيه المرتضى، ورسوله الصادق المصدوق، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فمن فضل الله علينا، ومن عناية الله بنا أن جلي لنا أمر الجنة ووصف نعيمها، وأكَّد خلودها وكمالها من غير نكد ولا تنغيص ولا نقص، ولا حر ولا برد، ولا تعب ولا صخب ولا نصب، ولا عجز ولا هرم.

فالجنة.. ما الجنة، والفردوس ما الفردوس، لا مثيل لها، فهي نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مضطرب، وثمرة نضيجة، وحلل كثيرة، وزوجة حسناء جميلة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة، في محلة عالية بهية، في جنة عدن عند مليك مقتدر.

بناها الله تَعَالَىٰ لعباده المتقين أحسن بناء، وملأها من كرامته ورحمته ورضوانه؛ بناؤها أحسن بناء وأجمل بناء وأتم بناء وأكمل بناء، كيف لا يكون ذلك، وهي لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت والجوهر، وترابها الزعفران، وسقفها عرش الرحمن، غرفها مبنية يُرى ظاهرها من باطنها، ويرى باطنها



من ظاهرها، من دخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، قال ﷺ: «**فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧][(١)].

وفي الجنة كل ما يريده المرء ويتمناه، بل وفوق ما يتمناه، وله فيها أيضًا ما تشتهيه نفسه وتلذُّ به عينه.

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
[الزخرف: ٧١]

وقال ﷺ: «**موضع سوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها**»[(٢)]، وكذلك من فضل الله علينا ومن عنايته بنا أن بين لنا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ الطرق والمسالك التي تدلنا وتهدينا إلى طريق الجنة، وفي هذا الكتاب «**الطريق إلى الجنة**» قمت بفضل الله وعونه بوصف الجنة وأهلها، والأعمال الصالحة التي تكون طريقًا للإنسان إلى الجنة، وقد استعنت بعد الله عز وجل ببعض الآيات الطيبات - وكلها طيب - ومجموعة من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وكذلك ببعض الآثار الطيبة سائلًا الله عز وجل أن يجعلني وإخواني المسلمين من سُكّان الفردوس الأعلى، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه
مسعد حسين محمد
حدائق كفر الدوار - البحيرة
في ١٤٣٢ - ٢٠١٣م

(١) صحيح: رواه مسلم [٢٨٢٥].

(٢) صحيح: رواه البخاري [٣٢٥٠].



صفة الجنة وأصناف نعيمها

قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَا ملخصه:

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها، فإن من بعد من أحدهما استقر لا محالة في الأخرى، فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم، واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم لأهل الجنان، وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم، فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم، فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم، يسقون من رحيق مختوم، متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل، ومحفوفة بالغلمان والولدان، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، آمنات من الهرم مقصورات في الخيام، ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين، ويطوف عليهم خُدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون، في مقام أمين في جنات وعيون، في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم، لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون، وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون، فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، لا يخافون فيها ولا يحزنون، وهم من ريب المنون آمنون، فهم يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا، فيا عجبا ممن يؤمن بدار هذه صفتها، ويوقن بأنه لا يموت أهلها، ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها، ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها، ويهنأ بعيش دونها، والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرًا بأن يهجر الدنيا بسببها، وأن لا يؤثر عليها ما التصرم

والتنغص من ضرورته - كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور متمتعون، لهم فيها ما يشتهون، وهم بفناء العرش يحضرون، وإلى وجه الله الكريم ينظرون، وينالون بالنظر إلى وجه الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون، وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون، وهم من زوالها آمنون، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ينادي مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قول الله** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾»(١) [الأعراف: ٤٣].

الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وإن موضع سَوطٍ منها خير من الدنيا وما فيها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله** عَزَّ وَجَلَّ: **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»، مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧](٢).

وثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، فليس العسل كالعسل، وليس الخمر كالخمر، وليس العنب كالعنب.

ومهما قرأت في وصف نعيمها وخطر نعيمها ببالك من متاعها وعجائبها فهي أعجب مما قرأت وأطيب مما خطر على قلبك،وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢٩٩٧ - ٢٩٩٩) باختصار وتصرف والحديث رواه مسلم (١٧/ ١٧٥)، والترمذي (١٢/ ١٢٤، ١٢٥).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦/ ٣١٨)، ومسلم (١٧/ ١٦٦): وابن ماجه.



ﷺ: **«لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب»**[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكيف يقدر قدر دار خلقها الله بيده وجعلها مقرًا لأحبابه وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب أو فضة لا من الحطب والخشب، وإن سألت عن ثمارها فأمثال القلال، ألين من الزبد وأحلى من العسل، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى.

ابتداء: أين الجنة؟

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦/ ٣٢٠)، ورواه مسلم بلفظ: «لغدوة في سبيل الله أو روحة» (١٣/ ٢٦)، والترمذي (٧/ ١٥٥).

ففي الحديث: **«ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّماءِ السَّابعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحَمَّدٌ** ﷺ **قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيهِ فَفُتِحَ لنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ** ﷺ **مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا»**.

صحيح: البخاري [٧٥٠٧]، ومسلم [١٦٢].



إذا سألت عن الجنة فهي فوق السماء السابعة؛ وذلك لما تقدمت الإشارة إليه من أن النبي ﷺ رآها ليلة المعراج بعد أن تجاوز السماء السابعة، فقد رأى سدرة المنتهي، وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٤ - ١٥].

فوق الجنة عرش الرحمن كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ وقد تقدم، ففيه أن النبي ﷺ قال في شأن الفردوس: «**وفوقهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ**».

ورائحة الجنة تُوجد عن بُعد وتُشمُّ كذلك عن بُعد:

ففي الحديث: «**وإنَّ رِيحَها ليُوجَدُ منْ مَسِيرةِ أربَعِينَ عامًا**»[1].

ولقد قال أنس بن النضر يوم أُحُد: «إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا دُونَ أُحُدٍ»[2]. وهناك روايات أخرى.

فمن الناس من يشم رائحة الجنة عن بُعدٍ، ومنهم من يشمها عن مسافة أقرب وأقرب.

وأهل الجنة يعرفونها قبل دخولها:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٦].

أما عن أسماء الجنة وما أطلق عليها فمن ذلك:

دار السلام: قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

قال بعض أهل العلم: سميت بذلك؛ لأنها دار السلامة من كل بليةٍ وكل آفة وكل مكروه.

---

(١) صحيح: رواه البخاري [٣١٦٦].

(٢) صحيح: رواه البخاري [٢٨٠٥].







وقيل أيضًا: هي دار الله[١]؛ لأن الله هو السلام، فالسلام اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

ولأن أهل الجنة دائمًا يُلقَّون فيها التحية والسلام، كما قال تَعَالَى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وكما قال تَعَالَى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

وكما قال تَعَالَى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وكما قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥ - ٢٦]، وهي أيضًا جنة الخلد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان: ١٥].

وسميت بهذا الاسم؛ لأن أهلها يُخلَّدون فيها ولا يتحولون عنها، ولا يبغون عنها حولًا (أي: تحولًا).

ولأن نعيمهم فيها لا ينقطع ولا يفني ولا يبيد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وتسمى أيضًا جنة المأوى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٤ - ١٥].

قيل: لأن أرواح الشهداء وأرواح المؤمنين تأوي إليها.

---

(١) وفي الحديث: «فأستأذن على ربي في داره». رواه البخاري [٧٤٤٠].



ومن أسمائها دار المُقامة:

قال أهل الإيمان: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر: ٣٤ - ٣٥].

وقيل عنها دار المقامة، والله أعلم؛ لكون أهلها يقيمون فيها ويستوطنونها ولا يخرجون منها.

ومنها أيضًا جنات عدن:

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف: ١٢].

وقوله: عدن، أي: إقامة.

ومنها مقعد صدق:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥]

ومنها قدم صدق:

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢].

ويطلق عليها أيضًا: المقام الأمين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

لكونه آمنًا من كل آفةٍ وسوء ومكروه.

وهي جنات النعيم أيضًا:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨].

وذلك لما فيها من صنوف النعيم.

والفردوسُ جنةٌ من الجنان وهي أفضلها وأعلاها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

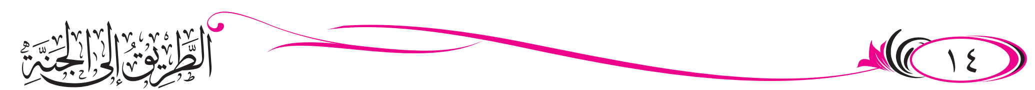
وقد قال النبي ﷺ لأم حارثة: «**إِنَّها جِنَانٌ وإِنَّ ابْنَكِ قد أَصابَ الفِرْدَوْسَ مِنْهَا**»(١).

وقال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**».



(١) صحيح: رواه البخاري، «فتح» (٦/ ١١).





دخول أهل الجنة الجنة

يُحشرون إليها وفودًا مكرمين:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

ويُساقون إليها جماعات جماعات:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣].

ثم إن الجنة تقترب من أهلها وتشتاق إليهم، وتفتح لهم أبوابها وتستقبلهم الخزنة بحفاوة وترحيب، فقد قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]. **أي:** أنها أُدنيت وقُرِّبت.

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠].

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

أما عرض الجنة وطولها:

فطولها لا يعلمه إلا الله عز وجل، أما عرضها فقد قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]. فإذا كان هذا العرض فما ظنك بالطول.

أما عن بناء الجنة:

فلبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وهناك جنتان بناؤهما كله من ذهب، وأخريان بناؤهما كله من فضة.





ففي الحديث وسيأتي – إن شاء الله تَعَالَىٰ -: «**جَنَّتَانِ مِن ذَهبٍ آنِيتُهما وَمَا فِيهِمَا وجَنَّتان مِن فِضَّةٍ آنيتهُمَا وَمَا فِيهِمَا**».

وعند ابن راهويه[(١)] بسندٍ قد يُحسَّن مثله عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله، ما بناء الجنة؟ قال: «**لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك، وتربتها الزغفران، وحصبتها اللؤلؤ، مَنْ يدخلها ينعم لا يبأس، ولا يخرق ثيابه، ولا يبلى شبابه**».

أما عن أبوابها فهي ثمانية أبواب:

ففي «الصحيح»[(٢)] من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «فِي الجَنَّةِ ثَمانِيةُ أبواب».

وفي «صحيح مسلم» من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ - ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»[(٣)].

ومنها باب للصائمين، وباب للمجاهدين، وباب للصلاة، وباب للصدقة... وغير ذلك.

ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنْ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ – يَعْنِي: الْجَنَّةَ – يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ**

(١) **صحيح**: «مسند إسحاق» (١/ ٣١٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٢٥٧].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٣٤].



كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ وَبَابِ الرَّيَّانِ».

فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ**»(١).

أما عن عدد الجنات:

فالذي وقفت عليه بالدليل أنها في الجملة أربع؛ وذلك لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢].

ولقول النبي ﷺ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»(٢)، وقد تكون والله أعلم جنات كثيرة ومتعددة.



(١) صحيح: رواه البخاري [٣٦٦٦]، ومسلم [١٠٢٧].
(٢) صحيح: رواه البخاري [٤٨٧٨]، ومسلم [١٨٠].







عدد درجات الجنات

قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٥ - ٧٦].

وقول النبي ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مَائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ**»(١).

وقوله ﷺ: «**فَإِنَّكَ لَنْ تَسجُدَ لله سجْدَةً إلا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً**»(٢).

وقوله ﷺ: «**يُقالُ لصاحب القُرآنِ اقرَأ وارتَقِ ورَتِّل، فإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقرؤُهَا**»(٣).

وفي الجنة منزلةٌ لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله:

يرجوها رسولنا ﷺ لنفسه، ألا وهي الوسيلة؛ ففي الحديث: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثلَ ما يَقُول، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»(٤).

وإذا دخل أهل الجنة الجنة وجدوا تربتها - ترابها - مسكًا خالصًا أبيض، ومنها مواطن: تربتها زعفران؛ أما الحصى الذي بها فهو قطع كبيرة من لؤلؤ. فلقد سأل النبي

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٤٨٨].

(٣) **إسناده حسن**: أخرجه أبو داود (٢/ ١٥٣)، والترمذي (٨/ ٢٣٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (مع النووي ٤/ ٨٥)، وجاء ذكر الوسيلة أيضًا عند البخاري (مع الفتح ٨/ ٣٩٩).



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ»(١).

وفي بعض الروايات: أن الذي سأل هو ابن صياد، والذي أجاب هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأمر في ذلك قريب.

ووجدوا فيها أيضًا قطع اللؤلؤ الكبيرة العظيمة:

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ(٣) اللُّؤْلُؤَ وإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ**».

أنهار الجنة:

ووجدوا فيها أنهارًا لا يعلم عددها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وفي آية أخرى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

ومن هذه الأنهار:

أنهارٌ من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٩٢٨].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٤٩]، ومسلم [١٦٣].

(٣) يعني - والله أعلم - اللؤلؤ الكبير، **فالجنابذ** جمع جنبذة وهي كل شيء مرتفع مستدير، وفي الحديث الخيمة درة مجوفة.

وفي الحديث[(١)] عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ وَبَحْرَ[(٢)] الْعَسَلِ وَبَحْرَ اللَّبَنِ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُم اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»[(٣)].

وفيهما نهران ظاهران ونهران باطنان: ألا وهما سيحان وجيحان والنيل والفرات.

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**سَيْحَانُ وجَيْحَانُ والفُراتُ والنيلُ كلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ**»[(٤)].

وهذان النهران الظاهران الباطنان يخرجان من ساق سدرة المنتهى:

ففي «الصحيحين»[(٥)] من حديث مالك بن صعصعة قال: قال النبي ﷺ: «**بيْنَا أَنَا نائم عِندَ البَيْتِ...**» فذكر الحديث وفيه: «**... وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالُ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَار: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ**».

وفي الجنة نهر الحياة:

أخرج البخاري ومسلم[(٦)] من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ

---

(١) صحيح لشواهده: رواه الترمذي [٢٥٧١].
(٢) والبحر يُطلق أحيانًا على النهر؛ وذلك لاتساعه، فالبحر يطلق على الشيء الواسع، ومنه الحديث في شأن الفرس: «وإن وجدناه لبحرًا» أي واسع الخطو سريع.
(٣) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حادي الأرواح».
وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها.
(٤) صحيح: رواه مسلم [٢٨٣٩]. (٥) صحيح: رواه البخاري [٣٢٠٧].
(٦) صحيح: رواه البخاري [٧٤٣٩]، ومسلم [١٨٣].



قال:.. فذكر الحديث وفيه: «... **فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**».

ومما ورد في وصف الكوثر:

ما أخرجه مسلم(١) في «صحيحه» من حديث أنس قال: بَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣].

ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي** عَزَّ وَجَلَّ **عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ؟**».

وفي الجنة تُرع كذلك:

فعند أحمد بسند صحيح من حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مِنبَرِي هَذَا عَلَى تُرعةٍ مِنْ تُرعِ الجنَّةِ**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم [٤٠٠]

(٢) حسن: رواه أحمد [٨٧٠٦]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٣٤٧].







وفي الجنة عيون كذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥].

ومن هذه العيون السلسبيل، ومنها التسنيم، ومنها الكافور.

قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧ - ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧ - ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥ - ٦].

وقد قال بعض أهل العلم: إن هذه العيون المذكورة - تسنيم، وسلسبيل، وعين الكافور - كلها معدة للمقربين، ولكنها تخلط وتمزج لأصحاب اليمين، فالمقربون منها صرفًا خالصةً صافيةً لم تُشب - أي: لم يُخلط - بغيرها. أما أصحاب اليمين فتُمزج لهم هذه العيون بغيرها، ودل على ذلك ما ذكر من الآيات الكريمات، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٧].

أي: وخليطه من تسنيم، وإذا سألت عن التسنيم؟ وجدت جوابًا: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٨]. أي: يشرب منها المقربون.

فهي تمزج لأصحاب اليمين - الذين هم هاهنا الأبرار - مزجًا ويشرب بها المقربون صرفًا.

هذا؛ ومما ورد في ذكر العيون أيضًا قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦].



وفي الجنة روضات:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَا بينَ بَيْتِي ومِنبرِي رَوْضةٌ مِن رِياضِ الجنَّةِ**»(١).

وشجر الجنة كبير وظله ممدود:

قال تعالى: ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾ [الواقعة: ٣٠]، ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ فِي الْجنة لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لَا يَقْطَعُهَا**»، واقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾ [الواقعة: ٣٠].

وفي ما ورد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا**»(٣).

فاكهة الجنة وثمرها:

أما عن فاكهة الجنة وثمرها، فالجنة فيها من كل صنوف الفاكهة ما علمنا منها وما لم نعلم. وقد قال تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]، قيل: آمنين من انقطاعها ومضرتها.

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾ [ص: ٥١].

---

(١) صحيح: رواه البخاري [١١٩٥]، ومسلم [١٣٩٠].

(٢) صحيح: رواه البخاري [٣٢٥٢]، ومسلم [٢٨٢٦].

(٣) صحيح: رواه البخاري [٤٨٨١]، ومسلم [٢٨٢٨].

وقوله: «المضمر» بضم الميم الأولى وتشديد الميم الثانية صفة للخيل المعلوف بطريقة معينة، وهي هنا تعلف حتى تسمن ثم لا تعلف إلا قوتًا لتخف.

وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة: ٣٢ - ٣٣] أي: لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع من أرادها فثمارها قريبة دانية يقطفون منها كيف شاءوا.

قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾ [الحاقة: ٢٣]، قال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾ [الإنسان: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ﴾ [الرحمن: ٥٤]، أي: أن ثمر الجنتين متدل وقريب.

في الجنة السدر المخضود، والمخضود الذي قد خضد[1] شوكه أي نُزع وقطع فلا شوك فيه، والطلح المنضود - وهو الموز - ، فيها ﴿وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

فيها زرع ونخيل، قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ [الرحمن: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢].

وعمومًا ففيها من كل الثمرات، قال تعالى: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [محمد: ١٥]

قال ابن القيم رحمه الله: وأما الطلح، فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز: وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

وقالت طائفة أخرى: بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب، قال حاديهم:

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالا   غَدًا تَرَيْنَ الطَّلْحَ وَالْجِبَالا

ولهذا الشجر نور ورائحة طيبة وظل ظليل، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك، وقال ابن قتيبة: «هو الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره، فليس له ساق بارز».

(١) وقيل: مخضود بمعنى موفور حملًا، أي أن الشجر قد امتلأ ثمارًا.







وقال مسروق: الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها، وأنهارها تجري في غير أخدود».

وقال الليث: «الطلح شجر أم غيلان له شوك أحجن من أعظم العضاة شوكًا وأصلبه عودًا وأجوده صمغًا». قال أبو إسحاق: «يجوز أن يعني به شجر أو غيلان؛ لأن له نورًا طيب الرائحة جدًّا، فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا، فإنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به؛ لحسن نضده وإلا فالطلح في اللغة: هو الشجر العظام من شجر البوادي - والله أعلم -».

والجنة بها غرفٌ وبيوت ومساكن وقصور، وكذلك بها خيام:

أما الغرف: فقد قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥]

وفي الحديث[(١)] عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِم كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ[(٢)] مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «**بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**».

أما البيوت: فقد قالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

(١) **صحيح:** رواه مسلم [٢٨٣١]، والبخاري [٣٢٥٦].

(٢) **الدري:** العظيم شديد الإضاءة، **والغابر:** الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون.





ولقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ بَنَي لله بَيْتًا بَنَي الله لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ**»[١]. وفي رواية: «**مسجدًا**»، والحديث بهذا متواتر[٢].

أما المساكن: فقد قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ [الصف: ١٢].

أما القصور: ففي «الصحيح»[٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّة، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ. فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدبرًا»، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ الله؟.

وقد أمر النبي ﷺ[٤] أن يُبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. أما الخيام: فقد قال تَعَالَىٰ: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُها سِتُّونَ مِيلًا لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا**»[٥].

وأهل الجنة ينزلون منها حيث شاءوا، ويتبوءون منها حيث أرادوا: ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤].

وفي الجنة كنوز لمن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله:

كما في «الصحيح» من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد قال له النبي ﷺ: «**أَلا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ** - أَوْ قَالَ: عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ-»، فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله**»[٦].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٤٥٠]، ومسلم [٥٣٣]. (٢) أعني أنه في أعلى درجات الصحة.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٣٢٤٢]، ومسلم [٢٣٩٥].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٣٨٢٠]، ومسلم [٢٤٣٢].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٣٢٤٣]، ومسلم [٢٨٣٨].

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (مع النووي ١٧/ ٢٧)، وللحديث طرق أُخر.



سُرر الجنة وفرشها ووسائدها:

أمَا عن السُّرر والفرش، فالسُّرر مرفوعة عالية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ [الغَاشِيَة: ١٣]

وهي مصفوفة كذلك، ليس بعضها خلف بعض، ولا بعيدًا عن بعض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطُور: ٢٠].

وهي موضونة أيضًا – أي: منسوجة – وقيل: مرصعة بالجواهر.

وهناك أيضًا الأرائك: وهي الأسرة – جمع سرير – في الحجال، وأشبه ما يرى في زماننا به مع الفارق بين متاع الدنيا والآخرة – السرير الذي مع الناموسية.

أما النمارق: وهي الوسائد، فهي كثيرة مصفوفة.

أما السجاجيد المفروشة على الأرضيات: فقد قال تَعَالَىٰ: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (١) [الرَّحمٰن: ٧٦]، وهذه هي البُسط.

أما عن آنية الجنة وقدورها وصحافها:

ففيها الآنية والصحاف، وفيها الأكواب والأباريق والكؤوس، وفيها آنية من ذهب، وآنية من فضة.

وقد تقدم الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«جَنَّتَانِ مِن ذَهَبٍ آنِيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وجَنَّتَان من فِضَّةٍ آنيتهُمَا وَمَا فِيهِمَا»** (٢).

وفي الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ»** (٣).

---

(١) ولقد ورد في «صحيح البخاري» [٤٨٥٨] أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة رؤيته لجبريل أنه صلوات الله وسلامه عليه رأى رفرفًا قد سد الأفق.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٥٨٣١]، ومسلم [٢٠٦٧].





وقال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٥ - ١٦]

ويقول تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الواقعة: ١٧ - ١٨]

أما عن لباس أهل الجنة وثيابهم: فقد قال تعالى: ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣]، وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ في الدُّنْيَا لم يَلبسْهُ فِي الآخِرَةِ**»[(١)].

أما عن ألوان الثياب فمنها الأخضر:

قال تعالى: ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ [الإنسان: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا ﴾ [الكهف: ٣١].

وفي الجنة مناديل:

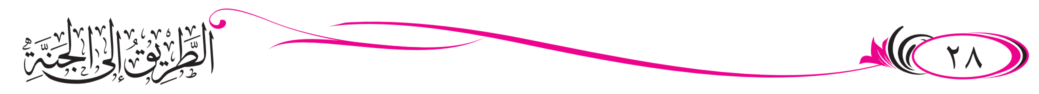
أخرج البخاري[(٢)] من حديث أنس رضي الله عنه قال: أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم جُبَّةُ سُنْدُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا، فَقَال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا**».

وفي رواية عند البخاري[(٣)] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أُتِيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بِثَوبٍ مِنْ حَرِيرٍ فَجَعَلُوا يَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهِ وَلِينِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذ فِي الْجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا**».

(١) صحيح: رواه البخاري [٥٨٣٢]، ومسلم [٢٠٧٣].
(٢) صحيح: رواه البخاري [٣٢٤٨]، ومسلم [٢٤٦٨].
(٣) صحيح: رواه البخاري [٣٢٤٩].







أما عن الحلي:

فلقد قال تَعَالَىٰ: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣].

أما عن طعام أهل الجنة وشرابهم:

فاعلم أنه ليس في الجنة جوع ولا عُري ولا ظمأ ولا حر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٨ - ١١٩].

وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد النون:

ففي «الصحيح»(١) أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأكلُهُ أهلُ الجنَّةِ زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ**».

وفي «صحيح مسلم»(٢) أن يهوديًّا سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «**زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ**»، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «**يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا**»، قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا**»، قَالَ: صَدَقْتَ.

وفيها لحمٌ، ولحم طير كذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الطور: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة: ٢١]، وتقدم أن فيها أسماكًا وحيتانًا، فتقدم أنهم يأكلون أول ما يأكلون زيادة كبد النون، وبعد ذلك يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها.

أما صنوف الفاكهة:

فكلها هنالك بالجنة يتنعم بها أهلها كيف شاءوا.

---

(١) صحيح: رواه البخاري [٣٣٢٩].

(٢) صحيح: رواه مسلم [٣١٥].





كما قال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢].

وكما قال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

وكما قال: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧].

فكل صنوف الفاكهة موجودة، التي عرفناها والتي لم نعرفها.

وكذلك كل صنوف الحلوى، وما يستلذ به من الطعام والشراب فهنالك بالجنة، إذ الله قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

وعمومًا فلهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم وهم فيها خالدون، وكما قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

ففي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «**تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**بَلَى**»، قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِي ﷺ إِلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالَامٌ وَنُونٌ قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا.

وأهل الجنة يتلذذون بطعامهم وشرابهم:

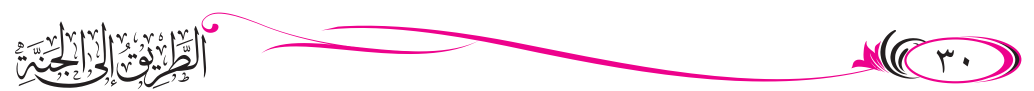
فقد قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ [الحاقة: ٢٤].

ورزق أهل الجنة يأتيهم فيها بكرةً وعشيًا:

قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].







ويأتيهم كذلك في كل وقت وحين، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾

[يس: ٥٧]









أما عن نساء أهل الجنة

فقد جاء في شأنهن ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [النساء: ٥٧] قيل: مطهرة من الحيض والنفاس والمذي والمني والبول والتغوط والنخامة والبزاق.

وقيل: مطهرة من الإثم والأذى، وقيل: مطهرات من الغلّ والحقد والحسد والغرور.

وجاء في وصفهن أنهن حور عين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٦].

وجاء في وصفهن أيضًا:

أنهن ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦]؛ وقوله: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ **أي:** غاضات البصر إلا على الأزواج، فلا ينظرن إلى غير الأزواج.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ **أي:** لم يفض بكارتهن بجماع إنس قبلهم ولا جان.

وجاء في وصفهن أيضًا:

أنهن ﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، **أي:** مقيمات في الخيام لا يحببن كثرة الخروج[1].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله: وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع: **أحدها**- هذا، **والثاني**- قوله تعالى في «الصافات»: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات: ٤٨].
والثالث- قوله تعالى في «سورة ص»: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص: ٥٢].
=






وجاء في وصفهن أيضًا:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨].

وجاء في وصفهن:

أنهن ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: ٧٠] قيل في تفسيرها: خيرات الأخلاق، حسان الوجوه. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حادي الأرواح»:

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: ٧٠]، فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيرة كسيدة ولينة، وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم حسان الوجوه.

= والمفسرون كلهم على أن المعنى: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم.
وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن، وهذا صحيح من جهة المعنى، وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل كحسان الوجه وأصله قاصر طرفهن أي ليس بطامح متعد.
وقال أيضًا:
قال تَعَالَىٰ في وصفهن: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢]، المقصورات المحبوسات.
قال أبو عبيدة: خدرن في الخيام، وكذلك قال مقاتل: محبوسات في الخيام، وفيه معنى آخر وهو: أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يردن غيرهم وهم في الخيام، وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم. ذكره الفراء.
قلت: وهذا معنى: ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ على هذا القول: صفة الحور أي هنَّ في الخيام.
وليس معمولًا لمقصورات وكأن أرباب هذا القول فسروا من أن يكن محبوسات في الخيام لا يفارقنها إلى الغرف والبساتين.
وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا: بأن الله سُبْحَانَهُ وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات؛ وذلك أكمل في الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمتنع أن يخرجن في سفر وغيره إلى متنزه وبستان ونحوه، فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت، ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها.



وجاء في وصفهن:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة: ٣٥]، قيل: المعنى خلقناهن خلقًا جديدًا.

وقيل ذلك بعد أن كُنَّ في الدنيا عُجزًا شمطًا أنشأهن الله إنشاءً بعد الكبر والهرم الذي كان في الدنيا، فأصبحن أبكارًا بعد أن كُنَّ ثيبات في الدنيا، وأصبحن حسناوات بعد أن كن دميمات، وأصبحن شابات بعد أن كن عُجزًا.

وجاء في وصفهن: قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٦] **أي:** فصيرناهن أبكارًا بعد أن كُن ثيبات.

وقال تَعَالَىٰ في وصفهن أيضًا: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧]، **أي:** متحببات إلى أزواجهن، محسنات للتبعل، مطيعات للأزواج، وقوله: ﴿أَتْرَابًا﴾ **أي:** في سن واحدة.

وجاء في وصفهن كذلك: أنهن ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣]، **والكواعب:** هن النواهد جمع ناهدة، قيل: والناهد والكاعب هي التي تكعب ثديها وتفلك واستدار، فأصبح كالرمان ليست متدلية إلى أسفل.

وجاء في وصفهن أيضًا: من سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قوسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قيد - يَعْنِي: سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدنيا وَمَا فِيهَا**»(١).

أما عن عدد زوجات الرجل من أهل الجنة: فقد ورد فيها مما وقفت عليه ما يلي:

أولًا- قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لكُلِّ**

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٢٧٩٦].

امرئٍ مِنْهُمْ زَوْجتَانِ»[١]. وقوله ﷺ: «**للشَّهيدِ عِندَ الله ستُّ خِصالٍ... منها: ويُزَوَّجُ اثنتَينِ وَسَبعِينَ من الحُورِ العِينِ»**[٢].

وقوله ﷺ: «**إنَّ لِلْمؤْمِنِ في الْجنَّة لخيمة مِنْ لُؤْلُؤَة وَاحِدَةٍ مجوفة طُولُهَا سِتُّون ميلا، لِلْمؤْمِنِ فيهَا أَهْلُونَ يطوف عَلَيْهِمْ المؤمن فلا يرى بَعْضُهُمْ بَعْضا»**[٣].

وقد ورد أن الرجل في الجنة يُعطي قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة، ففي «المسند» وعبد بن حميد وغيرهما من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يَا أَبَا القَاسِمِ أَلَسْتَ تَزْعُم أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُون فيها وَيَشْرَبُونَ؟ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنْ أَقَرَّ لِي بِهَذِهْ خَصَمْتُهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَي قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ**»، قال: فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَة. قَالَ: فَقَال رَسُولُ الله ﷺ: «**حاجةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ فَإِذَا الْبَطْنُ قَدْ ضَمُرَ**»[٤].

أما عن الجماع: فقد تقدَّم أن الرجل من أهل الجنة يُعْطَى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة.

وأخرجه البزار وهو صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قيل: يا رسول الله، أنفضي إلى نسائنا في الجنة؟ قال: «**إي والذي نفسي بيده، إن الرجل ليُفضي في اليوم الواحد إلى مائة عذراء**»[٥].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.
(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [١٦٦٣]، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٣٢٤٣]، ومسلم [٢٨٣٨].
(٤) **صحيح**: رواه عبد بن حميد في «المنتخب» [٢٦٣]، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٧).
(٥) «كشف الأستار» (٤/ ١٩٨).







وقال بعض العلماء في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] إن منها جماع العذارى.

وهل تحمل النساء في الجنة؟

في الجملة ليس هناك حملٌ إلا إذا اشتهاه أهل الجنة.

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المُؤمِنُ إِذَا اشتَهي الوَلَدَ في الجنَّةِ، كَانَ حَملُهُ ووضْعُهُ وَسَنُّه في سَاعَةٍ، كمَا يَشتَهي**»(١). وأخرج هناد بن السري في «الزهد»(٢) بسند حسن إلى أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُولُ: وَذُكِرَ لَهُ سِدْرَةُ الْمُنْتَهي قَالَ: «**يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا مِائَةَ سَنَةٍ، أَوْ يَسْتَظِلُّ بِظلها مَائَةُ رَاكِبٍ**». شَكَّ يَحْيَي «**فِيهَا فِرَاشُ الذَّهبِ كَأَنَّ ثَمَرهَا الْقِلَالُ**».

أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون:

وفي «صحيح مسلم»(٣) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يأكلون فيها وَيشْرَبُونَ**(٤) **ولا يَتْفُلُونَ**(٥) **ولَا يَبُولُونَ**

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (مع التحفة ٧/ ٢٨٥) بسند حسن.

(٢) **صحيح**: رواه «الزهد» (١/ ٤٨)، وأخرجه الترمذي أيضًا (٧/ ٢٤٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٨٣٥].

(٤) «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ**» مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وبغيره من ملاذها وأنواع نعيمها، تنعمًا دائمًا لا آخر له ولا انقطاع أبدًا، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا، إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا تشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة، وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبصقون. وقد دلت دلائل القرآن والسنة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره؛ أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبدًا.

(٥) **ولا يتفلون**: بكسر الفاء وضمها، حكاهما الجوهري وغيره، **أي**: لا يبصقون.







وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ». قَالُوا: فَمَا بَالُ الطعام؟ قَالَ: «**جُشَاءٌ**[(١)] **وَرَشْحٌ؛ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ»**.

وفي رواية عن مسلم أيضًا من حديث جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يَأْكُلُ أهلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِن طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ»**.

خدم أهل الجنة:

أما عن خدم أهل الجنة فهم ﴿ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الواقعة: ١٧].

عددهم كثير جدًّا بيضٌ شديدو البياض، لا يتغير شكلهم بتغير الزمان.

قال تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الواقعة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ [الإنسان: ١٩].

فهم كاللؤلؤ المكنون في حسنهم وجمالهم، وعددهم في غاية من الكثرة، يلبون كل الطلبات ولا يتأخرون، وكما وصفهم ربي ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ [الإنسان: ١٩].

لا يتسرب إليهم المشيب، ولا تتقدم بهم الأعمار، ولا يتغيرون عن حالتهم لسنٍ تقدم بهم.

أما عن سماعهم وكلامهم:

فلا لغوٌ في الجنة، ولا تأثيم، فإذا سمعوا سمعوا كل خير، وإذا تكلموا تكلموا بكل خير، بالهم هادئٌ، قلوبهم مطمئنة، أذهب الله عنهم الحزن، ورزقهم الله الأمن والأمان.

---

(١) **جشاء:** هو تنفس المعدة من الامتلاء.



هناك أماكن وأسواق للفسح والزيارات:

يأتونها كل جمعة فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا، فيجدون أهليهم قد ازدادوا أيضًا من بعدهم حسنًا وجمالًا.

يتحادثون فيما بينهم بما كان منهم في دنياهم ويطَّلِعون أحيانًا على أهل النار ليزدادوا شكرًا على ما امتن الله به عليهم: من السلامة والنجاة وفسيح الجنان وواسع المنازل.

إن نعيمهم لا يزول ولا يتحول: وهم الآخرون لا يبغون عن الجنة حولًا، ولا يريدون عنها تحولًا.

لقد حببت إليهم الجنة وأحبتهم هي الأخرى، لقد رضوا عن معيشتهم فهم في عيشة راضية.

إنهم في نعيم مقيم لا موت ولا شيخوخة ولا هرم.

ينعمون بتكليم الله لهم أجل تنعم، ويسعدون بذلك أعظم سعادة.

يتلذذون بالنظر إلى وجه الله الكريم، وتلك أعظم لذةٍ وأتمها وأكملها.

يُحِلُّ الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا.

ويخدم أهل الجنة ﴿ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الطور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ [الإنسان: ١٩][١].

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «حادي الأرواح»: قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون. قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد، وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: هو مخلد. وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون أي في آذانهم القرطة، وفي أيديهم الأساور، وهذا اختيار ابن الأعرابي قال: مخلدون مقرطون بالخلدة وجمعها خلد وهي القرطة.
وروى عمرو عن أبيه: خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهي القرطة، وخلد إذا أسن ولم يشب، وكذلك قال سعيد بن جبير. واحتج هؤلاء بحجتين:
إحداهما- أن الخلود عام لكل من في الجنة، فلا بد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم،

وهل في الجنة مراضع للأطفال:

أخرج البخاري[1] في «صحيحه» من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لما مات إبراهيم: «إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الجَنَّةِ».

أهل الجنة يتزاورون:

نعم يتزاورون، ويزور بعضهم بعضًا ويتحدثون معًا بطيب الكلام، ويتذاكرون ما كان بينهم من أمور الدنيا. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات: ٥٠ - ٥٧].

وهل يخرجون من بيوتهم للفسحة والزيارة والاجتماع في أماكن أُخر ثم يرجعون إلى بيوتهم؟.

=

وذلك هو القرطة.

الحجة الثانية: قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكثبان

قال الأولون: الخلد هو البقاء. قال ابن عباس: غلمان لا يموتون. وقول ترجمان القرآن في هذا كاف - وهذا قول مجاهد والكلبي ومقاتل - قالوا: لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون، وجمعت طائفة بين القولين وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم، وفي آذانهم القرطة، فمن قال: مقرطون أراد هذا المعنى أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سُبْحَانَهُ باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفي كونه منثورًا فائدتان:

إحداهما- الدلالة على أنهم غير معطلين، بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم.

والثاني- أن اللؤلؤ إذا كان منثورًا ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعًا في مكان واحد.

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٢٥٥].





فنعم، إن ذلك لكائن إن شاء الله. ففي الجنة مكان يجتمعون فيه، وهو سوق الجنة.

ففي «صحيح مسلم»(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا(٢)، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ(٣)، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ(٤)، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا**».

أما عن سماع أهل الجنة:

فأهل الجنة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥]، **أي**: باطلًا من القول، ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ **أي**: ولا أي قول يجلب الآثام، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦]، **أي**: ما يسمعونه هو الكلام الآمن من الآثام والذنوب والمعاصي.

ويسمعون أيضًا السلام الذي يُلقى عليهم، سلامًا من ربهم كما قال سبحانه: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وسلامًا من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٨٣٣].

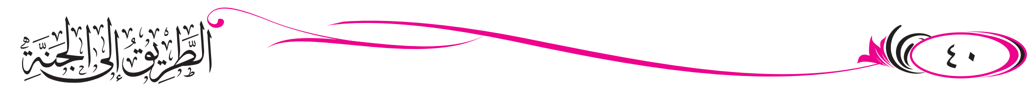
(٢) **لسوقًا**: المراد بالسوق مجمع لهم، يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق.

(٣) **يأتونها كل جمعة**: **أي**: في مقدار كل جمعة، **أي**: أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار، والسوق يذكر ويؤنث، وهو أفصح.

(٤) **الشمال**: هي التي تأتي من دبر القبلة. قال القاضي: وخص ريح الجنة بالشمال؛ لأنها ريح المطر عند العرب، كانت تهب من جهة الشام وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحاب الشامية.







وقال عددٌ من أهل العلم قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]، قالوا: الحبرة اللذة والسماع، ويحبرون أي: يسمعون ما تلذ الأذن بسماعه وتنعم بسماعه.

وليس فيها حر ولا زمهرير:

قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

وهذه منزلة آخر أهل الجنة دخولًا:

أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا؛ رَجُلٌ مِنَ النَّارِ كَبْوًا فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى. فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا، وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي - أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ**»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: «**ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً**».

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلْأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ** عز وجل: **يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛**

---

(١) صحيح: رواه البخاري [٦٥٧١]، ومسلم [١٨٦].

(٢) صحيح: رواه مسلم [١٨٧].



لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِه، لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟».

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ».

وهل في الجنة دواب؟

لقد قال تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

قال بعض أهل العلم: أي: ركبانًا على الإبل، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧].

حب أهل الجنة للجنة ورضاهم بها:

وأهل الجنة يحبونها حبًّا عظيمًا ولا يرغبون في التحول عنها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا





وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨]؛

أخرج البخاري[١] في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى**».

فهم راضون بما هم فيه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، ولقد تقدم قولهم لربهم لما سألهم هل رضيتم فقالوا: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك.

ولقد قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

وأهل الجنة في هدوء بالٍ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾

[محمد: ٤ - ٥]

دوام النعيم والعافية لأهل الجنة:

وأهل الجنة في صحة وعافية دائمًا، ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا**

---

(١) صحيح: رواه البخاري [٢٧٩٥].

(٢) صحيح: رواه مسلم [٢٨٣٧].





أَبـدًا، وَإِنَّ لَكُـمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُـوا أَبـدًا»، فَذَلِكَ قَوْلُـهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ونعيم الجنة لا يزول ولا يفنى ولا يبيد:

قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [البينة: ٨].

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي: غير مقطوع.

وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وفي الحديث أن مناديًا ينادي: «يَا أَهـلَ الجنَّةِ إِنَّ لَكُـمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْـقَمُوا أَبـدًا، وَإِنَّ لَكُـمْ أَنْ تَحْيَـوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِـبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا». وكذلك ففي الحديث[1] عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ» - زاد أبو كُريبٍ: فيوقف بين الجنة والنار. واتفقا في باقي الحديث، فيُقال: يَا أَهلَ الجنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشرئِبُّونَ وينْظُرُونَ، ويقولون: نَعَمْ هَـذَا الْمَوْتُ. قَالَ: ويُقالُ: يَا أَهلَ النَّارِ!! هَلْ تعرفونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْـرَئِبُّونَ وينظُرُونَ ويَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الموتُ، قَالَ: فيُؤمَرُ بِهِ فيُذبحُ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهلَ الجَنَّةِ خُلودٌ فَلا موتَ، ويَا أَهلَ النَّارِ خُلودٌ فَلا موتَ».

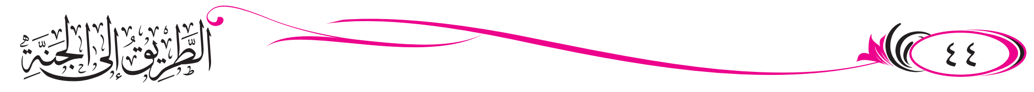
قَالَ: ثُمَّ قرأَ رَسُـولُ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، وَأَشَارَ بيدِه إِلى الدُّنْيا.

---

(١) صحيح: رواه البخاري [٤٧٣٠]، ومسلم [٢٨٤٩].







أما الاستثناء الواقع في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هُود: ١٠٨]، فلأهل العلم أقوال:

أحدها- أن هذا الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم فإنما هم في مشيئته، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦].

وكما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، فهذا دال على أن الأمور كلها بمشيئة الله.

ولا موت في الجنة:

ففي «الصحيحين»(١) من طريق نافع أن عبد الله قال: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُدْخِلُ الله أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ**».

وفي رواية في «الصحيح»(٢) كذلك عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِم**».

تكليم الله لأهل الجنة:

فنعمةٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ على أهل الجنة أنه يكلمهم، وقد تقدمت بذلك بعض الأحاديث، كقوله سُبْحَانَهُ: «**أَحِلُّ عليكُمْ رِضوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عليكُم بَعْدَهُ أبدًا**»، وكقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنكُم مِنْ أحدٍ إِلَّا سَيُكلمُهُ ربُّهُ يومَ القِيَامَةِ لَيسَ بينَهُ وبينَهُ تُرجُمَان**».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٥٤٤]، ومسلم [٢٨٥٠].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٥٤٨]، ومسلم [٢٨٥٠].



ولقد قال تَعَالَىٰ في شأن أقوام من أهل النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، فدلَّ هذا بالمفهوم على أن أهل الجنة يكلمهم الله عَزَّوَجَلَّ. وكذا فإنه سبحانه ينظر إليهم.

وربهم في الجنة يُحييهم والملائكة تُحيِّيهم:

قال تَعَالَىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٨].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣- ٢٤].

ولقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أهل الجنة، وشيئًا مما أعده لهم في جنات النعيم، ثم قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٠ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦٠ - ٦١].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

وأفضل ما يرونه ويتلذذون برؤيته على الإطلاق رؤية وجه ربهم ذي الجلال والإكرام، أخرج مسلم[١] من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شَيئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِم** عَزَّوَجَلَّ». ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦].

ومن الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ولقائهم به:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

(١) صحيح: رواه مسلم [١٨١]، وقد انتقد هذا الحديث على الإمام مسلم، انتقده الدارقطني في كتابه «التتبع».





قال عددٌ من أهل العلم: تنظر إلى ربها.

ومن الأدلة أيضًا:

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

وقد جاء في تفسير الزيادة أنها النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وقد تقدم قريبًا.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**».

وذلك كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم[1] في «صحيحيهما» من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي: الْبَدْرَ - فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

ومن الأدلة أيضًا:

قوله تعالى في شأن الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فالمفهوم المخالف أن أهل الإيمان ليسوا عن ربهم بمحجوبين.

ومن أفضل ما يُعطاه المؤمنون في الجنة أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا:

ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ اللهَ تبارك وتعالى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٥٤]، ومسلم [٦٣٣].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٦٥٤٩]، ومسلم [٢٨٢٩].





خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا: يَا رَبِّ!! وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول الأمم دخولًا الجنة بعد نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ففي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بيد كل أمة أوتوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَغَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى**».

ومن هذه الأمة سبعون ألفًا، وفي الروايات سبعمائة ألف يدخلون الجنة بغير حساب:

وانظر إلى صفتهم في أثناء الدخول: ففي «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا - أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ - لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»(٢). وفي رواية: «**آخِذٌ بعضُهم بعضًا**»(٣).

ونبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول من تُفتح له الجنة:

والجنة لا تُفتح أبوابها لأحد قبل هذا النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أخرج مسلم في(٤) «صحيحه» من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**».

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٨٥٥]، واللفظ له، وأصله عند البخاري [٣٤٨٦].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٢٤٧]، ومسلم [٢١٩].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٦٥٥٤]، ومسلم [٢١٩].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم [١٩٧].



وفي «صحيح مسلم»(١) أن النبي ﷺ قال: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ**».

أما عن أهل الجنة فأهلها أهل الإسلام:

أهل الإيمان، أهل التوحيد، فالجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة كما قال النبي ﷺ، فقد أمر بلالًا أن يُنادي في الناس: «**لا يَدْخُلُ الجنَّةَ إلا نَفسٌ مُسلمةٌ**»(٢).

ولقد قال أهل الجنة لأهل النار لما سألوهم: ﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

إن أهل الجنة هم المتقون(٣):

وصفهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ألا فليصبر الفقراء:

ففي «الصحيح»(٤) من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**».

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِ مِائَةِ عَامٍ**»(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم [١٩٦].
(٢) صحيح: رواه البخاري [٦٦٠٦]، ومسلم [١١١]، وفي بعض الروايات «إلا المؤمنون».
(٣) الذين اتقوا الشرك بالله.
(٤) صحيح: رواه البخاري [٣٢٤١]، ومسلم [٢٧٣٨].
(٥) إسناده صحيح: رواه الترمذي (٢٣٥٣، ٢٣٥٤).





إن أهل الجنة يتفاضلون تفاضلًا كبيرًا فيما بينهم، ويتفاوتون في الدرجات تفاوتًا أعظم بكثير من ذلك التفاوت في درجات الدنيا.

قال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١]؛ وقال تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤].

وأهل الجنة في الجملة ينقسمون إلى قسمين: السابقين المقربين، وأصحاب اليمين.

ولقد ذُكر هذان القسمان في عدة سور من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فقد قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٧ - ١١].

وفي آخر السورة قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩٤].

أما عن أول زمرةٍ تدخل الجنة فلا اختلاف بينهم ولا تباغض:

ففي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

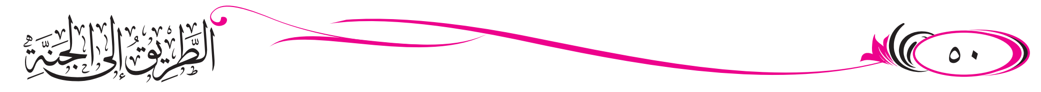
«أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِما مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا».

---

(١) صحيح: رواه البخاري [٣٢٤٥]، ومسلم [٢٨٣٤].







والغل منزوع من صدورهم:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وطولهم عند دخول الجنة ستون ذراعًا:

ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«... خَلَقَ الله عز وجل آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذراعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفرِ وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَة جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيتك قَالَ: فَذَهَبَ فَقَال السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلام عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله، قَالَ: فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ الله، قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدم، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ»(١).

ووجوه أهل الجنة ناضرة بيضاء:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وكما هو معلوم فإنها قلوب أهل الإيمان. وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة.

وفي الجنة سادة وسيدات:

فسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه(٢).

وسيدا شبابها الحسن والحسين رضي الله عنهما(٣).

وسيدة نسائها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٣٣٦]، ومسلم [٢٨٤١].

(٢) **حسن بمجموع طرقه**: رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩٥)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٢٣٤].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣)، والترمذي [٣٧٦٨].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٣٦٢٣]، ومسلم [٢٤٥٠]، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٥١).





عتقاء الله:

في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ...فذكر حديثًا طويلًا، وفيه: «**فيقول الله** عَزَّوَجَلَّ: **شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حَمِيلِ السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض**».

فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعي بالبادية. قال: «**فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم. فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين فيقول: لكم عندي أفضل من هذا فيقولون: يا ربنا، أي شيءٍ أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»(١).

وهناك خلق يُنشئهم الله عَزَّوَجَلَّ للجنة، فيدخلهم إياها:

ففي الحديث: «**وأَمَّا الجنَّةُ فَإِنَّ الله يُنشئُ لَهَا خَلْقًا**»(٢).

وفي الجنة سادة وشيوخ، بعد الأنبياء والمرسلين:

شيوخ كأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سيدا شيوخ أهل الجنة ما خلا الأنبياء والمرسلين، وسيدا الشباب حسنٌ وحسينٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسيد الشهداء حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسيدة النساء فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٧٤٣٩]، ومسلم [١٨٣]، واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٤٨٥٠]، ومسلم [٢٨٤٧].







وأهل الجنة في الجملةِ قسمان:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: ١٠ – ١١].

والقسم الثاني: أصحاب اليمين، وكل قسم ينقسم إلى أقسام عديدة.

إذا دخلوها وجدوا فيها أنهارًا كثيرة، وجدوا فيها أنهارًا من ماءٍ غير آسن، وأنهارًا من لبن لم يتغير طعمه، وأنهارًا من خمر لذة للشاربين، وأنهارًا من عسل مصفى!!.

وجدوا فيها كذلك النيل والفرات وسيحان وجيحان!!.

وجدوا كذلك فيها نهر الحياة، الذي يلقى فيه من خرج من النار مسودًا محترقًا فيُلقى في النهر فيرجع أجمل ما كان وأحسن ما كان.

وجدوا كذلك الحوض والكوثر، وجدوا حوض النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وعدد آنيته أكثر من عدد نجوم السماء، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا.

وجدوا الترع والعيون الجارية، والعيون الفوارة.

وجدوا روضات الجنات، وجدوا الحدائق، وجدوا روحًا وريحانًا وجنة نعيم.

وجدوا القصور التي لا يعلم حسنها وجمالها إلا الله، فقد بنيت بالذهب والفضة، آنيتها وصحافها وقدورها وقواريرها وما فيها من ذهب وفضة.

وكذلك فهنالك المساكن والبيوت والغرف والخيام، الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون لا يراهم الآخرون.

ثم هم على تفاوت في الدرجات: فأقوام في أعلى عليين، وأقوام دون ذلك في الفضل والنعيم، قال تعالى: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١].



أدنى أهل الجنة منزلة:

عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال: له ادخل الجنة فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة. قال: أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»**[(١)].



(١) صحيح: رواه البخاري (١١/ ٤١٩)، ومسلم (٢/ ٤٥).

قراءة القرآن

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتل كما كنت تُرتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها**»(١).

والقرآن الكريم: أكرم الله به هذه الأمة، ففيه نبأ ما قبلها، وخبر ما بعدها، وحكم ما بينها، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به ألسنة الضعفاء، ولا يشبع منه العلماء، لا يَخْلَقُ عن كثرة الرد، ولا تنتهي عجائبه، من قال به صدق، ومن عَمِل به أُجِر، ومن حكم به عَدَل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم. ألفاظه إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا لانت فأنفاسُ الحياة الآخرة، ومعانٍ هي عذوبةٌ ترويك من ماء البيان، ورقَّةٌ تستروح منها نسيم الجنان، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الزمان، وهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تزول، تحدَّى الله تعالى به الإنس والجن، ثم قرن التحدي بالتأنيب والتقريع، ثم استفزهم بعد ذلك بجملة واحدة، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

[البقرة: ٢٣ - ٢٤]

فقطع لهم أنهم لن يفعلوا، وهي كلمة يستحيل أن تكون إلا من الله، ولا يقولها عربي في العرب أبدًا، وقد سمعوها واستقرت فيهم ودارت على الألسنة، وعرفوا أنها

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود [١٤٦٤]، والترمذي [٢٩١٤]، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [٢١٣٤].



تنفـي عنهـم الدهر نفيًا، وتعجزهم إلى آخر الأبد، فما فعلوا ولا طمعوا قط أن يفعلوا[١].

وطـارت الآيـة بعجزهم، وسـجلته عليهـم، ورسـمته على ألسـنتهم، فلـما رأوا هممهم لا تسمو إلى ذلك، ولا تقارب المطمعة فيه، وقد انقطع بهم كل سبيل إلى المعارضة، بذلوا له السيف وعارضوه بأنفسهم وأموالهم، وانصرفوا عن توهُّن حجّته، تهوينًا على أنفسهم بكلام من الكلام، فقالوا: ساحر، وشاعر، ومجنون، ورجل يكتب أساطير الأولين، وإنما يعلمه بشر، وأمثال ذلك مما أخذت به الحجة عليهم، وكان إقرارًا منهم بالعجز[٢].

والقرآن الكريم هو صوت الحق الذي قامت به السـموات والأرض، ومعانيه هي الأشـعة التي تألـف فيها الوحي الأعلى، وتعـرض لها الأولون والآخرون، واسـتطاعوا بها - إن شاءوا - أن يعرفوا: من أين جاءوا ؟ وكيف يحيون؟ وإلى أين يصيرون؟

صحيـح أن القـرآن لم ينزل إلا منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، بيد أن معانيه قديمة جديدة. ففيها خلاصة كاملة للرسالات الأولى، وللنصائح التي بذلت للإنسانية من فجر وجودهـا. فالقرآن ملتقى رائع للحكم البالغة التي قرعت آذان الأمم في شـتى العصور، واستعراض دقيق للأشفية السماوية التي احتاجت إليها الأرض جيلًا بعد جيل.. !!.

إنـه لذلك مجمع الحقائق الثابتة، ومجـلي عناية الله بعباده مذ خلقوا، وإلى اليوم، وإلى أن تنفَضَّ هذه الدنيا[٣].

---

(١) «تأمـل نظـم الآية تجد عجبًا، فقد بالغ في تقريعهم واسـتفزازهم ليثبت أن القـدرة فيهم على المعارضة كقـدرة الميـت على أعـمال الحياة، لن تكون ولن تقـع ! فقال لهـم: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾، أي: هذا منكم فوق القوة وفوق الاستعانة وفوق الزمن، ثم جعلهم وقودًا، ثم قرنهم إلى الحجارة، ثم سمَّاهم كافرين، فلو أن لهـم قـوة بعد ذلك لانفجرت، ولكن الرماد غير النار» من تعليق الأسـتاذ/ عبد الله المنشـاوي على «إعجاز القرآن» للرافعي، ص: [١٤٧] .

(٢) «إعجاز القرآن»، ص: (١٤٦-١٤٧) للرافعي، ط: دار ابن حزم .

(٣) «نظرات في القرآن»، ص: [١٠] للشيخ الغزالي، ط: مؤسسة الرسالة .



فضل القرآن وتلاوته:

فقد وصف الله القرآن بأوصاف عظيمة وجليلة منها: أنه هدى للمتقين، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة: ١ - ٢]، وهو هدى للناس، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

ووصفه الله عَزَّوَجَلَّ بأنه روح تحيا به القلوب، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشُّورَىٰ: ٥٢].

وهو الذي يهدي للطريق المستقيم، ويحمل البشارات العظيمة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإِسْرَاء: ٩ - ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكَهْف: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فَاطِر: ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٢١].

وعن أبي أُمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اقرأُوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه. اقرأوا الزهراوين**(١)**: البقرة، وسورة**

---

(١) **الزهراوين**: سميتا بذلك لنورهما وهدايتهما، وعظم أجرهما.

آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان(١) **أو غيايتان، أو كأنهما فرقان**(٢) **من طير صواف تُحاجّان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة**(٣)»(٤).

وقال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»(٦).

وقال ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»(٧)، وفي هذا الشهر الكريم، الذي نزل فيه الروح الأمين، بالقرآن الكريم، على قلب سيد المرسلين، فاستقبلته أذن الخير، بألطف إشارة، وبلّغه لسان الصدق بأجمل عبارة. كان عليه الصلاة والسلام يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام، يسمعه ويتدبره ويتلوه، ويتأمل عبره. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل عليه السلام، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة»(٨).

---

(١) الغمامة، **والغياية**: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه، وقال العلماء: والمراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين، أو يأتي الأجر مثل قطيع الطير وجماعته.

(٢) **فرقان**: قطعتان.

(٣) **البطلة**: السحرة.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم [٨٠٤]، والترمذي [٢٨٨٣].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٥٠٢٧].

(٦) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٩١٠]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٦٤٦٩].

(٧) **صحيح**: رواه أبو داود [١٤٦٤]، والترمذي [٢٩١٤]، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [٢١٣٤].

(٨) **صحيح**: رواه البخاري [١١٤٥]، ومسلم [٧٥٨]، وأبو داود [٤٧٣٣]، وأحمد [٣٨٢١]، وابن =

ومع هذا كان يحب أن يسمعه من غيره، وكان يجلس مع أصحابه فيقول لابن مسعود: «**اقرأ عليَّ القرآن**»، فيندفع يقرأ حتى إذا بلغ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: «**حسبك**»، قال ابن مسعود: فنظرت فإذا عيناه تذرفان(١).

ويستمع لأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم يقول له: «**لو رأيتني وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»(٢)، فقال أبو موسى: لو علمت يا رسول الله أنك تستمع لي لحبرته لك تحبيرًا، والمعنى: لجملت صوتي أكثر وأكثر:

سَمِعْتُكَ يا قُرْآنُ واللَّيْلُ غَافِلٌ ... سَرَيْتَ تَهُزُّ القَلْبَ سُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى

فَتَحْنَا بِكَ الدُّنْيَا فَأَشْرَقَ صُبْحُهَا ... وَطُفْنَا رُبُوعَ الْكَوْنِ نَمْلَؤُهَا أَجْرَا

علو همة السلف في تلاوة القرآن:

كان عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يكاد المصحف يفارق حجره. فقيل له في ذلك: فقال: إنه مبارك جاء به مبارك، وقال: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

وإني لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله (أي: المصحف)، قالت امرأته يوم الدار: اقتلوه أو دعوه، والله لقد كان يختم القرآن في ركعة(٣).

وقيل لنافع: ما كان يَصْنَعُ ابنُ عمر في منزله؟ قال: لا تُطيقونه، الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما(٤).

= ماجه [١٣٦٦].

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٠٥٥]، ومسلم [٨٠٠].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٥٠٤٨]، ومسلم [٧٩٣].

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٢٥) للحافظ ابن كثير، ط: مكتبة الإيمان.

(٤) «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٢٨) لابن عساكر، ط: دار الريان.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن أُسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده[(١)] إذا جالت[(٢)] فرسه فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضًا، قال أُسيد: فخشيتُ أن تطأ يحيى، فقمت إليها، فإذا مثل الظُّلة، فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها قال: فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله! بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مربدي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اقرأ ابن حضير!**» قال: فقرأت. ثم جالت أيضًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اقرأ ابن حضير**» قال: فانصرفت، وكان يحيى قريبًا منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستر منهم**»[(٣)].

وكان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قُطعت رجله[(٤)].

وروى أبو قلابة عن أبي المُهلب: أن تميم الداري كان يختم القرآن في سبع[(٥)].

وروى الثوري: أن الربيع بن خُثيم، كان يدخل الداخل وفي حجره المصحف فيغطيه[(٦)].

وقال يحيى بن أيوب: حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يَلْزَمُونَهُ، أن وكيعًا كان لا ينام حتى يقرأ جزءه من كل ليلةٍ ثُلُثَ القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأُ المُفَصَّلَ، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجرُ[(٧)].

(١) **المربد**: هو الموضع الذي ييبس فيه التمر. (٢) **جالت**: أي وثبت.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٧٩٦]، وأحمد (٣/ ٨١).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٢٦) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.
(٥) المصدر السابق (٣/ ٢٣٠).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٠) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.
(٧) المصدر السابق (٩/ ١٤٨).



قال أحمد بن سلمة النيسابوري الحافظ: كان هنادٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير البكاء، فرغ يومًا من القراءة لنا، فتوضأ وجاء إلى المسجد فصلى إلى الزوال وأنا معه بالمسجد، ثم رجع إلى منزله فتوضأ، وجاء فصلى الظهر، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صلى المغرب، قال: فقلت لبعض جيرانه: ما أصبره على العبادة! قال: هذه عبادتُه بالنهار منذ سبعين سنة، فكيف لو رأيت عبادته بالليل، وكان يقال له راهب الكوفة[(١)].

وقال عمرو بن عبد الرحمن بن محيريز: كان جدي يَخْتِمُ في كلِّ جمعة، وربما فرشنا له فلم ينم عليه[(٢)].

فهل لنا أن نعيش مع القرآن الكريم، وهل لنا أن نعرف عظمة القرآن الكريم، فنقرأه ونتدبره ونتعهده، فنملأ حياتنا سعادة ونورًا وإشراقًا مع القرآن الكريم.



(١) «تاريخ الإسلام» (١٨/ ٥٣١) للإمام الذهبي، ط: دار الصفا.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٩٥) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.



الصيام

فعن سهل بن سعد، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن في الجنة بابًا يُقال له: الريان، يُدعى يوم القيامة: أين الصائمون؟ فمن كان من الصائمين دخله، ومن دخله لم يظمأ أبدًا**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من صام يومًا في سبيل الله، بَعَّدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**»(٢).

والصوم خطة واضحة لتزكية القلب، ودعم الإيمان، واحتساب التعب والمشقة عند الله، فليس الصوم معركة مُبهمة ضد الجسد، ولكنه رياضة لها هدف، وغراس تُرجى منه ثمار، فهو امتناع عن مطاوعة طبائع الغضب والاستفزاز، وهو امتناع عن الطبائع المادية للبطن والفرج، فهو يحرر إرادة الإنسان ويجعلها منقادة لأوامر الله عَزَّوَجَلَّ.

فعن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّةٌ، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا امرُؤٌ صائم، والذي نفس محمد بيده لَخَلُوفُ فَمِ الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربهُ بصومه**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه البخاري [١٨٩٦] دون جملة الظمأ، والترمذي [١٦٤٠].
(٢) صحيح: رواه البخاري [٢٨٠٤]، ومسلم [١١٥٣]، وأحمد [٧٩٧٧]، وابن ماجه [١٧١٨].
(٣) صحيح: رواه البخاري [١٩٠٤]، ومسلم [١١٥١]، وأبو داود [٣٦٣]، والنسائي [٢٢١٤]، وأحمد [٧١٧٤]، وابن ماجه [١٣٢٧].
قال النووي: أما فرحته عند فطره فبسببها تمام عبادته وسلامتها من المفسدات، وما يرجوه من ثوابها، وأما فرحته عند لقاء ربه فبما يراه من جزائه وتذكر نعمة الله عليه بتوفيقه لذلك، انظر: «شرح النووي على مسلم» [٢٤٩١٤].
=





حَنَّتْ لِطِيبِ عَبِيرِهَا الرُّهْبَانُ ....

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١).

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إذا كان رمضان فُتِّحَت أبواب الرحمة، وغُلِّقَت أبواب جهنم، وسُلْسِلَت الشياطين**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فَشَفِّعْني فيه، ويقول القرآن، منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال: فَيُشَفَّعَان**»(٣).

= وقال القاضي عياض: خلوف فم الصائم يجازيه الله تَعَالَىٰ به في الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك كما أن دم الشهيد يكون ريحه ريح المسك، وقيل: يحصل لصاحبه من الثواب أكثر ممَّا يحصل لصاحب المسك، وقيل: رائحته عند الملائكة أطيب من رائحة المسك عندنا، «شرح النووي» (٤/ ٢٥٠).

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٠١٤]، ومسلم [٧٦٠]، وأبو داود [١٣٧١]، والترمذي [٦٣٨]، والنسائي [٢٢٠٤]، وأحمد [٧٢٧٨]، وابن ماجه [١١٣٠].
قال الحافظ ابن حجر: **المراد بالإيمان:** الاعتقاد بحق فرضيته، **والمراد بالاحتساب:** طلب الثواب من الله عَزَّوَجَلَّ. انظر: «فتح الباري» [٢٩٦١٤] للحافظ ابن حجر.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [١٨٩٩]، ومسلم [١٠٧٩]، والترمذي [٦٨٢]، والنسائي [٢١٠٦]، وأحمد [٧١٤٨]، وابن ماجه [١٣٣] قال القاضي عياض: يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، وأن تفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب جهنم وتصفيد الشياطين علامة على دخول الشهر وتعظيم لحرمته، ويكون التصفيد ليمنعوا من إيذاء الصائم، ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عن ما يفتحه الله تَعَالَىٰ على عباده من الطاعات في هذا الشهر، والتي لا تقع في غيره عمومًا كالصيام والقيام وفعل الخيرات، والانكفاف عن كثير من المخالفات، وهذه أسباب لدخول الجنة وأبواب لها، فيقل إغواؤهم وإيذاؤهم، فيُعَدُّون كالمصفَّدين، ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء، ولناس دون ناس، وانظر: «فتح الباري» (٤/ ١٣٧) للحافظ ابن حجر، ط: دار الريان.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي [١٦٣٣]، وأحمد [٦٦٢٦] وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» =



وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من صام يومًا في سبيل الله، بَعَّدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدَت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي منادٍ: يا باغي الشر أقصر، ولله عتقاءُ من النار، وذلك كُل ليلة**»[(٢)].

وعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الصيام جُنَّة**[(٣)] **من النار، كجنة أحدكم من القتال**»[(٤)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»[(٥)].

= برقم [٣٨٨٢].

قال الجزائري: الشفاعة تنقسم يوم القيامة إلى قسمين، شفاعة منفية تمامًا لا حقيقة لها ولا واقع ولا وجود، وشفاعة ثابتة واقعة لها حقيقة ووجود، ومن صور الشفاعة الثابتة: شفاعة الصيام والقرآن، انظر: «عقيدة المؤمن»، ص: [١٥٩] للجزائري، ط: مؤسسة جمال البابي.

(١) صحيح: رواه البخاري [٢٨٠٤]، ومسلم [١١٥٣]، وأحمد [٧٩٧٧] وابن ماجه [١٧١٨].

(٢) صحيح: رواه الترمذي [٦٨٢]، وابن ماجه [١٦٤٢] وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» برقم [٩٦٦].

(٣) جُنة؛ أي: وقاية وستر من النار، أو مما يؤدي بالعبد إليها من الشهوات.

(٤) صحيح: رواه الترمذي [١٦٣٩]، وأحمد (٣/ ٣٤١) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» برقم [٩٧١].

(٥) صحيح: رواه مسلم [٢٣٣].



وعن سهل بن سعد، أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يُدعى يوم القيامة يقال: أين الصائمون؟ فمن كان من الصائمين دخله، ومن دخله لم يظمأ أبدًا**»(١).

وعن أنس بن مالك، قال: دخل رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذا الشهر قد حضركم، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِمَها فقد حُرِمَ الخير كله، ولا يُحْرَمُ خيرها إلا محروم**»(٢).

وعنه رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث دعوات لا ترد، دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر**»(٣).

الصيام عبادة الأنبياء:

كان رضي الله عنه أعبد الناس، وأشدهم لله خشية، يصوم فيواصل الليل بالنهار، ثلاثة أيام وأربعة أيام لا يأكل شيئًا، فأراد الصحابة رضي الله عنهم أن يواصلوا كما يواصل، فقال ﷺ: «**إني لست كهيئتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»(٤).

يُفيض الله عليه من الحكم والمعارف والفتوحات والإلهامات ما يسد مسد الطعام والشراب، فيُعطيه قوة الآكل والشارب، فيقوى على العبادة من غير ضعف في القوة،

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٨٩٦] دون جملة الظمأ، والترمذي [١٦٤٠]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» برقم [٩٦٩].

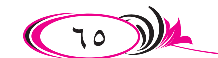
(٢) **حسن**: رواه الترمذي [١٦٤٤]، والنسائي [٢١٠٦]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» [٩٨٩].

(٣) **حسن**: رواه البيهقي (٣/ ٣٤٥)، والضياء في «الأحاديث المختارة»، (٦/ ٧٤) وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٠٣٢].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [١٩٦٤]، ومسلم [١١٠٥]، وأبو داود [٢٣٦٠]، والترمذي [٧٧٨]، وأحمد [٦١٢٥].







ولا كَلَالٍ في الإحساس، يصوم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في السفر والشمس حارة، وقد التهب الجو.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد رأيتُنا ورسول الله في بعض أسفاره في اليوم الحار، الشديد الحر، وإن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما في القوم أحد صائم إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعبد الله بن رواحة(١).

وعن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن صوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: «كان يصوم حتى نقول: قد صام، ويفطر حتى نقول: قد أفطر، ولم أَرَهُ صام شهرًا إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان»(٢).

وسئلت عائشة زوج النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم، فقيل لها: من أي أيام الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالي من أيام الشهر يصوم»(٣).

صيام داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يومًا ويُفطرُ يومًا**»(٤).

علو همة السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ في الصيام:

لقد عطر السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ صفحات التاريخ بعبير تقواهم، ونسيم تعبدهم، فكان

(١) **صحيح**: روه البخاري [٢٠٨]، وابن ماجه [١١٦٢].
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [١٩٦٩]، أبو داود [٢١٠٣]، والترمذي [٧٣٦]، والنسائي [٢٣٥١].
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [١١٦٠]، وأبو داود [٢١١٧]، والترمذي [٧٦٣]، وابن ماجه [١٧٠٩].
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [١١٣١]، ومسلم [١١٥٩] وأبو داود [٢٤٤٨]، وابن ماجه [١٧١٢]، وأحمد [٦٧٨٩]، والنسائي [٢٣٨٨].



عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حظه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مُبشر بالبلوى، منعم بالنجوى[(١)].

فعن الزبير بن عبد الله، عن جدة له يقال لها: موهيمة قالت: كان عثمان يصوم الدهر، ويقوم الليل إلا هجعة من أوله، قتلوه وهو صائم[(٢)].

وقال عروة: كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تسرُدُ الصوم[(٣)].

ودخل الأشتر النخعي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو قائم يصلي بالليل، فقال: يا أمير المؤمنين صوم بالنهار، وسهر بالليل، وتعب فيما بين ذلك، فلما فرغ عليٌّ من صلاته قال: سفر الآخرة طويل فيحتاج إلى قطعه بسير الليل[(٤)].

مَنْ يُرِدْ مُلْكَ الْجِنَانِ ... فَلْيَذَرْ عَنْهُ التَّوَانِي
وَلْيَقُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ... إِلَى نُورِ الْقُرْآنِ
وَلْيُصَلِّ صَوْمًا بِصَوْمِ ... فَإِنَّ عَيْشَ الدُّنْيَا فَانِ

وقال حماد بن زيد: كان سعيد بن المسيب يسرد الصوم، وقال الشعبي: غُشِي على مسروقٍ في يوم صائفٍ، وكانت عائشة قد تبنَّتْهُ فسمي ابنته عائشة، وكان لا يعصي ابنته شيئًا، قال: فنزلت إليه، فقالت: يا أبتاه، أفطر واشرب، قال: ما أردت بي يا بنيةُ؟ قالت الرفق، قال: يا بنية، إنما طلب الرفق لنفسي في يوم مقداره خمسين ألف سنة[(٥)].

---

(١) «حلية الأولياء» [٥٥١١] لأبي نعيم، ط: مكتبة السعادة.

(٢) المصدر السابق [٥٦١١].

(٣) «حسن الأسوة» (١/ ٣٣١) لمحمد صديق خان، ط: دار العقيدة.

(٤) «حلية الأولياء» (١/ ٨) لأبي نعيم، ط: مكتبة السعادة، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٢) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.

(٥) «تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٣٤) للخطيب البغدادي، ط: دار ابن حزم.

وقال المبارك بن فضالة: دخلت على ثابت البُناني في مرضه، وهو في عُلُوٍّ له، وكان لا يزال يُذكِّر أصحابه، فلما دخلنا عليه، قال: يا إخوتاه لم أقدر أن أصلي كما كنت أصلي، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي فأذكر الله معهم، ثم قال: اللهم إذا حبستني عن ثلاثٍ فلا تدعْني في الدنيا ساعة، إذا حبستني أن أصلي كما أريد، وأصوم كما أريد، وأذكرك كما أريد، فلا تدعني في الدنيا ساعة، فمات من وقته»(١).

وكان أبو الدرداء يقول: صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، وصوموا يومًا شديدًا حره لحر يوم النشور، وتصدقوا بصدقة لشر يوم عسير(٢).

وبكى أحد السلف عند موته فلما سُئل قال: أبكي لأن يصوم الصائمون ولست فيهم، وأن يصلي المصلون ولست فيهم، فهو حزين مُشفق على ترك هذه العبادات، وعلى ترك تلك الطاعات.

خُذْ في بيانِ الصوم غَيْرَ مُقْعَدِ ... عِبَادَةَ سِرٍّ ضِدَّ طَبْعِ مُعَوَّدِ
وَصَبْرًا لِفَقْدِ الإلْفِ مِنْ حَالِ الصَّبا ... وَفَطْمًا عَنْ الْمحْبُوبِ الْمُتَعَوَّدِ
فَثِقْ فيهِ بالْوَعْدِ القديم مِنْ الَّذي ... لَهُ الصَّوْمُ يَجْزي غَيْرَ مُخْلِفِ مَوْعِدِ
وَحَافِظْ على شهرِ الصيام فإنَّهُ ... لَخَامِسُ أَرْكَانٍ لِدِينِ مُحَمَّدِ
تُغلَّقُ أَبْوَابُ الجحيم إذا أَتَى ... وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجنَانِ لِيُعبدِ
تُزَخْرَفُ جَنَّاتُ النَّعيم وَحُورُهَا ... لأَهْلِ الرِّضَا فِيهِ وَأَهْلِ التَّعَبُّدِ
وقد خَصَّهُ اللهُ العظيمُ بلَيْلَةٍ ... عَنْ أَلْفِ شهرٍ فُضِّلَتْ فَلْتَرْصُدِ
فَأَرْغِمْ لأَنْفِ قَاطِعِ الشَّهْرِ غَافِلاً ... وَأَعظِمْ بأَجْرِ الْمُخْلِصِ الْمُتَعَبِّدِ
فَقُمْ لَيْلَهُ وَأطْوِ نَهَارَكَ صَائِمًا ... وَصُنْ صَوْمَهُ عَنْ كُلِّ مُوهٍ وَمُفْسِدِ

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٠) لأبي نعيم، ط: مكتبة السعادة.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٧) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.

فليكثر المسلم من صيام النافلة بعد رمضان، كالصيام في شهر الله المحرم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أفضل الصيام بعد رمضان، شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة، صلاة الليل**»(١)، وصيام ستة أيام من شهر شوال، فعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر**»(٢).

وصيام يوم وإفطار يوم، ويومي الاثنين والخميس، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر(٣).

فعن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صيام الدهر فقال: «**لا صام ولا أفطر**»، أو «**ما صام وما أفطر**» قال: فسئل عن صوم يومين وإفطار يوم قال: «**ليت أن الله قوَّانا لذلك**» قال: وسئل عن صوم يوم وإفطار يوم، قال: «**ذاك صوم داود** عَلَيْهِ السَّلَامُ»، قال: وسئل عن صوم يوم الإثنين، قال: «**ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بُعثت**» أو «**أنزل عليّ فيه**» قال: فقال: «**صوم ثلاثةٍ من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، صوم الدهر**» قال: وسئل عن صوم يوم عرفة، فقال: «**يكفر السنة الماضية**»(٤).

والإكثار من الصيام في شهر شعبان، ذلكم الشهر الذي بين رجب ورمضان، الذي يغفل عن كثير من الناس.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [١١٦٣]، وأبو داود [٢٤٢٩]، والترمذي [٧٤٠]، والدرامي [١٧٥٩]، وابن ماجه [٢٧٤٢].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [١١٦٤]، وأبو داود [٢٤٣٣]، والترمذي [٧٥٩]، والدرامي [١٧٥٥]، وابن ماجه [١٧١٦].

(٣) هي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، من كل شهر قمري وسميت بيضًا لاستضاءة السماء فيها بنور القمر.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم [١١٦٢]، واللفظ له، وأبو داود [٢٤٢٥]، والدارمي [١٧٥١]، وابن ماجه [١٧٣٠].



فعن أبي سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سئلت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن صوم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: «كان يصوم حتى نقول: قد صام، ويفطر حتى نقول: قد أفطر، ولم أره صام شهرًا إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان»[(١)].



(١) تقدم تخريجه.



أهل الصلاة ومنازلهم

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزلهُ من الجنة كلما غدا أو راح**»(١).

وعن بُريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٢).

وعن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من صلى البردين دخل الجنة**»(٣).

وعن يعلى بن أمية قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من صلى ثنتي عشرة ركعة بالنهار أو بالليل بنى الله عَزَّوَجَلَّ له بيتًا في الجنة**»(٤).

الصلاة: من أعظم العبادات شأنًا، وأوضحها بُرهانًا، فهي أول ما أوجبه الله تَعَالَى على عباده، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام وعموده، وهي العلامة الفارقة بين المسلم والكافر، وهي رأس القربان، وغرة الطاعات، عمر الله بأنوارها قلوب العباد بفتح الباب، ورفع الحجاب، وهي المعين الذي لا ينفد، وهي الموعد المختار للالتقاء بالنبع الذي لا يغيض، وهي الروح والندى والظلال في الهاجرة، وهي زاد الطريق، ومدد الروح، وجلاء القلب، وهي النور والبرهان، والعهد الذي بين الإنسان وبين ربه، وهي الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني ومولاه الباقي، وهي تربية للنفس، وتهذيب للروح، وتُنير القلوب بما تغرس فيه من إجلال الله وعظمته، وتسعد المرء وتجمله بمكارم الأخلاق.

(١) **حسن**: رواه أبو داود [٤٢٩]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» برقم [٧٣٨].
(٢) **صحيح**: رواه أبو داود [٥٦١]، والترمذي [٢٢٣] وصححه.
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٥٧٤]، ومسلم [٦٣٥].
(٤) **صحيح**: رواه النسائي [١٨١٠]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٣٥٤].

وهي من صفات المؤمنين المفلحين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

وهي من صفات الناجين من الهلع والجزع، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٣]

وتنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وهي من أحب الأعمال إلى الله تَعَالَىٰ، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله**»(١).

وهي آخر وصية وصى بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته عند موته، فقال: «**الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم**»(٢).

وهي آخر ما يفقد من الدين، فإذا ضاعت ضاع الدين كله، فعن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لتُنْقَضَنَّ عُرَى الإسلام عُروة عُروة، فكلما انتقضت عُروة، تشبَّث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة**»(٣).

عبادة الصلاة وتعظيم قدرها:

فعبادة الصلاة وضعت على أكمل الوجوه وأحسنها التي يُعبد بها الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ،

(١) صحيح: رواه البخاري [٥٢٧]، ومسلم [٨٥].
(٢) صحيح: رواه أحمد [٣٢١]، وابن ماجه [٢٦٩٧] من حديث أم سلمة، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٨٧٣].
(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٥١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٠٧٥].



عبادة تضمنت التعظيم له بجميع الجوارح، من نطق اللسان، وعمل اليدين والرجلين والرأس وحواسه، وسائر أجزاء البدن، كل يأخذ حظه من الحكمة في هذه العبادة العظيمة، المشتملة على الثناء والحمد والتمجيد والتسبيح والتكبير، وشهادة الحق، والقيام بين يدي الرب مقام العبد الذليل الخاضع المربوب، ثم التذلل في هذا المقام، والتضرع والتقرب إليه بكلامه، ثم انحناء الظهر ذُلًا له وخضوعًا واستكانة، ثم استواؤه قائمًا ليستعد لخضوع أكمل له من الخضوع الأول، وهو السجود من قيام، فيضع أشرف شيء فيه وهو الوجه على التراب خشوعًا لعزته، وقد انكسر له قلبه، وذل له جسمه، وخشعت له جوارحه، ثم يستوي قاعدًا يتضرع له، ويتذلل بين يديه، ويسأله من فضله، ثم يعود إلى حاله من الذل والخشوع والاستكانة، فلا يزال هذا دأْبُهُ حتى يقضي صلاته، فيجلس عند إرادة الانصراف منها مُثْنيًا على ربه، مُسَلِّمًا على نبيه ﷺ، وعلى عباده، ثم يصلي على رسوله[(١)].

الصلاة عبادة الملائكة:

فالملائكة هم عباد الله المكرمون، الكرام على الله خَلقًا وخُلقًا، الطاهرون ذاتًا وصفة وأفعالًا، المطيعون لله تَعَالَىٰ، القائمون بأمره، خلقهم الله من نور لعبادته، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن أعظم عباداتهم الصلاة، فهم يقومون ويركعون ويسجدون، فعن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم: «**أتسمعون ما أسمع؟**» قالوا: ما نسمع من شيء، قال: «**إني أسمع أطيط السماء، وما تُلامُ أن تَئِطَّ، وما فيها موضع شبر إلا عليه ملك ساجد أو قائم**»[(٢)].

---

(١) «أحب الأعمال إلى الله»، ص: [٥٥] للمصنف، ط: دار الإيمان.

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٥٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٤٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٩٥]، وانظر: «الصحيحة» [٨٥٢]، وقال: صحيح على شرط مسلم.



الصلاة عبادة الأنبياء والمرسلين:

قال الله تَعَالَى عن نبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وقال تَعَالَى عن نبيه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

وقال تَعَالَى عن نبيه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩]

وقال عَزَّوَجَلَّ عن مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وكانت هذه الشعيرة العظيمة وتلك الفريضة الجليلة، لها قدسية خاصة وتعظيم كبير في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان إذا أذن المؤذن قام عن أهله كأنه لا يعرفهم ولا يعرفونه، فعن الأسود قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله (تعني: في خدمة أهله) فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة[(١)] ولم لا؟ وهو القائل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[(٢)].

قال المروزي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو لم يُستدل على أن الصلاة أحب الأعمال إلى الله إلا بما ألزم قلب حبيبه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُبِّ الصلاة، وجعْل قرة عينه فيها دون سائر

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري.

(٢) **صحيح**: رواه النسائي [٣٩٣٩]، وأحمد [٢٨٥]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣١٢٤].

الأعمال كلها، وإن كان مُحبًّا لجميع الطاعات، ولكنه خص فأخبر أن قرة عينه جعلت في الصلاة لربه كفاه ذلك دليلًا على تعظيم قدر الصلاة(١).

وكان ﷺ إذا حزبه أمر، أو نزلت به نازلة، أو اشتدت عليه الأمور، أو ضاقت عليه الضوائق، فأصابه شيء من الحزن والهم والغم، قال: «أرحنا بها يا بلال»(٢).

أَطْرِبِ الدُّنْيَا بِلالُ بِنَغْمَة	قُدْسِيَّةٍ تُحْيِي بِهَا الأَسْحَارَا
لِيَمُوتَ صَوْتُ الْبَغْيِ وَأْدًا في	مِيلَادِهِ وَيَبْقَى صَوْتُكُمْ قَهَّارَا
قُمْ يَا بِلالَ الْعَزْمِ أَعِدْ نَشِيدَكَ	فِي الْوَرَى وَرَتِّلِ الإِنْذَارَا
وَدَعِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي قَدْ صُوِّرَتْ	جُذَذًا وَفَرِّقْ عَبْدَهَا الْخَوَّارَا
أَفَمَا لِقَوْمِي لا يُحِبُّونَ هُدَى	الرَّسُولِ وَيُحِبُّونَ الْعَارَا

حتى في وقت الشدة في وقت القتال، والتحام الصفوف لم يُرخِّص في التهاون في أمر الصلاة.

ففي غزوة الأحزاب(٣)، تَحَزَّبَت الأعراب على رسول الله ﷺ حتى جُمِعَ له عشرة آلاف مقاتل من اليهود والمشركين والمنافقين، ثلاثُ جبهات على رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل حتى شغلوه عن صلاة العصر.

فدعا ﷺ عليهم وقال: «**ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا، كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس**»(٤).

(١) «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٣٣١) للمروزي، ط: مكتبة الدار.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود [٤٩٨٥]، وأحمد [٣٦٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٠٩٥].

(٣) **غزوة الأحزاب**: هي غزوة الخندق، كانت في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٢٩٣١]، ومسلم [٦٢٧]، وأحمد [٦١٧] من حديث علي بن أبي طالب.

وصلاها بين العشاءين - بين المغرب والعشاء - فأنزل الله صلاة الخوف[١]، يصليها المسلم في وقت الحرب والقتال والتحام الصفوف، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢].

فلا صلاة للرجل في بيته إلَّا مِنْ عذر[٢]، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**من سمع المنادي بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر، لم تُقبلْ منه الصلاةُ التي صلى**» قيل: وما العذر يا رسول الله؟ قال: «**خوف أو مرض**»[٣]، وجاء رجل أعمى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلًا فيصلى بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأُحرِّقَ عليهم بيوتهم بالنار**»[٥].

---

(١) قال الخطابي: صلاة الخوف أنواع، صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في أيام مختلفة وأشكال متباينة يتحرى فيها ما هو أحوط للصلاة وأبلغ في الحراسة، فهي على اختلاف صورها مُتفقة المعنى، انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣/ ٣١٢)، ط: مكتبة الإيمان.

(٢) **الأعذار**: كالمرض والخوف الشديد والمطر الشديد ونحو ذلك.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود [٥٥١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٦٣٠٠].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم [٦٥٣]، وأبو داود [٢٥٤] من حديث أبي هريرة.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٤]، ومسلم [٦٥١]، وأبو داود [٥٤٩]، والترمذي [٢١٧]، وأحمد =



وعـن عبـد الله بن بردة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عـن أبيه قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(١).

وعـن عبـد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الـزكاة، فإذا فعلوا ذلـك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسـابهم على الله**»(٢)، وربَّى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الجيل المبارك والرعيل الأول من أصحابه على تعظيم قدر الصلاة، فكانوا أكثر الناس تعظيمًا لأوامر الله، وكانوا مضرب المثل في التبكير إلى الصلاة، وحضور صلاة الجماعة.

قـال عبد الله بن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من سره أن يلقى الله تَعَالَى غدًا مسـلمًا فليحافظ عـلى هؤلاء الصلـوات حيث يُنادى بهن، فـإن الله شرع لنبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُـنن الهُدى، وإنهن من سُنن الهُدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سُنة نبيكم، ولو تركتم سُنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتي به يُهادى بين الرجلين، حتى يُقام في الصف(٣).

وقـال مطر الـوراق: كانوا يبيعون ويشـترون ولكـن كان أحدهم إذا سـمع النداءَ وميزانه في يده خفضه وأقبل على الصلاة(٤).

= [٣٧٤٣]، وابن ماجه [٧٩١].

(١) صحيح: رواه الترمذي [٢٦٢١]، والنسائي [٤٦٣]، وأحمد [٣٥٥]، وابن ماجه [١٠٧٩]، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [٥٧٤].

(٢) صحيـح: رواه البخـاري [٢٥]، ومسـلم [٢٢]، والترمـذي [٢٦٠٨]، وأحمـد [٦٧]، وابـن ماجـه [٣٩٢٧].

(٣) صحيح: رواه مسلم [٦٥٤]، وأحمد [٤٣٥٥].

(٤) «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٥) لأبي نعيم.







وقال طاووس: ما رأيت مصليًا كهيئة عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان أشد الناس استقبالًا للكعبة بوجهه وكفيه وقدميه(١).

وقال عبد الله بن واقد: «رأيت ابن عمر يصلي فلو رأيته رأيته مقلوليًّا(٢)»(٣).

ولله در سعيد بن المسيب: قال: ما دخل عليَّ وقتُ صلاة إلا وقد أخذت أُهبتها، ولا دخل عليَّ قضاءُ فرض إلا وأنا إليه مشتاق(٤).

وقال عبد المنعم بن إدريس: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة، وقال: ما فاتتني التكبيرة الأولى، وما نظرت في قفا رجلٍ في الصلاة منذ خمسين سنة(٥).

شَبَابٌ ذَلَّلُوا سُبُلَ الْمُعَالِي ... وَمَا عَرَفُوا سِوَى الإِسْلامِ دِينَا
تَعَهَّدَهُمْ فَأَنْبَتَهُمْ نَبَاتًا ... كَرِيمًا طَابَ فِي الدُّنيا غُصُونًا
إِذَا شَهِدُوا الْوَغَي كَانُوا كُمَاةً ... يَدُكُّونَ الْمَعَاقِلَ وَالْحُصُونَا
وَإِنْ جَنَّ الْمَسَاءُ فَلا تَرَاهُمْ ... مِنَ الإِشْفَاقِ إِلا سَاجِدِينَا
كَذَلِكَ أَخْرَجَ الإِسْلامُ قَوْمِي ... شَبَابًا مُخْلِصًا حُرًا أَمِينًا
وَعَلَّمَهُ الْكَرَامَةَ كَيْفَ تُبْنِي ... فَيَأْبَى أَنْ يُقَيَّدَ أَوْ يَهُونَا

وقال الحسن عن راهب هذه الأمة عامر بن قيس: كان عامر يقول: من أُقْرِئُ؟ فيأتيه ناسٌ، فَيُقْرِئُهُمُ القرآن، ثم يقوم فيصلي إلى الظهر، ثم يصلي إلى العصر، ثم يُقرئُ الناسَ إلى المغرب، ثم يصلي ما بين العشاءين، ثم ينصرفُ إلى منزله فيأكل رغيفًا وينام نومة خفيفة، ثم يقوم لصلاته، ثم يتسحَّرُ رغيفًا ويخرج(٦).

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٣٠).
(٢) **مقلوليًّا:** المتجافي الذي يتملل ولا يستقر.
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٢٣).
(٤) «صفة الصفوة» (١/ ٢٥٤) لابن الجوزي.
(٥) المصدر السابق (١/ ٢٥٤).
(٦) «تاريخ الإسلام» (٣/ ٢٦).





وعن أبي الحسين المجاشعي، قال: قيل لعامر بن عبد قيس: أتُحدِّثُ نفسك في الصلاة؟ قال: أُحدِّثُها بالوقوف بين يدي الله ومنصرفي[١].

قال الذهبي: قيل: كان عامر لا يزال يصلي من طلوع الشمس إلى العصر، فينصرف وقد انتفخت ساقاه، فيقول: يا أمَّارةً بالسوء، إنما خُلِقْتِ للعبادة[٢].

وقال أبو حيالة: كان الربيع بن خُثيم يُقاد إلى الصلاة وبه الفالج - الشلل - فقيل له: قد رخص لك. قال: إني أسمع حيَّ على الصلاة، فإن استطعتم فأتوها ولو حبوًا[٣].

وقال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، كان من النُساك، وكان مُحافظًا على الصلاة في الجماعة والصف الأول[٤].

ثابت بن عمر بن عبد الله بن الزبير: سمع المؤذن يؤذن لصلاة المغرب وهو يجود بنفسه، وقد مرض مرضًا شديدًا - مرض الوفاة - فقال لأبنائه: احملوني إلى المسجد، فقالوا: أنت مريض والله قد عذرك، قال: أسمع حي على الصلاة، حي على الفلاح، وأصلي في البيت؟، والله لتحملوني إلى المسجد، فحملوه فقبضته الملائكة وهو في السجدة الأخيرة.

قال أحد أبنائه: كان أبي إذا صلى الفجر دعا الله وسأله أن يتوفاه على الميتة الحسنة[٥]. والميتة الحسنة: أن يتوفى الله العبد وهو ساجد.

أَحِنُّ اشْتِيَاقًا لِلْمَساجِدِ لا إِلى ... قُصُورٍ وَفُرُشٍ بِالطَّرازِ تُوَشَّحُ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٨).
(٣) «صفة الصفوة» (٦/ ٢٢٨).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٨).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٢٠)، وانظر: «صفة الصفوة» (٢/ ١٣١).



أُصَلِّي اشْتِيَاقًا لِلْعَلِيِّ لَعَلَّنِي أَجِدْ قُرَّةً لِلْعَيْنِ فِيهَا وَأُفْلِحُ
وَالْمُكْثُ فِيهَا عِزُّ قَلْبِي حَيَاتُهُ حَيَاةٌ لأَجْلِ الْغَالِي بِالدُّونِ أَسْمَحُ

وقال سفيان بن عيينة: سمعت عبد الكريم يقول: كان طلقٌ لا يركع إذا افتتح القراءة حتى يبلغ العنكبوت، وكان يقول: إني أشتهي أن أقوم حتى يشتكي صُلبي[١].

وقال يحيى بن سعيد: ما رأيت رجلًا أفضل من سفيان الثوري لولا الحديث، كان يصلي ما بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء صلاة، فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة وجاء[٢].

وقال وهب: رأيت سفيان في الحرم بعد المغرب، صلى ثم سجد سجدة فلم يرفع حتى نودي للعشاء[٣].

حفصة بنت سيرين: فاقت الرجال في شوقها إلى الصلاة، ولزومها مسجد بيتها، مكثت في صلاتها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو قائلة، وكانت تدخل مسجدها فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار فتركع، ثم تخرج، فيكون عند ذلك وضوؤها ونومها.

وكان ابنها الهُزيل يجمع لها الحطب في الصيف، فيكسره ويأخذ القصب فيفلقه، فإذا وجدت حفصة أمه بردًا في الشتاء جاء بالكانون فوضعه خلفها وهي في مصلاها، ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب وقودًا لا يؤذيها بها دخانه ويدفئها[٤].

فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَا ذَكَرْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٦٥)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٠١).
(٢) «الحلية» (٧/ ٦٣)، وانظر: «السير» (٧/ ٦٧).
(٣) «السير» (٧/ ١٨٢).
(٤) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٠).



وَمَا التَّأْنِيثُ لاِسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ ... وَمَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلالِ

فأين المبكِّرون إلى المساجد؟، وأين أصحاب الصف الأول، وأين المحافظون على التكبيرة الأولى ؟، فإن المساجد تشتكي إلى الله القطيعة، وقلة المصلين، فكثير من أهل الإسلام - إلا من رحم الله - جعلوا هذه الصلاة حجر عثرة في طريق عملهم، فقدموا العمل والبحث عن المال، ومصادر الكسب عن الصلاة، أكلوا نعم الله التي لا تُحصى ونسوا حقه، وأهملوا شعائره، وجعلوا هذه الفريضة آخر شيءٍ يفكرون فيه في حياتهم، فمن أين يأتي النصر؟، ومن أين يأتي التمكين؟، ومن أين يأتي الخير والفضل؟

وصدق من قال:

وَجَلْجَلَةُ الأَذَانِ بِكُلِّ حَيٍّ ... وَلَكِنْ أَيْنَ صَوْتٌ مِنْ بِلالِ
مَنَائِرُكُمْ عَلَتْ فِي كُلِّ سَاحٍ ... وَمَسْجِدُكُمْ مِنَ الْعُبَّادِ خَالِ

وقال آخر:

لا تُصْنَعُ الأَبْطَالُ إلا ... فِي مَسَاجِدِنَا الْفِسَاحْ
فِي رَوْضَةِ الْقُرْآنِ ... فِي ظِلِّ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحْ
شَعْبٌ بِغَيْرِ عَقِيدَةٍ ... وَرَقٌ تَذْرُوهُ الرِّيَاحْ
مَنْ خَانَ حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ ... خَانَ حَيَّ عَلَى الْكِفَاحْ

فوائد وثمرات الصلاة

محو الخطايا ورفع الدرجات:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هُود: ١١٤].





وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»(١).

استغفار الملائكة للمصلي:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يزال العبد في الصلاة ما كان في مصلاهُ ينتظر الصلاة، والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، حتى ينصرف أو يُحْدِثَ**»(٢).

إظلال الله للعبد يوم القيامة:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمالُهُ ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»(٣).

النور التام يوم القيامة:

عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٨٢٥]، ومسلم [٦٦٧]، **والمكاره**: هي البرد الشديد، أو المرض الذي يكسل صاحبه عن الحركة ونحو ذلك.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٤٧٧]، ومسلم [٦٤٩].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٦٦٠]، ومسلم [١٠٣١].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود [٥٦١]، والترمذي [٢٢٣]، وصححه الشيخ الألباني في «صحح الجامع» =





البراءة من النار:

عـن أنـس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قـال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من صلـى لله أربعين يومًا في جماعـة، يـدرك التكبـيرة الأولى، كتـب لـه براءتان: بـراءة من النار، وبـراءة من النفاق**»(١).

سبب لدخول الجنة:

قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩-١١].

اللهـم أرنا الحـق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنـا الباطل باطلًا وارزقنـا اجتنابه، ونبهنا إلى اغتنـام أوقـات المهلة، وأيقظنا من رقـدة الفضلة، وصلى الله على نبينـا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



= برقم [٢٨٢٣].

(١) حسن: رواه الترمذي [٢٥٩]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٦٣٦٥].



الحج

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وعمرتان تكفران ما بينهما من الذنوب**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٣).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته - قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا**»(٤).

فضل المتابعة بين العمرة والعمرة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لمابينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(٥).

قوله: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما**» أشار ابن عبد البر إلى أن المراد تكفير الصغائر قال: وذهب بعض العلماء من عصرنا إلى تعميم ذلك، ثم بالغ في الإنكار عليه. واستشكل بعضهم كون العمرة كفارة مع أن اجتناب الكبائر يكفر فماذا العمرة؟.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد [١٠١٩٩].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٣٣٥٧].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي [٨١٦].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [١٢٦٥].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [١٧٧٣]، ومسلم [١٣٤٩]، ومالك في «الموطأ» [٩٩٠].

والجواب: أن تكفير العمرة مقيد بزمنها، وتكفير الاجتناب عام لجميع عمر العبد، فتغايرا من هذه الحيثية. وأما مناسبة الحديث لأحد شقي الترجمة وهو وجوب العمرة فمشكل، بخلاف الشق الآخر وهو فضلها فإنه واضح، وكأن المصنف والله أعلم أشار إلى ما ورد في بعض طرق الحديث المذكور وهو ما أخرجه الترمذي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا «**تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة بينهما تنفي الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد. وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»، فإن ظاهره التسوية بين أصل الحج والعمرة فيوافق قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إنها لقرينتها في كتاب الله» وأما إذا اتصف الحج بكونه مبرورًا قدر زائد، ووقع عند أحمد وغيره من حديث جابر مرفوعًا: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**». قيل يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بر الحج؟ قال: «**إطعام الطعام وإفشاء السلام**»، ففي هذا تفسير المراد بالبر في الحج، ويستفاد من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المذكور المراد بالتفكير المبهم في حديث أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي حديث الباب دلالة على استحباب الاستكثار من الاعتمار خلافًا لقول من قال يكره أن يعتمر في السنة أكثر من مرة كالمالكية ولمن قال مرة في الشهر من غيرهم واستدل لهم بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعلها إلا من سنة إلى سنة، وأفعاله على الوجوب أو الندب، وتعقب بأن المندوب لم ينحصر في أفعاله، فقد كان يترك الشيء وهو يستحب فعله لرفع المشقة عن أمته، وقد ندب إلى ذلك بلفظه فثبت الاستحباب من غير تقييد. واتفقوا على جوازها في جميع الأيام لمن لم يكن متلبسًا بأعمال الحج، إلا ما نقل عن الحنفية أنه يكره في يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق[١].



(١) «فتح الباري» لابن حجر (٥/ ٤٧١).

الحياء

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار**»(١).

الحياء: أمارة صادقة على طبيعة الإنسان، فهو يكشف عن قيمة إيمانه ومقدار أدبه. وعلى حسب حياة القلب، يكون خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم، وهو يتولد من رؤية الآلاء ورؤية التقصير، وحقيقته: خلقٌ يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق.

الله عَزَّ وَجَلَّ حيي يحب الحياء:

عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله حييٌ كريم، يستحي أن يرفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين**»(٢).

وعن يعلى بن أُمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله تَعَالَى حييٌّ ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما حياءُ الرب تَعَالَى من عبده، فذاك نوعٌ آخر، لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياءُ كرم وبر وجود وجلال، فإنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى حييٌّ كريم، يستحي من عبده، إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي [٢١٤٠] وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٥٤٧].
(٢) **صحيح**: رواه أبو داود [١٤٨٨]، والترمذي [٣٥٥٦]، وقال الترمذي «حسن غريب» وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ١٧٩)، و«صحيح ابن ماجه» (٢/ ٣٣١).
(٣) **صحيح**: رواه أبو داود [٤٠١٢]، والنسائي [٤٠٧]، والبيهقي (٦/ ١٦١)، وأحمد (٤/ ٢٢٤)، وصححه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٧/ ٣٦٧)، و«صحيح سنن النسائي» (١/ ٨٧).
(٤) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦١) لابن القيم، ط: دار الأدب العربي.

وقال المباركفوري: «قوله: إن الله حييٌّ»: فعيل من الحياء، أي: كثير الحياء، ووصفه تَعَالَىٰ بالحياء يُحمل على ما يليق به، كسائر صفاته، نؤمن بها ولا نكيفها»(١).

وقال المناوي: «قال التوربشتي: وإنما كان الله يحب الحياء والستر، لأنهما خصلتان يُفضيان به - إلى التخلق بأخلاق الله»(٢).

وقال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من وافق الله في صفة من صفاته، قادته تلك الصفة إليه بزمامها، وأدخلته على ربه، وأدنته وقربته من رحمته، وصيرته محبوبًا، فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء، كريم يُحب الكرماء، عليم يحبُ العلماء، قويٌّ يحبُ المؤمن القوي،وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حييٌّ يُحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال وترٌ يحب الوتر»(٣).

فضائل الحياء:

الحياة خُلُقٌ عظيم، ومقامٌ كبير، ويكفي أنه صفة من صفات رب العالمين.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(٤).

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لكل دين خُلقًا، وإن خُلُق الإسلام الحياء**»(٥).

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٩/ ٥٤٤) للمباركفوري، ط: دار ابن حزم.

(٢) «فيض القدير» (٢/ ٢٢٨) للمناوي، ط: دار إحياء التراث.

(٣) «الجواب الكافي»، ص: [٧٧] لابن القيم، ط: دار الدعوة، وانظر: «الحياء خُلق الإسلام» (٢٠/ ٢٢) لمحمد اسماعيل المقدم، ط: دار الصفوة.

(٤) صحيح: رواه البخاري [٣٢٩٦]، وأحمد (٤/ ١٢١)، وابن ماجه [٤١٨٣].

(٥) حسن: رواه ابن ماجه [٤١٨١]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢١٤٥]



وعن عمران بن حُصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحياء خيرٌ كله**»(١).

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»(٢).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الحياء والإيمان قُرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر**»(٣).

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحياء والعي**(٤) **شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان**(٥) **شعبتان من النفاق**»(٦).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحياء من الإيمان**»(٧).

إن الحياء من الإيمان جاء به ... لفظ النبي وخير كله فيه

فليتصف كل من يرى مشاهده ... وليس يعرف هذا غير منتبه

مستيقظ غير نوام ولا كسل ... مراقب قلبه لدى تقلبه

إن الحيي من أسماء الله وقد ... جاء التخلق بالأسماء فاحظ به

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٣٧].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٥٧٦٦]، ومسلم [٣٧].

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٣)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٦/ ١٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» [١٣١٣]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٥٩٩].

(٤) **العي**: سكوت اللسان خشية الوقوع فيما لا يحل.

(٥) **البيان**: فصاحة اللسان وإن كان بغير حق.

(٦) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٠٢٧]، وأحمد(٥/ ٢٦٩)، والحاكم (١/ ٥١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣١٩٦].

(٧) **صحيح**: رواه مسلم [٣٦]، والترمذي [٢٦١٥].







وقال أعرابي من طيئ:

فلا وأبيك ما في العيش خير	**ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ**
يعيش المرءُ ما استحيا بخير	**ويبقى العُودُ ما بقى اللحاءُ**

وقال الشاعر طرفة بن العبد:

حياؤكَ فاحفظهُ عليكَ فإنما	**يدل على فضل الكريم حياؤهُ**
إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قل حياؤُهُ	**ولا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤهُ**

قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «الحياء رأس مكارم الأخلاق».

وقال ابن عطاء: «**العلم الأكبر:** الهيبة والحياء، فإذا ذهبت الهيبة والحياء، لم يبق فيه خير، أي في القلب».

وقال ذو النون: «الحياء وجود الهيبة في القلب، مع وحشةٍ ما سبق منك من ربك».

وقال أبو العباس المؤدب: «قال السري: إن الحياء والأنس يطرقان القلب، فإذا وجدا فيه الزهد والورع: حطَّا، وإلاَّ رَحَلاَ».

وقال الفضيل: «خمس من علامات الشقاء: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل».

وقال أبو علي الدقاق: «الحياءُ ترك الدعوى بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ».

وقال أبو بكر: «ربما أُصلي لله تَعَالَىٰ ركعتين، فأنصرف عنهما وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة، من الحياء».

وقال وهب بن منبه: «الإيمان عريان، ولباسُه التقوى، وزينته الحياء».





وقال الحسن: «الحياءُ والتكرُّم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبدٍ إلا رفعه الله بهما».

وقال الأصمعي: «سمعت أعرابيًا يقول: من كساه الحياء ثوبه، خفي عن الناس عيبهُ».

وفي التفسير: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]. قالوا: الحياء.

«والحياء تمام الكرم، ومواطن الرضا، وممهد الثناء، وموفر العقل، ومعظم القدر، وداع إلى الرغبة».

وقيل: «كفي بالحياء على الخير دليلاً، وعن السلامة مخبرًا، ومن الذم مجيرًا»[(١)].

قال العرجي:

إذا حُرِمَ المرءُ الحياءَ فإنه	بكل قبيح كان منه جدير
له قحة في كل شيء وسره	مباح وجدناه خنا وغرور
يرى الشتم مدحا والدناءة رفعة	وللسمع منه في العظات نفور
ووجه الحياء ملبس جلد رقة	بغيض إليه ما يشين كثير
له رغبة في أمره وتجرد	حليم لدى جهل الجهول وقور

أقسام الحياء:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينقسم الحياء إلى عشرة أوجه: حياء الجناية. وحياء التقصير. وحياء الإجلال. وحياء الكرم. وحياء الحشمة. وحياء استصغار النفس واحتقارها وحياء المحبة. وحياء العبودية. وحياء شرف وعزة. وحياء المُستحي من نفسه»[(٢)].

(١) هذه الآثار من كتاب «مكارم الأخلاق»: ص:[١٦]. لابن أبي الدنيا، ط: دار المعارف، و«بهجة المجالس» (١/ ٥٩٠) لابن عبد البر، «ولبان الآدب»، ص: (٢٨٤ - ٢٨٧). لأسامة بن منقذ، ط: مكتبة السنة.

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦١) للإمام ابن القيم، ط: دار الأدب العربي.



أولاً- حياء الجناية:

ومنه: حياء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما فر هاربًا في الجنة، قال الله تَعَالَىٰ له: أفرارًا مني يا آدم، قال: لا يا رب، بل حياءً منك.

ومنه: حياء الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في عرصات القيامة، وليس عندهم ما يُزري بمراتبهم العالية السامية.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة، فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يُريحنا من مكاننا هذا، قال: فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من رُوحه، وأمر الملائكة فسجدُوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لستُ هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها. .ولكن ائتوا نوحًا: أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. قال: فيأتون نوحًا، فيقول: لستُ هناكُم. فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها. . ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا. فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم. وذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها. ولكن ائتو موسى الذي كلمه الله، وأعطاه التوراة قال: فيأتون موسى، فيقول: لستُ هناكم. ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها. . ولكن ائتو عيسى روح الله وكلمته، فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا، عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فيأتونني، فأستأذن على ربي، فيُؤْذَن لي، فإذا أنا رأيته وقعت ساجدًا، فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد، ارفع، قل يُسمع، سل تعطه، اشفع تشفع**»(١).

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٧٠٠٢]، ومسلم [١٩٣].

قال محمد بن حاتم: قال الفُضيل بن عياض: «لو خُيرتُ بين أن أُبعث فأدخل الجنة، وبين أن لا أُبعث، لا خترت أن لا أبعث». قيل لمحمد بن حاتم هذا من الحياء، قال: نعم وشهد الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ الموقف الأشرف يوم عرفات، فرفع رأسه إلى السماء، وقد قبض على لحيته، وهو يبكي بكاء الثكلي، ويقول: «واسوأتاه منك، وإن عفوت!!».

يا خجلة العبد من إحسان سيده — يا حسرة القلب من ألطاف معناه

فكم أسأت وبالإحسان قابلني — واخجلتي واحيائي حين ألقاه

يا نفس كم بخفي اللطف عاملني — وقد رآني على ما ليس يرضاه

يا نفس كم زلة زلت بها قدمي — وما أقال عثاري ثم إلا هو

يا نفس توبي إلى مولاك واجتهدي — وصابري فيه إيقانًا برؤياهُ

لما احتُضر الأسود بن يزيد بكى، فقيل له: «ما هذا الجزعُ، قال: مالي لا أجزعُ! ومن أحقُ بذلك مني! والله لو أُتيتُ بالمغفرة من الله عَزَّوَجَلَّ لأهمني الحياء منه مما صنعتُ! إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، ولا يزالُ مستحييًا منه..».

يا حسرةَ العاصين عند معادهم — هذا وإن قدموا على الجنات

لو لم يكن إلا الحياء من الذي — ستر القبيح فيالها حسرات

قال الحسن: «لو لم نبك إلا للحياء من ذلك المقام، لكان ينبغي لنا أن نبكي فنُطيل البكاء».

دخل أبو حامد الخلقاني على الإمام أحمد، إمام أهل السنة والجماعة، فأنشده هذه الأبيات.

إذا ما قال لي ربي — أما استحييت تعصيني

وتُخفي الذنب من خلقي — وبالعصيان تأتيني



فـمـا قـولـي لـه لمـا ... يُـعـاتـبـني ويـقـصـيـني

فأمره الإمام أحمد بإعادتها، فأعادها عليه، فدخل غرفته وأغلق على نفسه وجعل يُردد هذه الأبيات ويبكي.

إذا ماخلوت الدهر يومًا ... فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيبُ
ولا تحسبن الله يغفل طرفة ... أو أن ما تُخفيه عنه يغيب

■■■

وإذا خلوت بريبة في ظلمة ... والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقُل لها ... إن الذي خلق الظلام يراني

حياء التقصير:

كحياء الملائكة الذين يسبحون لله تَعَالَىٰ تسبيحًا لا ينقطع لا في الليل ولا في النهار، ومستغرقين في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وهم يفخرون على بني الإنسان بذلك، وحق لهم أن يفخروا، ومع هذا فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ما عبد ناك حق عبادتك.

حياء الإجلال:

هو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه، قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله، إن كنتُ لأشد الناس حياء من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما ملأتُ عيني من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا راجعته بما أريد، حتى لحق بالله عَزَّوَجَلَّ، حياءً منه»[(١)].

وهاهو عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في موقف يظهر حياءه إجلالًا لكبار الصحابة ممن هم أسنُ منه:

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٠٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٣٥٧].





فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟**» فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة. قال عبد الله: فاستحييتُ، فقالوا يا رسول الله، أخبرنا بها. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هي النخلة**». قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلى من أن يكون لي كذا وكذا(١).

أشتاقه فإذا بدا	**أطرقت من إجلاله**
لا خيفة بل هيبة	**وصيانة لجماله**
الموت في إدباره	**والعيش في إقباله**
وأصد عنه إذا بدا	**وأروم طيف خياله**

حياء الكرم:

كحياء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وطولوا الجلوس عنده، فقام واستحيا أن يقول لهم: انصرفوا، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

حياء الحشمة:

كحياء علي بن أبي طالب أن يسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المذى، لمكان ابنته منه: عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ رجلاً مذاء، فأمرت المقداد أن يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله، فقال: «**فيه الوضوء**». ولفظه في رواية أخرى: كنتُ رجلاً مذاء، فأمرت رجلاً أن يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لمكان ابنته - فسأل، فقال: «**توضأ واغسل ذكرك**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه البخاري [٦١].

(٢) صحيح: رواه البخاري [١٧٦]، واللفظ له، ومسلم[٣٠٣]، وأبو داود [٢٠٦]، والنسائي [١٥٧].



حياء الاستحقار واستصغار النفس:

كحياء العبد من ربه عَزَّوَجَلَّ حين يسـأله حوائجه، احتقارًا لشـأن نفسه، واستصغارًا لها.

حياء المحبة:

هو حياء المحب من محبوبه، حتى إنه إذا خطر على قلبه في غيبته، هاج الحياء من قلبه وأحس به في وجهه ولا يدري ما سببه.

حياء العبودية:

هو حياء ممتزج من محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدره أعلى وأجل منها، فعبوديته له تستوجب استحياءه منه، لا محالة.

حياءُ الشرف والعزة:

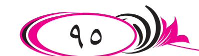
أما حياء الشرف والعزة: فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها، من بذل أو عطاء وإحسان، فإنه يستحي - مع بذله - حياء شرف وعزة.

عـن معاويـة بـن حيـدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلـت: يـا رسـول الله، عوراتنا ما نـأتي منها ومـا نـذرُ، قال: «**احفـظ عورتك إلا من زوجـك أو ما ملكت يمينك**». قلت: يا رسـول الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض، قال: «**إن اسـتطعت أن لا يرينها أحد، فلا ترينها أحدًا**».

قلـت: يـا رسـول الله، إذا كان أحدنا خاليًـا، قال: «**الله أحق أن يسـتحيا منه من الناس**»[1].

(١) حسـن: رواه أبو داود [٤٠١٧]، والترمذي [٢٧٦٩]، وأحمد (٥/ ٣)، والحاكم (٤/ ١٩٩)، وحسنه الشيخُ الألباني في «آداب الزفاف»، ص: [١١٢].





قال بلال بن سعد: «لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى كبرياء من واجهته بها».

وقال بعضهم: خلا رجل بامرأة فأرادها على الفاحشة، فقالت له: «انظر هل يرانا من أحد، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب. فقالت له: فأين مكوكبها؟!»

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذات يوم لأصحابه: «**استحيوا من الله حق الحياء**» قالوا: إنا نستحي يا رسول الله. قال: «**ليس ذاكم، ولكن**».

من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعي، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا. فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[(١)].

يحفظ الرأس وما وعى: بجميع حواسه الظاهرة والباطنة، فلا يستعملها إلا فيما يحل. **ويحفظ البطن وما حوى:** ما جمعه جوفه باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين، فلا يستعمل منها شيئًا **أحدها**- هذا.

وثانيهما- استحياؤه من الآخذ حتى كأنه هو الآخذ السائل، حتى إن بعض أهل الكرم لا تُطاوعه نفسه بمواجهته لمن يُعطيه حياءً منه،وهذا يدخل في حياء التلوم؛ لأنه يستحي من خجلة الآخذ.

حياء المرء من نفسه:

وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة، من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدون، فيجد نفسه مُستحييًا من نفسه حتى كأنّ له نفسين،

---

(١) حسن: رواه الترمذي [٢٥٨٨]، والحاكم (٤/ ٣٢٣)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٩٩).



يستحي بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإن العبد إذا استحيا من نفسه، فهو بأن يستحي من غيره أجدر(١).

مراتب الاستحياء:

المرتبة الأولى - الاستحياء من الله:

يا من يشير إليهم المتكلم ... وإليهم يتوجه المتظلم

وشغلتم كلمي بكم وجوارحي ... وجوانحي أبدًا تحن إليكم

وإذا نظرت فلست أنظر غيركم ... وإذا سمعت فمنكم أو عنكم

وإذا نطقت ففي صفات جمالكم ... وإذا سألت الكائنات فعنكم

وإذا رويت فمن طهور شرابكم ... وبذكركم في خلوتي أترنم

المرتبة الثانية- الاستحياء من الملائكة: الحياء من أخلاق الملائكة كما يبين عنه حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعًا: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!**»(٢).

قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «قال بعض الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن معكم من لا يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرموهم». ولا ألأم ممن لا يستحي من الكريم العظيم القدر، ولا يُجله ولا يوقره، وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]. **أي:** استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصى بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بأذى الكرام الكاتبين؟!»(٣).

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦١ - ٢٦٣) للإمام ابن القيم، ط: دار الأدب العربي.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٢٤٠١].

(٣) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، ص: (١٢٧ - ١٢٨) لابن قيم الجوزية، ط: دار الدعوة.



المرتبة الثالثة- الاستحياء من النفس: من استحيا من الناس، ولم يستحي من نفسه، فنفسه أخسُّ عنده من غيره، لأنه يراها أحقر من أن يستحيا منها. ومن استحيا منها، ولم يستحي من الله، فلعدم معرفته بالله عَزَّوَجَلَّ، فحق الإنسان إذا هم بقبيح أن يتصور أحدًا من نفسه كأنه يراه، فالإنسان يستحي ممن يكبرُ في نفسه، ولذلك لا يستحي من الحيوان، ولا من الأطفال، ولا من الذين لا يميزون، ويستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل، ومن الجماعة، أكثر مما يستحي من الواحد، ومن ثم قال بعض السلف: «من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده قدرٌ».

المرتبة الرابعة- الاستحياء من الناس: الحياء من الناس خلُق حسن جميل، يمنع من المعايب، ويشيع الخير والعفاف، ويُعود النفس ركوب الخصال المحمودة.

قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا خير فيمن لا يستحي من الناس».

وقال مجاهد: «لو أن المسلم لم يصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه».

وقال بعضهم: «أحي حياءك بمجالسة من يُستحيا منه»، فلا أحد من الفسقة إلا وهو يستحي من عمل القبيح على أعين أهل الصلاح وذوى الهيئات والفضل أن يروه وهو فاعله، والله مطلع على جميع أفعال خلقه، فالعبد إذا استحيا من ربه استحياءه من رجل صالح من قومه، تجنب جميع المعاصي، فيالها من وصية ما أبلغها! وموعظة ما أجمعها!! وقد نصب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحياء حكمًا على أفعال المرء وجعله ضابطًا وميزانًا فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما كرهت أن يراه الناس، فلا تفعله إذا خلوت**»(١).

---

(١) **حسن:** رواه ابن حبان في «روضة العقلاء»، ص: [٢٦٠]، والضياء في «المختارة» (١/ ٤٤٩)، وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم[١٠٥٥].



أمثلة ونماذج عظيمة من خلق الحياء

حياءُ نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لقد كان الحياءُ شريعة الأنبياء، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن موسى كان رجلاً حييا ستيرًا، لا يُرى من جلده شيء، استحياءً منه**»(١).

حياءُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا كرههُ، عرفناه في وجهه»(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «سألت امرأة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف تغتسل من حيضتها؟ قالت: فذكرت أنه علمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فرصةً من مسك فتطهر بها. قالت: كيف أتطهر بها، قال: تطهري بها سبحان الله!!» واستتر بيده على وجهه.

قالت عائشة: واجتذبتها إلي، وعرفتُ ما أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم»(٣).

إن البيوت معادن فنجاره	**ذهب وكل بيوته ضخم**
عقم النساء فلن يلدن شبيههُ	**إن النساء بمثله عُقم**
مُتهلل بـ «لا» متباعد	**سيان منه الوفر والعدم**
نزر الكلام من الحياء تخاله	**سقمًا وليس بجسمه سُقمُ**

حياء عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لقد اختص الله عَزَّ وَجَلَّ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمزية خاصة في هذا الخلقُ الكريم.

---

(١) صحيح: رواه البخاري [٣٢٢٣]،والترمذي [٣٢٢١]، وأحمد (٢/ ٥١٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري [٣٧٤٥].

(٣) صحيح: رواه مسلم [٣٣٣٢].



فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس عثمان، فجلس رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: دخل أبو بكر فلم تهتش له، ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك!! فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!»[(١)].

وذكر الحسن البصري عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وحياءه، فقال:

«إن كان ليكون في البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يُقيم صُلبه».

حياءُ أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أبو موسى إذا اغتسل في بيت مظلم تحادب، وحنى ظهره حتى يأخذ ثوبه، ولا ينتصب قائمًا».

وقال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كان أبو موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا نام لبس ثوبًا عند النوم مخافة أن تنكشف عورته».

وعن عبادة بن نسي قال: «رأي أبو موسى قومًا يقفون في الماء بغير أُزُر، فقال: «لأن أموت ثم أُنشر، ثم أموت ثم أُنشر، ثم أموت ثم أُنشر، أحب إلى من أن أفعل مثل هذا».

حياء محمد بن الفضل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال محمد بن الفضل: «ما خطوتُ أربعين سنة خطوةً لغير الله، وأربعين سنة ما نظرتُ في شيء أستحسنهُ حياءً من الله».

(١) صحيح: رواه مسلم [٢٤٠١].



حياء عامر بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال أبو عمران الجويني: قيل لعامر بن قيس: إنك تبيتُ خارجًا، أما تخاف الأسد؟ قال: إني لأستحي من ربي أن أخاف شيئًا دونه».

أبو مسلم الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال أبو مسلم الخولاني: «من نعمة الله عليَّ: أنني منذ ثلاثين سنة ما فعلتُ شيئًا يُستحيا منه، إلا قربي من أهلي».

عمرو بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال محمد بن سيرين: «ما غشيت امرأة قط، لا في يقظة ولا في نوم غير أم عبد الله، وإني لأرى المرأة في المنام، فأعلم أنها لا تحل لي، فأصرف بصري».

قال بعضهم: «ليت عقلي في اليقظة كعقل محمد بن سيرين في المنام»[(١)].

يقظاته ومنامه شرع	كل بكل فهو مشتبه
إن هم في حلم بفاحشة	زجرته عفته فينتبه



(١) هذه الآثار من كتاب «مكارم الأخلاق» ص: [٢٠] لابن أبي الدنيا، كتاب «الحياء»، ص: [٢٩] للشيخ محمد إسماعيل، وكتاب «الحلية» (٤/ ١٥٦ – ١٥٧) لأبي نُعيم، وكتاب «رُهبان الليل» (١/ ٣٦٦) للعفاني، وكتاب «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٨٩ – ١٩٠) للذهبي.





الصدق

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزالُ الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يُكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يُكتب عند الله كذابًا**»(١).

والصدق: هو منزل القوم الأعظم، الذي منه تنشأُ جميع منازل السالكين. والطريق الأقوم الذي من لم يَسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين. وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسُكان الجنان من أهل النيران. وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تُرد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمتهُ، فهو روح الأعمال، ومحكُ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال. وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة «النبوة» التي هي أرفع العالمين. ومن مساكنهم في الجنات: تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين. كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مددٌ متصلٌ ومعين.

فضائل الصدق:

قد أمر الله عَزَّوَجَلَّ أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين، وخص الُمنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٠٩٤]، ومسلم [٢٦٠٧].



وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

ولا يزال الله يُمدهم بأنعُمه وألطافه إحسانًا منه وتوفيقًا. ولهم مرتبةُ المعية مع الله، فإن الله مع الصادقين. ولهم منزلةُ القرب منه، إذ درجتهم منه ثاني درجة النبيين.

وأخبر تعالى عن أهل البر، وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم - من الإيمان والإسلام، والصدقة، والصبر - بأنهم أهل الصدق، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾

[البقرة: ١٧٧]

وهذا صريح في أن «الصدق» بالأعمال الظاهرة والباطنة، وأن «الصدق» هو مقام الإسلام والإيمان.

وقسم الله عز وجل الناس إلى صادق ومنافق، فقال سبحانه: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

والإيمان أساسه الصدق، والنفاقُ أساسُه الكذب، فلا يجتمع كذبٌ وإيمان إلا وأحدُهما محاربٌ للآخر.

وأخبر سبحانه أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد ويُنجيه من عذابه إلا صدقُه، قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].



وقد أمر الله رسوله أن يسأله أن يجعل مُدخله ومخرجه على الصدق، فقال تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾

[الإسراء: ٨٠]

وأخبر عن خليله إبراهيم ﷺ أنه سأله أن يهب له لسان صدقٍ في الآخرين، فقال تعالى: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤].

وبشر عباده بأن لهم قدم صدق، ومقعد صدق، فقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

[القمر: ٥٤ - ٥٥]

وحقيقةُ الصدق في هذه الأشياء: وهو الحقُّ الثابت المتصل بالله، والموصل إلى الله.

وهو ما كان به وله، من الأقوال والأعمال، وجزاءُ ذلك في الدنيا وفي الآخرة.

فمدخل الصدق، ومُخرج الصدق أن يكون دخولُه وخروجه حقًّا ثابتًا بالله، وفي مرضاته. كمُخرجه ﷺ هو وأصحابه يوم بدر، وكذلك مُدخلُه ﷺ المدينة كان مُدخل صدق بالله ولله، وابتغاء مرضاة الله، فاتصل به التأييد والظفر والنصر، وإدراكُ ما طلبه في الدنيا والآخرة.

فكُل مُدخلٍ ومُخرجٍ كان بالله ولله، فصاحبُه ضامنٌ على الله، فهو مُخرجُ صدقٍ ومُدخَلُ صدق.

وكان بعض السلف إذا خرج من داره رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم إني أعوذ بك أن أخرج مخرجا لا أكون فيه ضامنًا عليك».

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجوريهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»(١).

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حفظت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دع ما يريبك(٢) إلى ما لا يريبُك، فإن الصدق طُمأنينةٌ، والكذب ريبةٌ**»(٣).

وعن أبي ثابت، وقيل: أبي سعيد،وقيل أبي الوليد، سهل بن حنيف وهو بدريٌّ(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**من سأل الله تَعَالَىٰ الشهادة بصدق بلغهُ منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»(٥).

وعن أبي سفيان صخر بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل في قصة هرقل، وقال هرقل: فماذا يأمركم؟ - يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال أبو سفيان: قُلتُ: يقول: «**اعبدوا**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٠٩٤]، ومسلم [٢٦٠٧].

(٢) **ما يريبك**: اترك ما تشك في حلّه واعدل إلى ما لا تشك فيه.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي[٢٥١٨]، والنسائي [٥٢٢٠]، وصححه الشيخ الألباني في «الظلال» برقم [١٧٩].

(٤) **بدري**: شهد غزوة بدر، والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم [١٩٠٩]، وفي الحديث: أن صدق القلب سبب لبلوغ الأرب، وأن من نوى شيئًا من عمل البر أثيب عليه وإن لم يتفق له عمله. «دليل الفالحين» (١/ ٢٥٨).



الله وحده لا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف، والصلة»(١).

وعن أبي خالد حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بُورك لهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما**»(٢).

وقال عبد الله بن مسعود: «إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى ما يكون للفجور في قلبه موضعُ إبرةٍ يستقر فيه. وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى ما يكون للبر في قلبه موضعُ إبرةٍ يستقر فيه».

وقال الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عليكم بالصدق، فإنه مع البر وهما في الجنة».

وقال إبراهيم الخواص: «الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه، أو فضل يعملُ فيه».

وقال يوسف بن أسباط: «لأن أبيت ليلة أعاملُ الله بصدق، أحب إلى من أن أضرب بسيفي في سبيل الله».

وقال الحارث المُحاسبي: «الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدرٍ له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يُحبُ اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله».

وقال سهلُ بنُ عبد الله: «أولُ خيانة الصديقين: حديثهم مع أنفسهم».

وقال أبو قراب النخشبي: «إذا صدق العبدُ في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، فإذا أخلص فيه وجد ريح الجنة قبل أن يقاتل».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٧]، ومسلم [١٧٧٣]، **والعفاف**: الكف عن المحارم وخوارم المروءة. **والصلة**: صلة الأرحام. «دليل الفالحين» (١/ ٢٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٠٧٩]، ومسلم [١٥٣٢].

وقال محمد بن سعيد المروزي: «إذا طلبت الله بالصدق، آتاك الله تَعَالَىٰ مرآة بيدك تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة».

وقال محمد بن كعب: «إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه عليه».

وقال الجُنيد: «الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة، والمُرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة».

وقال بعضهم: «من لم يؤد الفرض الدائم، لم يقبل منه الفرض المؤقت. قيل: وما الفرض الدائم؟ قال: الصدق».

وقيل: «من طلب الله بالصدق، أعطاه الله مرآة يبصر فيها الحق والباطل».

وقيل: «ثلاث لا تُخطئ الصادق: الحلاوة، والملاحةُ والهيبة».







درجات الصدق

الصدق في القول:

قال الجنيد: «حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا يُنجيك منه إلا الكذب».

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يصلحُ الكذب في هزل ولا جد، ولا أن يعد أحدكم حبيبه شيئًا ثم لا ينجزه به».

وقال إسماعيل بن عُبيد الله المخزومي: «أمرني عبدُ الملك بن مروان أن أُعلم بنيه الصدق كما أعلمهم القرآن، وأن أجنبهم الكذب وإن كان فيه القتل».

كلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له: «كذبت.فقال عمر: ما كذبتُ مذ علمت أن الكذب يُشين صاحبه».

وقال مطرف: «ما أُحب أني كذبتُ وأن لي الدنيا وما فيها».

وقال إياس بن معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما يسرني أني كذبت كذبة فغفرها الله عَزَّوَجَلَّ لي وأُعطى عليها عشرة آلاف درهم، ويعلمُ بها أبي - معاوية بن قرة -» **يعني:** إجلالاً لأبيه لا يطلع عليه.

وقال الفضيل بن عياض: «ما من مُضغة أحبُ إلى الله من لسان صدوق، وما من مضغةٍ أبغض إلى الله من لسان كذوب».

وقال أبو سليمان: «اجعل الصدق مطيتك، والحق سيفك، والله غاية طلبتك».

وقال: «من كان الصدقُ وسيلته، كان الرضا من الله جائزته».

وقال ذو النون المصري: «الصدقُ سيف الله في أرضه، ما وضع على شيء إلا قطعه».



الصدق في النية والإرادة:

وذلك يرجع إلى الإخلاص، وهو أن يكون لا باعث له في الحركات والسكنات إلا الله تَعَالَىٰ، إن مازجه شوبٌ من حظوظ النفس بطل صدق النية، وصاحبُه يجوز أن يُسمى كاذبًا. ففي الحديث: «أول من تُسعر بهم النار»: كذبت بل أردت أن يُقال: فلان عالم»[(١)].

فإنه لم يُكذبه ولم يقل له: «لم تعمل» ولكن كذبه في إرادته ونيته، قال تَعَالَىٰ عن المنافقين: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التَّوۡبَةِ: ١٠٧].

فمن شهد في إخلاصه الإخلاص، احتاج إخلاصُه إلى إخلاص.

الصدق في العزم:

فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل، فيقول مثلاً في نفسه: «إن رزقني الله مالًا تصدقتُ بجميعه». وهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه، وهي عزيمة جازمة صادقة، وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة.

والصادق في عزمه: هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد، بل تسخو نفسه أبدًا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات، وهو كما قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لأن أقدم فتضرب عُنقي، أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

ومراتب الصديقين في العزائم تختلف، فقد يصادف العزم، ولا ينتهي به إلا أن يرضي بالقتل فيه، ولكن إذا خُلي ورأيه يُقدم، ولو ذُكر له حديث القتل لم ينقض عزمه، بل في الصادقين والمؤمنين من لو خُير بين أن يُقتل هو أو أبو بكر، كانت حياته أحب إليه من حياة أبي بكر الصديق.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [١٤٧٥].





الصدق في الوفاء بالعزم:

فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال، إذ لا مشقة في الوعد والعزم، فإذا حُقت الحقائق، وماجت الشهوات، وانجلت العزيمة لم يتحقق الوفاء بالعزم.

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: قال عمي أنس بن النضر - سُميتُ به -، ولم يشهد «بدرًا» مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر عليه، فقال: أول مشهد قد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبتُ عنه! أما والله لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما أصنع.. قال: فهاب أن يقول غيرها.. فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم «أُحُد» من العام القابل، فاستقبله سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: يا أبا عمرو، إلى أين؟ قال: واها لريح الجنة أجدُها دون أحد.. فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضعٌ وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه..ونزلت هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣][(١)].

لله دره من صادق رباني!! يجد حلاوة العمل قبل الشروع فيه، يجد ريح الجنة قبل أن يقاتل! وما هذا إلا لصدقه في الوفاء والعزم.

الصدق في الأعمال:

مخالفة الظاهر للباطن عن قصدٍ هي الرياء، وإن كانت عن غير قصدٍ، يفوت بها الصدق، فقد يمشي الرجل على هيئة السكوت والوقار وليس باطنه موصوفًا بذلك الوقار، فهذا غير صادق في عمله، وإن لم يكن مرائيًا.

(١) صحيح: رواه البخاري [٣٨٠٥]، ومسلم [١٩٠٣]، والترمذي [٣٢٠١].



قال يزيد بن الحارث: «إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف، وإذا كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإذا كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور».

وقال عبد الواحد بن زيد: «كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أعمل الناس به، وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له، ولم أر أحدًا قط أشبه سريرة بعلانية منه».

وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول: «إلهي، عاملتُ الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة، وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة» ويبكي.

وقال أبو يعقوب النهر جوري: «الصدق موافقة الحق في السر والعلانية».

الصدق في مقامات الدين:

ومنها: الصدق في المحاسبة والمجاهدة والتوبة.

قال جعفر الصادق: الصدق هو المجاهدة، وأن لا تختار على الله غيره، كما لم يختر عليك غيرك، قال تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

والصدق في التوبة يكون بالتوبة النصوح، لا يعود إلى الذنب مرة ثانية حتى يعود اللبن في الضرع.

الصدق في التوكل:

أن يرد عليك موارد الفاقات، فلا تسموإلا إلى من إليه الكفايات، والاستسلام لتدبير الرب لك فيما يفعله بك، لا فيما أمرك بفعله، وأن تنزل أمورك كلها بالله طلبًا واختيارًا، لا تحرجا واضطرارًا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أُشهدهم. فقال: كفى بالله شهيدًا**».



قـال: فأتنـي بالكفيل. قال كفى بـالله كفيلاً. قـال: صدقت: فدفعهـا إليه إلى أجل مسـمى فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليها للأجل الذي أجلـه، فلـم يجد مركبًا، فأخذ خشـبة، فنقرها، فأدخل فيها ألف دينـار، وصحيفة منه إلى صاحبـه، ثـم زج(١) موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: «اللهم إنك تعلم أني تسـلفت فلانـا ألـف دينار، فسـألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا، وسـألني شـهيدًا فقلت: كفى بـالله شـهيدًا. فرضى بك، وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليـه الذي له فلم أجد، وإني أسـتودعكها». فرمى بها البحـر، حتى ولجت(٢). فيه، ثم انـصرف، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعله يجد مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًـا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسـلفه، فأتى بالألف دينار، وقـال: والله ما زلـت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجـدت مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه. قال: كنت بعثت إلى شـيئًا، قال: أُخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة. فانصرف بالألف دينار راشدًا»(٣).



(١) زج: أي سوى موضع النقر وأصلحه.

(٢) ولجت: دخلت

(٣) صحيح: رواه البخاري [٣١٤٣]، وأحمد (٢/ ٣٤٨).









الصدقة

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سبعة يظلهم الله في ظله**» وذكر منهم: «**رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[(١)].

وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله نُودي من أبواب الجنة يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة**». فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»[(٢)].

والصدقة: توثق عُري المودة بين المسلمين، وتجلب التآلف والتناصر والتعاضد بينهم، وهي واجب تقتضيه الأخوة الإيمانية، والإنفاق والتصدق على الفقراء والمحتاجين معنى عظيم من المعاني الإيمانية المباركة، ولذلك حث عليه الشارع الحكيم، لسد حاجة الفقراء، الذين يجوعون إذا شبع الناس، ويسهرون إذا نام الناس، ويبكون إذا ضحك الناس، الذين يلبسون الثياب الممزقة، والأحذية المرقعة، عثرت بهم العواثر، وأبادتهم السنون الغوابر، وبترت أعمارهم الحادثات البواتر، واختطفتهم العقبات الكواسر.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٦١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ كمثل زارع زرع في الأرض حبة، فأنبتت الحبة سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، فشبه المتصدق بالزارع، وشبه

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٦٠]، ومسلم [١٠٣١].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [١٨٩٧].



الصدقة بالبذر، فيعطيه الله بكل صدقة له سبعمائة حسنة، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: على سبعمائة، فيكون مثل المتصدق كمثل الزارع حين يكون حاذقًا في عمله، ويكون البذر جيدًا وتكون الأرض عامرة، يكون الزرع أكثر، فكذلك المتصدق إذا كان صالحًا، والمال طيبًا، ويضعه موضعه، يصير أكثر[(١)].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه، وهو خبيثه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا[(٢)].

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[(٣)].

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه**[(٤)] **حتى تكون مثل الجبل**»[(٥)].

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يبلغ به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**قال الله** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: **يا ابن آدم أنفق، أُنفق عليك**»[(٦)].

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ٥٢٩) للإمام القرطبي، ط: النور الإسلامية.
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٢٧) للحافظ ابن كثير، ط: دار المعرفة.
(٣) **صحيح**: رواه البخاري[١٤٤٢]، ومسلم [١٠١٠].
(٤) **فلوه**: مُهره.
(٥) **صحيح**: رواه البخاري [١٤١٠]، ومسلم [١٠١٤].
(٦) **صحيح**: رواه مسلم [٩٩٣].







يا صاحب الأموال صنها بقرضها	لمولاك يحفظها فأنت مضيع
قريبا يواتيك القضا بمنيةٍ	لصدمتها الأثواب والروح تنزع

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أزهد الناس، وأعلم الناس، وأحلم الناس، وأطيب الناس، وأبر الناس، وأجود الناس، مع فقره وجوعه وظمئه وحاجته، وكان يمر الهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار لطعام، وليس في بيته إلا الأسودان - الماء والتمر الرديء - وينام على الحصير والخصف، حتى إنه ليؤثر في جنبه الشريف، ومع هذا كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء قط فقال: لا»[(١)].

ما قال: لا، إلا في تشهده	لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس»[(٢)].

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان، حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن، فإذا لقيه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أجود بالخير من الريح المرسلة»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٠٣٣]، ومسلم [٢٣٠٧].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٦٠٢٤]، ومسلم [٢٣١١].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [١٩٠٢]، ومسلم [١١٠٨]، وأحمد [٢٦١٦]، وقال الحافظ ابن حجر: وجه التشبيه بين أجوديته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخير وأجودية الريح المرسلة، أن المرادبالريح الرحمة التي يرسلها الله تَعَالَى لإنزال الغيث العام الذي يكون سببًا لإصابة الأرض الميتة، فيعم خيره وبره الفقير وذا الحاجة ومن هو بصفة الغني والكفاية. انظر: «فتح الباري» (٤/ ٣٩) للحافظ ابن حجر، ط: دار الريان.



وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءت امرأة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببردة فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه، فأخذها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محتاجًا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال يا رسول الله: ما أحسن هذه! فاكسنيها، فقال: «نعم»، فلما قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذها محتاجًا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه، فقال رجوت بركتها حين لبسها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي أكفن فيها(١).

وما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين. فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم: أسلموا. فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة(٢).

وصدق من قال:

تعود بسط الكف حتى لو أنه	ثناها لقبض لم تجبه أنامله
هو البحر من أي النواحي أتيته	فلجته المعروف والجود ساحله
ولو لم تكن في كفه غير روحه	لجاد بها فليتق الله سائله

وربي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الجيل المبارك والرعيل الأول على الجود، وعلى العطاء، وعلى الاستهانة بزخارف الدنيا وزينتها الجوفاء، وإليك أخي الكريم بعض النماذج المباركة التي قدمت أعظم الجود وأجزل العطاء.

أبو بكر الصديق الأكبر:

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال

(١) صحيح: رواه البخاري [٢٠٩٣].
(٢) صحيح: رواه مسلم [٢٣١٢].

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقال: مثله، قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا(١).

مـن لـي بمـثـل سـيرك المـدلـل تمـشـي رويـدا وتجـي في الأول

الفاروق عمر أبو حفص:

قال الأعمش: كنت يومًا عند عمر، فأتى باثنين وعشرين ألف درهم، فلم يقم من مجلسه حتى فرقها، وكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به، وكان كثيرًا ما يتصدق بالسكر، فقيل له في ذلك فقال: إني أحبه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾(٢) [آل عمران: ٩٢].

ذو النورين عثمان بن عفان:

اشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألف درهم وجعلها للغني والفقير وابن السبيل، وجهز جيش العسرة.

فعن أبي عبد الرحمن أن عثمان رضي الله عنه حين حُوصر، أشرف عليهم وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من حفر رومة فله الجنة**»؟ فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**»؟ فجهزته؟ قال: فصدقوه بما قال(٣).

أبو الحسن علي بن أبي طالب:

كان يوزع الصدقات، والذهب والفضة والدقيق والتمر على الفقراء والمحتاجين،

(١) حسن: رواه أبو داود [١٦٧٨]، والترمذي [٣٦٧٥]، والدرامي [١٦٦٧]، وحسنه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [٦٠٢١].
(٢) «الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود» ص: [٦٤] للمناوي، ط: دار الصحابة.
(٣) صحيح: رواه البخاري مختصرًا [٢٧٧٨]، والترمذي [٣٧٠٣]، وأحمد[٤٥٧].

ثم يأمر بماء فيتوضأ ويصلي ركعتين ويقول: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، أني ما ادخرت لأهلي حبة ولا تمرةً ولا زبيبة.

قال علي بن الأرقم: سمعت أبي يقول: رأيت عليا وهو يبيع سيفًا له في السوق ويقول: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبة، لطالما كشفت به الكرب عن وجه الرسول ﷺ، ولو كان عندي إزار ما بعته(١).

أبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فعن أنس قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وإن أحب أموالي إلى بيرحاء، وإنها صدقة لله. فقال رسول الله ﷺ: «**بخٍ(٢) وذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»(٣).

جعفر الطيار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ابن عم النبي ﷺ وصاحبه، نموذج في البذل والعطاء والتضحية، قال ﷺ فيه: «**رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة**»(٤).

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ١٣٤) لابن الجوزي، ط: المكتبة التجارية.

(٢) بخٍ: كلمة تقال عند تفخيم الأمر، وتعظيمه في الخير.

(٣) صحيح: رواه البخاري[١٤٦١]، ومسلم[٨٩٨].

(٤) صحيح: رواه الترمذي[٣٧٦٣]، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم [١٢٢٦].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**ما احتذى النعال ولا انتعل، ولا ركب المطايا ولا ركب الكور**[١] بعد رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أفضل من جعفر بن أبي طالب**»[٢].

أي: في الجود والكرم.

نماذج أخرى من زوجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء، حتى إذا اجتمع عندها وضعته، وأما أسماء فكانت لا تدخر شيئًا لغد[٣].

وعن محمد بن سيرين: أن عمر بعث إلى سودة بغرارة دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم، قالت: في الغرارة مثل التمر؟ يا جارية بلغيني القنع[٤]، ففرقتها[٥].

فيا أصحاب الأموال والعقارات، ويا أصحاب المراكب الوطيئات، والأبراج السامقات المنيفات، سوف تذهب هذه الأموال وتخرب هذه الدور.

الله أعطاك فابذل من عطيته	**فالمال عارية والعمر رحال**
المال كالماء إن تحبس سواقيه يأسن	**وإن يجر يعذب منه سلسال**

فالتعرف على الفقراء والأيتام والمحتاجين، والإنفاق في أوجه الخير ميدان من الخيرات، وصلة وإحسان للفقراء الذين أناخ الفقر عليهم رحاله، وعضهم البؤس بنابه، وأوجعهم بكلابه، الذين لا موارد لهم، فابحث عنهم، واطرق بابهم، وتفقد أحوالهم.

---

(١) **الكور**: الرجل.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [٣٧٦٤]، وأحمد [٩٠٨٩]، وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد موقوف، وانظر: «صحيح سنن الترمذي» [٣٧٦٤].

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ٥٨) لابن الجوزي، ط: المكتبة التجارية.

(٤) **القنع**: الطبق.

(٥) «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤٤) لابن سعد، ط: دار صادر.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء[(١)].

وقيل لمعاوية: من أحب الناس إليك؟ قال: من كثرت أياديه عندي.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: من كثرت أيادي عنده[(٢)].

وقال الفضيل: نعم السائلون يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة،حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله تَعَالَى[(٣)].

وقال الحسن البصري: عجبًا لك يا ابن آدم، تنفق في شهواتك إسرافًا وبدارًا، وتبخل في مرضاة ربك بدرهم، ستعلم يا لُكع مقامك عنده غدًا[(٤)].

وقال بعض السلف: السخي من كان مسرورًا ببذله، متبرعًا بعطائه، لا يتلمس عرض دنيا فيحبط عمله، ولا طلب مكافأة فيسقط شكره[(٥)].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

فحركوا هممكم إلى الخير وفرجوا، وحثوا المسير إلى البذل وأدلجوا، وأقلعوا عن الحرص على المال وعرجوا، وآثروا الفقير بشيء مما تجمعون. ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ويحكم، السير حثيث، ولا منجد لكم ولا مغيث، فبادروا بالصدقة على الفقراء والمعدمين، وأنفقوا من أطيب ما تكسبون ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ كم قطعت الآمال بتا، كم مصيف ما أربع ولا شتى، كم عازم على إخراج المال ما تأتي، سبقته أحداث المنون ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ يا حريصًا ما يستقر، يا طالبًا

---

(١) «صلاح الأمة في علو الهمة» (٢/ ٦١٢) للشيخ سيد العفاني، ط: مؤسسة الرسالة.
(٢) المصدر السابق (٢/ ٦١٢).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٦١٢).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٦١٢).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٦١٢).



للدنيا ما يقر، إن كنت تصدق بالثواب فتصدق في السر، بالمحبوب، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ يا بخيلًا بالفتيل، وشحيحًا بالنقير، يا ممسكًا يداك بالإحسان متى تمير، تختار لنفسك الأجود ولربك الحقير، وما لا يصلح لك من المتاع تعطيه الفقير، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ اكتسابك على أهوائك أنفقت، أغرقت نفسك في الشهوات وما تصدقت، ونسيت الحساب غدًا وما أشفقت، فإذا رحمت الفقير والمسكين، أعطيت الردى والدون، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أما المسكين أخوك من الوالدين، فكيف كففت عن إعطائه اليدين، كيف تحث على النفل والزكاة عليك دين، وأنتم فيها تأولون، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ تجمع الدينار على الدينار لغيرك، وغدًا ينساك من ادخرت له كل خيرك، وما تزودت منه شيئًا لسيرك، هذا لعمري هو الجنون، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ يا وحيدًا عما قليل رمسه[(١)]، يا مستوحشًا في قبره بعد طول أنسه، لو قدم خيرًا نفعه في حبسه ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩][(٢)].

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له**

---

(١) **رمسه**: أي قبره.

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦١٠ - ٦١١) بتصرف بسيط.



في يوم مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة أو إلى النار»[(١)].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من آتاه الله مالًا لم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع** - أي ثعبانًا - **له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذه بلهزمتيه** - أي شدقيه - **ثم يقول: أنا مالك. أنا كنزك»**[(٢)].

وأدّ زكاة المال حيا وطيبا	**ولا تتركن للشامتين وحسد**
وإياك والبخل المشين فلا تكن	**بذا غافلاً تشقى إلى النار في غد**
ألا إنها فرض وليست تطوعًا	**فمن لم يزك المال ليس بمهتد**
يطوقه يوم القيامة معذبًا	**فيا بئس مجموع لمن كان معتد**



(١) صحيح: رواه مسلم [٩٨٧]، وأبو داود [١٦٥٨]، وأحمد [٧٥٠٩].
(٢) صحيح: رواه البخاري [١٤٠٣]، والنسائي [٢٤٨٢]، وأحمد [٨٤٤٧].

التوكل على الله

عن عمران بن حُصين أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب**»، قالوا: من هم يارسول الله؟ قال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**»[(١)].

والتوكل هو: تفويض الأمر إلى الله، وصدق اعتماد القلب على الله وحده، وهو عبادة من العبادات القلبية، التي يتعبد بها الإنسان لربه وخالقه، فهو سُبْحَانَهُ كاف من استكفاه، ومنقذ من يراقبه ويخشاه، ومعز من أطاعه واتقاه، فكفى به وليًا وكفى به وكيلًا، من لاذ به نال من حمايته حظًا جريلًا، ومن توكل عليه فاز بنصرته وسلك سبيلًا.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

وأفضل المتوكلين على الله عَزَّوَجَلَّ هم الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، الذين حققوا كمال التوكل على الله، فهم في المرتبة الأولى.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٧٠٥]، ومسلم [٣٧٤].

وقال الله عن نبيه هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هُود: ٥٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ عن خطيب الأنبياء وحجة المرسلين وفصيح الرسل شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: ٨٨]

وأعظم التوكل وأنفعه: التوكل على الله في أمر الآخرة، ودخول الجنة والنجاة من النار، ونصرة الدين، وإعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ. وهذه العبادة تقف مع الإنسان في وقت الشدة، وفي وقت المحنة، وفي وقت الضيق.

فإذا دهمتك الأمور، وكثرت عليك الهموم، وازدادت بك الخطوب، فإنه لا منجا ولا ملجأ لك إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ





﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٥ – ٦٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقسم الخليل قسمًا أسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم، أي ليحرصن على أذاهم وتكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين إلى عيدهم، ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا﴾ أي: حطامًا ﴿إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ﴾ إلا الصنم الكبير، ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والإذلال، ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ قالوا: ﴿فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ على رؤوس الأشهاد في الملأ الأكبر وحاكموه، فلما دحضت حجتهم،وبان عجزهم، وظهر الحق، واندفع الباطل، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ فجمعوا حطبًا كثيرًا، حتى أن المرأة كانت تمرض فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطبًا لإحراق إبراهيم، ثم جعلوه في جوبة من الأرض وأضرموها نارًا، فكان لها شرر عظيم، ولهب مرتفع، لم توقد نار قط مثلها، وجعلوا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في كفة المنجنيق(١)، فلما ألقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل(٢).

ولقد ذكرتك والظلام مخيم	والأُسْد تزأر في ربا الصحراء
في وحشة لو غبت عني ساعة	لحسبتني شلوا من الأشلاء

(١) المنجنيق: هو آلة كانت تستعمل في الحرب مثل المدفع.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ١٩١ – ١٩٣) للحافظ ابن كثير، ط: دار المعرفة.





ضل الرفيق فلست أدعو غير من   خلق الوجود مصور الأحياء

هذه العبارة المباركة، وتلك القوة الفتاكة الهائلة، قالها محمد ﷺ في وقت الشدة، وتنفس بها في وقت الضيق، لما خرج من أحد، وقتل من أصحابه سبعون رجلًا، ودخلت حلق المغفر في وجهه الشريف وكسرت رباعيته، وهو في وقت الشدة وفي وقت الضيق، أرسل له أبو سفيان بن حرب، وكان آنذاك كافرًا، أرسل له عميلاً من العملاء، وأجيرًا من الأجراء، قال: إن أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ الجموع ليستأصلوكم ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذلك القول ﴿إِيمَانًا﴾ وتصديقًا بالله ويقينًا ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١).

قال ابن عباس رضي الله عنه: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤] (٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معهم، فأدركتهم القائلة (٣) في واد كثير العضاة (٤)، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة (٥) فعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي، فقال: «إن هذا اخترط» (٦) على سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا (٧)، وقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله – ثلاثًا» ولم يعاقبه وجلس (٨) وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه: قال: من يمنعك

---

(١) «محاسن التأويل» (٢/ ١٧٧) لجمال الدين القاسمي، ط: مؤسسة التاريخ العربي بتصرف بسيط.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٤٥٦٤].

(٣) **القائلة**: أي وقت الظهيرة.

(٤) **العضاة**: الشجر الذي له شوك.

(٥) **سمرة**: الشجرة من الطلح.

(٦) **اخترط السيف**: أي سله وهو في يده.

(٧) **صلتا**: أي مسلولًا.

(٨) **صحيح**: رواه البخاري [٢٩١٠]، ومسلم [٨٤٣].



مني؟ قال: «الله»، فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف، فقال: «من يمنعك مني؟»، فقال: كن خير آخذ، فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟»، قال: لا ، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله، فأتى أصحابه، فقال: جئتكم من عند خير الناس، وصدق.

مــاذا يــقــول الــواصــلــون له فــإن صفاته جلت عــن الحصر

هـذا المـشرك هم بقتـل النبي ﷺ، وحاشـاه أن يفعـل ذلـك، لأن الله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

فوض ﷺ أمره إلى الله، وتوكل عليه، فسقط السيف من يد المشرك.

وإذا الـعـنـايـة لاحـظتك عيونها نم فــالمــخــاوف كــلــهــن أمــان

ويخـرج ﷺ هـو وصاحبـه الصديق الأكبر، مهاجـرًا من مكـة إلى المدينة، ثم يأوي إلى غار، فيأتي المشركون ويضربون حصار الغار بسيوفهم، حتى أصبح الموت قريبًا من رأسه ﷺ هو وصاحبه، فيتوكل على الحي الذي لا يموت.

قال أبو بكر الصديق: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا، فقلت: يا رسـول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»(١).

فالزم يديك بحبل الله معتصمًا فإنه الـركـن إن خانتك أركان

كذلك نبي الله موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ، صاح بهـذه الكلمة في وقت الضيق، وتكلم بها في وقـت المحنة، لما طارده فرعون بجنوده، حتى أصبح البحر من أمام موسـى، والعدو من

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٦٥٣]، ومسلم [٢٣٨١].



خلفه: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[الشعراء: ٦١]، البحر أمامنا والعدو خلفنا، فقال الواثق بربه المتوكل عليه: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

فضرب موسى بعصاه البحر فانفلق: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٣ - ٦٦].

وأغرق الله هذا الكافر الذي قال: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ فأجراها الله فوق رأسه.

وما الأمر والتدبير إلا لمالك ... نواصي دواب للذي شاء تهرع

ففوض إليه الأمر إن كنت عالمًا ... فمقدور بالقهر لا شك واقع

وهل لذليل عاجز عند فاقة ... لدى الملك الأعلى سوى الذل موضع

ألا يا غياث المستغيث ومن له ... أكف البرايا بالحوائج ترفع

على بابك الأسمى ترامیت خاضعًا ... عبودية يصفو لديها التطوع

التوكل على الله سبب في جلب الرزق وزيادته:

فعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا**[1] **وتروح بطانًا**[2]»[3]، فالله عَزَّ وَجَلَّ يريد من العبد أن يكون في توكله على الله مثل هذه الطيور التي تخرج من أعشاشها في الصباح الباكر، ضامرة البطون جائعة، فتتوكل على مسبب الأسباب فتعود

---

(١) **خماصًا**: ضامرة البطون.

(٢) **بطانًا**: ممتلئة البطون.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٣٤٤]، وابن ماجه [٤١٦٤]، وابن حبان «إحسان» [٧٣]، وأحمد (١/ ٣٠)، والحاكم، (٤/ ٣١٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٢٥٤].







آخر النهار وقد امتلأت بطونها بالطعام، فعلى الإنسان أن يكون لديه عمل، وأن يبحث عن مصادر الرزق، وأن يكتسب المال الحلال، يأخذ بالأسباب ويتوكل على مسبب الأسباب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إني توكلت على الله وعلمت أن رزقي سوف يأتيني

التوكل على الله سبب في نجاة العبد من النار:

فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عرضت على الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط**[١]، **والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتى، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق**[٢]، **فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون**[٣] **ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**».

ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ما الذي تخوضون فيه؟**»، فأخبروه فقال: «**هم الذين**

---

(١) **الرهيط:** هم دون عشرة أنفس.

(٢) **الأفق:** الناحية والجانب.

(٣) وقد ورد في بعض الروايات الصحيحة أن مع كل واحد من السبعين ألفًا سبعين ألفًا أيضًا، فتكون النتيجة بعد الضرب (٧٠٠٠٠ × ٧٠٠٠٠ = ٤٩ مليون) هؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، اللهم اجعلنا منهم. انظر: «شرح رياض الصالحين» (١/ ٣٧٧) للشيخ صالح، ط: دار البصرة.





لا يرقون[(١)]، **ولا يسترقون**[(٢)]، **ولا يتطيرون**[(٣)] **وعلى ربهم يتوكلون**» فقال عكاشة بن محصن: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال ﷺ: «**أنت منهم**»، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[(٤)].

التوكل على الله حصن من الشيطان:

التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ حصن من مكائد الشيطان، وهو ورد ينبغي على العبد المحافظة عليه عند خروجه من بيته. فعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل، أو أزل أُزل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يجهل علي**»[(٥)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال** - يعني إذا خرج من بيته - **بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هديت وكفيت ووقيت، وتنحى**[(٦)] **عنه الشيطان**»[(٧)].

---

(١) قال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا لفظ مسلم دون رواية البخاري، وذلك لأن معنى «لا يرقون» كلمة غير صحيحة، ولا تصح عن النبي ﷺ لأن معنى «لا يرقون» أي: لا يقرؤون على المرضى. وهذا باطل، فإن الرسول ﷺ كان يرقى المرضى. انظر: «شرح رياض الصالحين» (١/ ٣٧٨) للشيخ العثيمي، ط: دار البصرة.

(٢) **لا يسترقون**: لا يطلبون من أحد أن يقرأ عليهم إذا أصابهم شيء؟

(٣) **لا يتطيرون**: لا يتشاءمون ويعتمدون على الله وحده.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٥٧٠٥]، ومسلم [٢٢٠]، الترمذي [٢٤٤٦]، وأحمد (١/ ٢٧١).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود [٥٠٩٤]، والترمذي [٣٤٢٧]، والنسائي [٢٨٥]، وابن ماجه [٣٨٨٤]، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [٢٤٤٢]. وانظر: «الكلم الطيب» [٥٩].

(٦) **تنحى عنه**: أي مال عن جهته وطريقه.

(٧) **صحيح**: رواه أبو داود [٥٠٩٥]، والترمذي [٣٤٢٦]، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [٢٤٤٣]، وانظر: «الكلم الطيب» [٥٨].





وفي رواية أبي داود: «**فيقول - يعني: شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟**».

فهل مثل هذه الفضائل تُضيع، وهل مثل هذه الفضائل يُستهان بها.

التوكل على الله ورد من أوراد النوم:

التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ ورد من أوراد النوم، إذا أتي الإنسان فراشه لينام يستحب له المحافظة عليه، ففي ذلك الخير والفضل، وبركة اتباع السنة.

فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا فلان، إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيرًا**»(١)، وفي رواية في الصحيحين، عن البراء قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل...**» وذكر نحوه ثم قال: «**واجعلهن آخر ما تقول**»(٢)، فينبغي علينا أن نحسن توكلنا على الله، ونفوض أمرنا إليه في كل أحوالنا، وفي كل أوقاتنا، فإن عبادة التوكل ثمرة من ثمرات عبادة اليقين، فإن أصدقنا اعتماد قلوبنا على الله وحده عشنا سعداء مطمئنين، وحصل لنا مقصودنا في الدنيا والآخرة.

وصدق من قال:

إن الغنائم في التوكل والرضا ... ليست مع الصفراء والحمراء

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٧٤٨٨]، ومسلم [٢٧١٠].

(٢) ففي هذا الحديث ثلاث سنن مهمة ومستحبة، وليست بواجبة: الوضوء عند إرادة النوم، والنوم على الشق الأيمن، وذكر الله تَعَالَى خاتمة عمله، انظر: «شرح النووي على مسلم» (٩/ ٣١) للإمام النووي، ط: مكتبة الإيمان.



فاشدد حيازيم الرحيل إلى الأولى ... واخرج من الأدوار والحكماء

الموت حتم يوم يأتي وعده ... ما وعده وعدًا بغير وفاء

لو أن عمرًا من طبيب يشتري ... عاش الطبيب ولم يمت بالداء

لا عز للدنيا الدنية أهلها ... دار الفناء ليست بدار بقاء







الصبر

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقول الله** عَزَّ وَجَلَّ: **إذا أخذت كريمتي عبدٍ فصبر واحتسب لم يكن جزاؤه، إلا الجنة**»(١)، وعن عقبة بن عامر، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن كن له سترًا من النار**»(٢).

والصبر هو: حبس النفس عن الجزع؛ **أي:** منعها من الاستسلام للجزع، كي لا يترتب عليه فعل ما لا ينبغي فعله، وحبس النفس عن الجزع يمنعها عن محارم الله، بأداء فرائض الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية، فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام بها العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوبًا.

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تَعَالَى على العبد عبودته في الضراء كما له عليه عبودية في السراء، وله عبودية عليه فيما يكره كما له عليه عبودية فيما يحب(٣).

وقيل: هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» [١١٧٢]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٥٣٤].

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» [١٤٢٤٦]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٥٤٧].

(٣) «موارد الظمآن» (٢/ ٤١) لعبد العزيز المحمد السليمان، ط: وقفية، الطبعة الحادية عشر.





وقيل: هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغني مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

وقيل: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الغني في البلوى بلا ظهور شكوى.

وقيل: تجرع المرارة من غير تعبس.

فضل الصبر: أما فضل الصبر في القرآن فقد بينه الله عَزَّوَجَلَّ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٢٠٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشُّورَى: ٤٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [مُحَمَّد: ٣١].

والآيات في الأمر بالصبر وبيان فضله كثيرة معروفة، وأما فضله في السنة فقد بينه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث عديدة:

فعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن



ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك(١)**، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»**(٢).

وعن أبي يحيي صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»**(٣).

وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»(٤).

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه.

وقال سفيان بن عيينة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: ٢٤]. لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوسًا.

---

(١) حجة لك إذا امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه، وحجة عليك إن لم تمتثل أوامره ولم تجتنب نواهيه. «دليل الفالحين» (١/ ١٧١)، وهذا ليس خاصًا بالقرآن بل يشمل كل العلوم الشرعية فما علمناه إما أن يكون حجة لنا وإما أن يكون حجة علينا، فإن عملنا به فهو حجة لنا وإن لم نعمل به فهو حجة علينا، وهو وبال أي إثم وعقوبة. انظر: «فتح ذي الجلال والإكرام» (١/ ٤١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٢٢٣].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٩٩٩].

(٤) رواه البخاري [١٤٦٩]، ومسلم [١٠٥٣]، وفي الحديث: الحث على التعفف والقناعة، والصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا، انظر: «شرح النووي على مسلم» (٤/ ١٤٥) للإمام النووي، ط: مكتبة الإيمان.

قال الغزالي: إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العاصم من التخبط، والهداية الواقية من القنوط، والصبر فضيلة يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، ولابد أن يبني عليها أعماله وآماله وإلا كان هازلًا... فالمسلم يجب أن يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، بقلب لم يتعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به كربة.

يجب أن يظل موفور الثقة، بادي الثبات، لا يرتاع لغيمة تظهر في الأفق ولو تبعتها أخرى وأخرى، بل يبقى موقنا بأن بوادر الصفو لابد آتية، وأن من الحكمة ارتقابها في سكون ويقين، شعاره ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. يهتف مع أولي العزم: «يا أقدام الصبر احتملي، فقد القليل، يطمع في نيل الثواب الأعظم»: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[الزمر: ١٠]، وقد أكد الله تعالى أن ابتلاء الناس لا محيص عنه، حتى يأخذوا أهبتهم للنوازل المتوقعة، فلا تذهلهم المفاجآت، ويضرعوا لها[(١)] ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١].

وصدق الناظم حين قال:

عرفنا الليالي قبل ما نزلت بنا … فلما دهتنا لم تزدنا بها علما!

ولا شك أن مواجهة الأحداث ببصيرة مستنيرة واستعداد كامل أجدى للإنسان وأنفع، وأدنى إلى إحكام شئونه وأقرب. قال تعالى: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ

(١) «خلق المسلم»، ص: [١٣١] للغزالي، ط: دار ابن الجوزي.



وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ولله در القائل:

اصبر على مضض الإدلاج في السحر وفي الرواح إلى الطاعات والبكر

إني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر تطلبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقال آخر:

والصبر مثل اسمه مر مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

وقال آخر:

بنى الله للأخيار بيتا سماؤه أحزان وجدرانه الضر

وأدخلهم فيه وأغلق بابه وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

أقسام الصبر: ينقسم الصبر إلى ثلاثة أقسام: صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخط عليها، وهذه الأنواع الثلاثة هي التي قيل فيها: «لابد للعبد من أمر يفعله، ونهي يجتنبه، وقدر يصبر عليه».

وينقسم باعتبار الأحكام الخمسة إلى واجب، ومندوب، ومحظور، ومكروه، ومباح.

فالواجب: الصبر عن المحرمات، والصبر على أداء الواجبات، والصبر عند المصائب.

والمندوب: الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات، والصبر عن مقابلة الجاني بمثل فعله.



والمحظور: الصبر على الطعام والشراب حتى يموت، والصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند الاضطرار إذا خاف بتركه الموت، ومن الصبر المحظور صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حية أو حريق أو كافر يريد قتله، بخلاف استسلامه وصبره في الفتنة وقتال المسلمين، فإنه مباح له بل يستحب كما دلت عليه النصوص الكثيرة.

والمكروه: صبره على المكروه، وصبره عن فعل المستحب، وكذلك الصبر على الطعام والشراب واللباس وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه.

والمباح: هو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين خُير بين فعله وتركه والصبر عليه.

جبال الصبر وعلو همتهم عند المصائب:

جعل الله سُبْحَانَهُ الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا لا يهزم، وحصنًا لا يهدم، ولا يثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد، ومحله من الظفر محل الرأس من الجسد، وللصابرين معية مع الله، ظفروا فيها بخيري الدنيا والآخرة، وفازوا فيها بنعمه الظاهرة والباطنة، ولقد جعل الله سُبْحَانَهُ الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين، فقال تَعَالَى وبقوله اهتدى المهتدون: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجدَة: ٢٤].

قال ابن عيينة: «لما أخذوا برأس الأمر، صاروا رؤوسًا».

وأخبر سُبْحَانَهُ عن محبته للصابرين بقوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٦].

وأوصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين، فقال تَعَالَى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البَقَرَة: ٤٥].







وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى بها إلا الصابرون، فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١].

وأخبر أن الصبر والمغفرة من العزائم التي تجارة أربابها لا تبور، فقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وكذلك قيل: الصبر من معالم العظمة وشارات الكمال، ومن دلائل هيمنة النفس على ما حوله، ولذلك كان «الصبور» من أسماء الله الحسنى، فهو يتمهل ولا يتعجل ويبطئ بالعقاب إن أسرع الناس بالجريمة، ويرسل أقداره لتعمل عملها على الرغبات الفائزة، والمشاعر الثائرة.

والصبر من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة النادرة، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله، لم يستأجر له أطفالاً أو مرضى أو خوارين، إنما ينتقي له ذوي الكواهل الصلبة، والمناكب الشداد، كذلك الحياة، لا ينهض برسالتها الكبرى، ولا ينقلها من طور إلى طور إلا رجال عمالقة، وأبطال صابرون، ومن ثم كان نصيب القادة من العناء والبلاء مكافئًا لما أتوا من مواهب، ولما أدوا من أعمال.

وأصبر الناس على الطاعة وعلى البلاء وعن المعاصي الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم الأمثل فالأمثل، ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل. يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه. وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**»(١).

فاختلاف أنصبة الناس من الجهد والتبعة والهموم الكبيرة يعود إلى طاقتهم في التحمل والثبات.

(١) حسن صحيح: رواه ابن ماجه [٤٠٢٣]، وقال الألباني: حسن صحيح.







صبر النبي صلى الله عليه وسلم:

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ولد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي إبراهيم**» ثم دفعه إلى أم سيف، امرأة قين[(١)] يقال له: أبو سيف،فانطلق يأتيه، واتبعته، فانتهينا على أبي سيف، وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخانًا.فأسرعت المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: يا أبا سيف! أمسك.

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالصبي. فضمه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول. فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيد[(٢)] بنفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا. والله! يا إبراهيم! إنا بك لمحزونون**»[(٣)].

صبر نبي الله أيوب عليه السلام:

وصف الله تعالى بالصبر خاصة أوليائه وأحبابه، فقال عن أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾، ثم أثنى عليه فقال: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، فكم كان صبره حتى ضرب به المثل، وكم كان أدبه في صبره إذ قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

صبر نبي الله موسى عليه السلام:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسًا في

---

(١) **قين**: حداد. (٢) **يكيد بنفسه**: أي يجود بها، ومعناه: وهو في النزع وشدة الاحتضار.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [١٣٠٣]، ومسلم [٢٣١٥].

وقال النووي: قوله: فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخره فيه جواز البكاء على المرض والحزن، وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر، بل هو رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما المذموم الندب والنياحة، والويل والثبور، ونحو ذلك من القول الباطل، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «**ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**». انظر: «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٦٨)، ط: مكتبة الإيمان.



القسـمة، فأعطى الأقرع بـن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينـة بن حصن مثل ذلك، وأعطى ناسًا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل:

والله إن هـذه قسـمة مـا عدل فيهـا، وما أريد فيهـا وجه الله، فقلـت: والله لأخبرن رسـول الله ﷺ، فأتيتـه فأخبرته بما قال، فتغير وجهه حتـى كان كالصرف. ثم قال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسـوله؟**» ثم قال: «**يرحم الله موسـى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»، فقلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثًا[(١)].

صور من صبر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

عروة بن الزبير «جبل من جبال الصبر»:

قـال ابن قيم: قدم عروة بن الزبير عـلى الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد، وكان مـن أحسـن الناس وجها، فدخـل يومًا على الوليد في ثيـاب وشي[(٢)]، وله غدير تان وهو يـضرب بيده، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش فعانه[(٣)]، فخرج من عنده متوسـنًا، فوقـع في إصطبـل الـدواب فلم تـزل الدواب تطـؤه بأرجلهـا حتى مات، ثـم إن الآكلة وقعـت في رجـل عروة، فبعث إليه الوليد الأطباء، فقالوا له: إن لم تقطعها سرت إلى باقي الجسـد فتهلك. فعزم على قطعها، فنشروها بالمنشـار، فلما صار المنشـار إلى القصبة وضع رأسـه على الوسـادة سـاعة، فغشـى عليه، ثم أفاق والعرق يتحدر على وجهه وهو يهلل ويكـبر، فأخذهـا وجعل يقلبها في يده، ثـم قال: «أما والذي حملني عليـك، إنه ليعلم أني

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣١٥٠]، ومسلم [١٠٦٢].

وفي الحديـث: دليـل على أن للإمام أن يعطي من يري في عطيته المصلحة ولو أكثر من غيره، - إذا كان في هذا مصلحة للإسـلام - وليسـت مصلحة شـخصية يحابي من يحب ويمنع من لا يحب - وزاد في العطاء فإن هذا إليه، وهو مسئول أمام الله، ولا يحل لأحد أن يعترض عليه فإن اعترض عليه فقد ظلم نفسه. انظر: «شرح رياض الصالحين» (١/ ١٤٧) للشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، ط: دار البصيرة.

(٢) **ثياب وشي**: أي معلمة ومخططة.

(٣) **فعانه**: أي حسده وأصابه بعينه.



ما مشيت بك إلى حرام، ولا إلى معصية، ولا إلى ما لا يرضي الله. ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت في قطيفة، ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين، فلما قدم من عند الوليد إلى المدينة، تلقاه أهل بيته وأصدقاؤه يعزونه، فجعل يقول: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، ولم يزد عليه، ثم إنه قال: «**إن سلبت فلطالما أعطيت، وإن أخذت فطالما أبقيت، وأبقيت لنا فيك الأمل، يا بر يا وصول**»(١).

لعمرك ما مددت كفي لريبة ... وما حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا دلني فكري لها ولا عقلي ... ولا قادني لها سمعي ولا بصري

وأعلم أني لم تصبني مصيبة ... إلا وقد أصابت فتى قبلي

أم سليم «الرميصاء» وعلوهمتها في الصبر:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي، فخرج أبو طلحة، فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة، قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم وهي أم الصبي: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ، قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: «**أعرستم الليلة؟**»، قال: نعم، قال: «**اللهم بارك لهما**»، فولدت غلامًا، فقال لي أبو طلحة: احمله حتي تأتي به النبي صلى الله عليه وسلم، وبعث معه بتمرات، فقال: «**أمعه شيء؟**» قلت: نعم، تمرات. فأخذها النبي فمضغها، ثم أخذها من فيه فجعلها في فيّ الصبي، ثم حنكه وسماه عبد الله(٢).

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٦/ ٢٤٧) للإمام الذهبي، ط: دار الكتاب العربي، وانظر: «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٢٠ - ٢١) للمزي، ط: مؤسسة الرسالة.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٥٤٧٠]، ومسلم [٢١٤٤].

وفي الحديث فوائد منها: دليل على قوة صبر أم سليم رضي الله عنها، وفيه جواز التورية، أي أن يتكلم الإنسان بكلام تخالف نيته ما في ظاهر هذا الكلام، وفيه أنه يستحب التسمية بعبد الله، انظر: «شرح =



وفي رواية للبخاري: قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن، **يعني:** من أولاد عبد الله المولود.

فلو كان النساء كما ذكرنا	لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب	وما التذكير فخر للهلال

امرأة من أهل الجنة:

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله تَعَالَى لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تَعَالَى أن يعافيك**» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها[(١)].

ما يعين على الصبر والرضا في البلاء:

الصبر على البلاء من آكد المنازل في طريق محبة الله للعبد، وهو بضاعة الصديقين، وهو من أعظم الطاعات والقربات التي يحبها الله عَزَّ وَجَلَّ، ويحب أهلها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. وقد جعل الله عَزَّ وَجَلَّ ثواب الصبر بغير حساب، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ودونك أخي الكريم أهم الأسباب التي تعين على الصبر والرضا عند نزول البلاء:

= رياض الصالحين» (١/ ١٥٠) لابن عثيمين، ط: دار البصيرة.

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٥٦٥٢]، ومسلم [٢٥٧٦].





١ـ ملاحظة حسن الجزاء:

فعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته، يخف حمل البلاء لشهود العوض من الله عَزَّوَجَلَّ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(١).

٢ـ انتظار روح الفرج:

يعني راحته ونسيمه ولذته، فإن انتظاره ومطالعته وترقُّبه يخفف حمل المشقة.

وكم لله من لطف خفي ... يدق خفاه عن فهم الذكي

٣ ـ تهوين البلية:

بأن يعد الإنسان نعم الله عليه الظاهرة والباطنة وأياديه عنده، فإن عجز عن عدها، وأيس من حصرها، هان عليه ما هو فيه من البلاء ورآه - بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه - كقطرة من بحر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

٤ ـ النظر في حال من ابتلى بمثل هذا البلاء:

قالت الخنساء:

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

---

(١) صحيح: رواه مسلم [٢٩٩٩].





وما يبكون مثل أخي ولكن   أعزي النفس عنهم بالتأسي

٥- فتح باب الدعاء:

فالمصائب تفتح على العبد أبوابًا من العبادات، كالدعاء، والإنابة، والرجاء، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٣٣].

فيا أخا الإسلام:

دع الأيام تفعل ما تشاء   وطب نفسًا إذا حكم القضاء

ولا تجزع لحادثة الليالي   فما لحوادث الدنيا بقاء

وكن رجلاً على الأهوال جلدًا   وشيمتك السماحة والوفاء





الجهاد في سبيل الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**تكفل الله لمن جاهد في سبيله، لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته، بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه - مع ما نال - من أجر أو غنيمة**»(١)، وعن عباية بن رفاعة قال أدركني أبو عبس وأنا أذهب إلى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار**»(٢).

والجهاد في سبيل الله: مأخوذ من الجهد، وهو الطاقة والمشقة، يقال: جاهد جهادًا أو مجاهدة، إذا استفرغ وسعه، وبذل طاقته، وتحمل المشاق في مقاتلة العدو ومدافعته ولا يسمى الجهاد جهادًا حقيقيًا إلا إذا قصد به وجه الله، وأريد به إعلاء كلمته، ورفع راية الحق، ومطاردة الباطل، وبذل النفس في مرضاة الله، فإذا أريد به شيء دون ذلك من حظوظ الدنيا، فإنه لا يسمى جهادًا على الحقيقة، فمن قاتل ليحظى بمنصب، أو يظفر بمغنم، أو ليظهر شجاعة، أو لينال شهرة، فإنه لا نصيب له من الأجر، ولا حظ له في الثواب(٣).

فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله:

قال الله عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣١٢٣].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٩٠٧].

(٣) «أحب الأعمال إلى الله»، ص: [٧٣] لمسعد حسين محمد، ط: دار الإيمان، و«هؤلاء يحبهم الله»، ص: [٩٥] لمسعد حسين محمد، ط: دار الكنوز.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران: ١٦٩- ١٧١]

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥].

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٨- ٣٩].

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣].

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: ١٠ - ١١].







وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**والذي نفسي بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل**»(٢).

وعن المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له عند أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه**»(٣).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**»(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله**»(٥).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: «**لا أجده، هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم**

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٨٧٧]، والترمذي [١٦٦٢]، وأحمد [١٧٣٣].
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٦]، ومسلم [١٨٧٦]، وأحمد [٨٩٦٢].
(٣) **صحيح**: رواه الترمذي [١٦٦٣]، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه [٢٧٩٩]، واللفظ له، وأحمد [١٣١٤]، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٣٢١٣].
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٢٧٩٢]، ومسلم [١٨٨٠]، والترمذي [١٦٤٩].
(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٢٧٨٥]، ومسلم [١٨٧٨]، واللفظ له، والترمذي [١٦١٩].





ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟» قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن فرس المجاهد ليستن طوله فيكتب له حسنات[١].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»**. قالوا: ثم من؟ قال: **«مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس شره»**[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أحب الأعمال إلى الله: الصلاة لوقتها، بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله»**[٣].

ورحم الله عبد الله بن المبارك حيث قال:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى غبار خيل الله في ... أنف امرئ وغبار نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

ولقد كان الإمام الأوحد، والداعية الأول، أعلى البشرية همة في الجهاد، فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشجع الناس، وأقواهم قلبًا، وأثبتهم جنانًا، وقد حضر المواقف الصعبة

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٧٨٤]، ومسلم [١٨٨٧].
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٧٨٦]، ومسلم [١٨٨٨].
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٥٢٧]، ومسلم[٨٥] ، وأبو داود [٤٣١]، والنسائي [٦١١]، وأحمد [٢٦٩٨٣].



المشهورة، وفر الكماة عنه غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح، وما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرة أو فترة سواه، فإنه لم يفر قط وحاشاه من ذلك، ثم حاشاه.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنا إذا اشتد البأس[١]، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، وقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل**»[٣].

وصدق من قال:

وقفت وما في الموت شك لواقف	**كأنك في جفن الردى وهو نائم**
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة	**ووجهك وضّاع وثغرك باسم**

قال الشيخ عائض القرني حَفِظَهُ اللَّهُ: كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت الناس قلبًا، كان كالطود لا يتزعزع ولا يتزلزل، ولا يخاف التهديد والوعيد، ولا ترهبه المواقف والأزمات، ولا تهزه الحوادث والملمات، فوض أمره لربه، وتوكل عليه، وأناب إليه، ورضي بحكمه، واكتفى بنصره، ووثق بوعده، كان يخوض المعارك بشخصه الكريم، يعرض روحه للمنايا، ويقدم نفسه للموت غير هائب، ولا خائف، ولم يفر من معركة قط، ولا يتراجع خطوة ساعة يحمي الوطيس، وتقوم الحرب على ساق، وتشرع السيوف، وتمتشق الرماح، وتهوى الرؤوس، ويدور كأس المنايا على النفوس، فهو في تلك اللحظة أقرب أصحابه

---

(١) **اشتد البأس**: أي إذا اشتدت الحرب، استقبلنا العدو به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعلناه لنا وقاية.
(٢) **صحيح**: رواه أحمد [٩٦٥٤]، وصححه العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند برقم [٣٤٦].
(٣) تقدم تخريجه، ص: [١٠٤].



إلى الخطر، يحتملون أحيانًا وهو صامد مجاهد، لا يكترث بالعدو ولو كثر عدده، ولا يأبه الخصم ولو قوي بأسه، بل كان يعدل الصفوف، ويشجع المقاتلين، ويتقدم الكتائب:

أنت الشجاع إذا لقيت كتيبة ... أدبت في هول الردي أبطالها

وإذا وعدت وفيت فيما قلته ... لا من يكذب قوله أفعالها (١)

ولقد ربي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الجيل المبارك والرعيل الأول على الجهاد، وعلى الشجاعة والاستهانة بزخارف الدنيا وزينتها الجوفاء، فقدموا أعظم التضحيات، وحملوا أرواحهم على أياديهم، وقدموها للواحد الأحد.

قال الشيخ محمد بن إسماعيل حَفِظَهُ ٱللَّهُ: علم الرعيل الأول من صفوة المسلمين أن في الجهاد فضلاً لا يضاهي، وخيرًا لا يتناهى، وأيقنوا أن الجنة تحت ظلال السيوف، وأن الري الأعظم في شرب كئوس الحتوف، فشمروا للجهاد عن ساق الاجتهاد، ونفروا إلى ذوي الكفر والعناد، من شتى أصناف العباد، وجهزوا الجيوش والسرايا، وبذلوا في سبيل الله العطايا، وأقرضوا الأموال لمن يضاعفها ويزكيها، ودفعوا سلع النفوس من غير مماطلة لمشتريها، وضربوا الكافرين فوق الأعناق، واستعذبوا من المنية مر المذاق، وباعوا الحياة الفانية بالعيش الباقي، ونشروا أعلام الإسلام في الآفاق (٢).

وهؤلاء الأبطال لا يحصون عدة، ولا يحاط بهم كثرة، المدوحون بقوله تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) «محمد كأنك تراه»، ص: [٣٧] للشيخ عائض القرني، ط: دار ابن حزم.

(٢) «علو الهمة»، ص: [٢٩٨] للشيخ محمد إسماعيل، ط: دار العقيدة للتراث.



ولقد تجلت شجاعتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الخندق، ويوم الحديبية، ويوم حنين، بل في كل الغزوات والمعارك.

قال أبو الحسن الندوي: ولقد بعث الإيمان في قلوبهم شجاعة خارجة عن العادة، وحنينًا غريبًا إلى الجنة، واستهانة نادرة بالحياة، تمثلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها، كأنهم يرونها رأي العين، فطاروا إليها طيران الحمام الزاجل لا يلوي على شيء(١).

ففي غزوة بدر، التي جمعت بين الآباء والأبناء، اختلفت بينهما العقائد، ففصلت بينهما السيوف.

قال المقداد بن الأسود يوم بدر: يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك، والله ما نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون(٢).

وقال سعد بن معاذ: فامض لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن نلقى عدونا غدًا، وإنا لصُبرٌ في الحرب صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقربه عينك، فسر على بركة الله(٣).

وإليك أخي الكريم: بعض الصور من شجاعتهم وجهادهم:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انطلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قوموا إلى جنة عرضها**

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»، ص: [١٣٥] لأبي الحسن الندوي، ط: وقفية للاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.
(٢) «الرحيق المختوم» ص: [١٨٠] لصفي الرحمن المباركفوري، ط: دار العلوم العربية.
(٣) المصدر السابق: ص: [١٨٩].

السموات والأرض»، قال عمير بن الحمام: بخ بخ[١]، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**»، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**». قال فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة، فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[٢].

وتكتمل ملحمة الشجاعة والجهاد في غزوة أحد، يوم أن أتى عبد الله بن عمرو الأنصاري نشيطًا عاجلاً متعجلًا، فاغتسل وتحنط، ولبس أكفانه، وكسر غمد سيفه على ركبتيه، وأوصى جابرًا ابنه بإخوته، وكن سبع بنات، فقاتل قتالاً شديدًا حتى قتل، فبكت أخته، فقال ﷺ: «**ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع**»[٣].

ثم قال لجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحًا - من غير ترجمان -، فقال: عبدي، تمن على أعطك. قال: يا رب، تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب عزوجل: إنه قد سبق أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب، فأبلغ من ورائي»[٤].

فأنزل الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

ولله در القائل:

وقاتلت معنا الأملاك في أحد[٥] ... تحت العجاجة فما حادوا وما انكشفوا

---

(١) **بخ**: كلمة تقال عند تفخيم الأمر وتعظيمه في الخير. (٢) **صحيح**: رواه مسلم [١٩٠١].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [١٢٩٣]، ومسلم [٢٤٧١]، وأحمد [٢٣٨٨]، والنسائي [١٨٤٢].

(٤) **حسن**: رواه الترمذي [٣٠١٠]، وابن ماجه[٢٨٠٠]، وحسنة الشيخ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» برقم [٣٨١٥].

(٥) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد =



فسعدٌ والقعقاع قد عبروا ... إياك نعبد من سلسالها رشفوا

أملاك ربي بماء المزن قد غسلوا ... جثمان حنظلة والروح تختطف

وكلم الله من أوس شهيدهم ... من غير ترجمان زيحت له الحجب

وعن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال يوم أحد: ألا ندعو الله؟ فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدو، فلقني رجلاً شديدًا حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وآخذ سلبه. فأمن عبد الله بن جحش.

ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديدًا حرده[١]، شديدًا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع - يقطع - أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا. قلت: من جدع أنفك وأذنك: فأقول: فيك وفي رسولك. فتقول: صدقت.

قال سعد: كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرًا من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط[٢].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم

= رجلين عليهما ثياب بيض وما رأيتهما قبل ولا بعد»، **صحيح**: رواه البخاري [٤٠٤٥]، ومسلم [٢٣٠٦]، وفي رواية: «أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، يقاتلان عنه كأشد القتال».

قال الحافظ: هما جبريل وميكائيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قال النووي: فيه بيان كرامة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الله، وإكرامه إياه، بإنزال الملائكة تقاتل معه يوم أحد، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر، وهذا هو الصواب، خلافًا لمن زعم اختصاصه، فهذا صريح في الرد عليه، والحديث يدل على ذلك، وفيه فضيلة الثياب البيض، وأن رؤية الملائكة لم تختص بالأنبياء، بل يراهم الصحابة والأولياء، وفيه منقبة لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٥٩)، ط: مكتبة الإيمان.

(١) **حرده**: أي غضبه.

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٣٨٥) لابن الجوزي، ط: المكتبة التجارية، وانظر: «حياة الصحابة» (١/ ٤٤٣) للكاندهلوي)، ط: المكتبة العصرية، و«حلية الأولياء» (١/ ١٠٩) لأبي نعيم: ط: مطبعة السعادة.





أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجِدُ ريحها من دون أُحُد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع.

قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح، أو رمية بالسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1] [الأحزاب: ٢٣].

وعن شداد بن الهاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك. فأوصى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبيا فقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوا إليه، فقال: ما هذا ؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأخذه فجاء به إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمته لك**» قال: يا رسول الله ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمي ها هنا - وأشار إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن تصدق الله يصدقك**».

فلبثوا قليلًا ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحمل قد أصاب السهم حيث أشار، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم.

قال: «**صدق الله فصدقه**»، ثم كفنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جبته، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا، فقتل شهيدًا، انا شهيد على ذلك**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٨٠٥]، ومسلم [١٩٠٣]، والترمذي [٣٢٠١].
(٢) **صحيح**: رواه النسائي [١٨٤٥]، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [١٤٩٧].





وانظر أخي الكريم إلى هذه الصورة العظيمة، التي تضرب أعظم وأروع الأمثلة في البذل والعطاء والشجاعة والتضحية.

كان عمرو بن الجموع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أنصار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين آمنوا به، وآووا ونصروا، وكان أعرج شديد العرج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورزقه الله أربعة من الولد يغزون مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أن نفسه كانت تتوق إلى الشهادة، فلما رأى المسلمين في بدر قد أعزهم الله ونصرهم، وبشرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة - أو قد غفر لكم-**»(١).

فتاقت نفسه للجنة وللمغفرة، فلما نادى المنادي يوم أحد، حي على الجهاد، أراد الخروج مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أن أبناءه قالوا: إن الله جعل لك رخصة فلو قعدت، ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد. فأتى عمرو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن بني هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك. ووالله إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي في الجنة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد**»، وقال لبنيه: «**وما عليكم أن تدعوه، لعل الله** عَزَّ وَجَلَّ **أن يرزقه الشهادة**»، فخرج مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقتل يوم أحد شهيدًا(٢).

وعن أبي برزة الأسلمي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في مغزى(٣) له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: «**هل تفقدون من أحد؟**»- قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا، ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟**»، قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا، ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟**»، قالوا: لا. قال: «لكني أفقد جليبيبا، فاطلبوه»، فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوقف عليه، فقال: «**قتل سبعة ثم**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٩٨٣]، ومسلم [٢٤٩٤].

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٥٧) للذهبي، ط: «مكتبة الصفا»، وانظر: «أسد الغابة» (٤/ ٢٠٨) لابن الأثير، ط: «دار الفكر»، و«صفة الصفوة» (١/ ١٤٧) لابن الجوزي، ط: دار الحديث.

(٣) **مغزى له**: أي في سفر غزو.



قتلوه، هذا مني وأنا منه» قال: فوضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ قال: فحفر له ووضع في قبره، ولم يذكر غسلًا.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نرزق، لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهدوا في الجهاد؟ قال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم»**(١).

فهل بعد ذلك فضل؟ وهل بعد ذلك خير؟ وهل بعد ذلك مطلب؟ ورحم الله ابن القيم حيث قال:

القانتون المخبتون لربهم	**الناطقون بأصدق الأقوال**
يحيون ليلهم بطاعة ربهم	**بتلاوة وتضرع وسؤال**
وعيونهم تجري بقبض دموعهم	**مثل انهمال الوابل الهطال**
في الليل رهبان وعند جهادهم	**لعدوهم من اشجع الأبطال**
وإذا بدا علم الرهان رأيتهم	**يتسابقون بصالح الأعمال**
بوجوههم أثر السجود لربهم	**وبها أشعة نوره المتلالي**
ولقد أبان لك الكتاب صفاتهم	**في سورة الفتح المبين العالي**
وبرابع السبع الطول صفاتهم	**قوم يحبهم ذوو إدلال**
وبراءة والحشر فيها صفاتهم	**وبهل أتى وبسورة الأنفال**(٢)

قال الشيخ عبد الله ناصح علوان: فنحن - جيل الإسلام اليوم - إذا نهجنا نهج الجدود في التزام الإسلام، وسرنا سير السلف في الجهاد، والتضحية والصبر والمصابرة،

---

(١) صحيح: رواه مسلم [١٨٨٧]، وأبو داود [٢٥٢٠]، وابن ماجه [٢٨٠١].
(٢) «إغاثة اللهفان»، ص: [٢١٧] لابن القيم، ط: در العقيدة.

والثبات والاستبسال، فسوف نحقق بأيدينا عز الإسلام، ونبني بسواعدنا دولة الإسلام، ونستعيد بتأييد الله المجد، والعظمة، والخلود، ونرجع خير أمة أخرجت للناس، لأننا رجال، وسلفنا رجال، وقد امتدح الله سبحانه عزائم الرجال حين قال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾

[الأحزاب: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

وما يضير جيل الإسلام اليوم، أن يكونوا في الظاهر رجالاً وفي المعنى جبالًا.

ورحم الله محمد إقبال حين قال:

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسمك	فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالاً في الجبال وربما	صرنا على موج البحار بحارًا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا	قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنس إفريقيا ولا صحراؤها	سجداتنا والأرض تقذف نارا
كنا نقدم للسيوف صدورنا	لم نخش يومًا غاشمًا جبارًا
وكأنَّ ظل السيف ظل حديقة	خضراء تنبت حولها الأزهارا
لو نخش طاغوتا يحاربنا ولو	نصب المنايا حولنا أسوارا
ندعو جهارًا لا إله سوى الذي	صنع الوجود وقدر الأقدارا
ورؤوسنا يا رب فوق أكفنا	نرجو ثوابك مغنما وجوارا
كنا نرى الأصنام من ذهب	فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لحازها	كنزا وصاغ الحلي والدينارا[1]

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ٩٢٢) للشيخ عبد الله ناصح علوان، ط. «دار السلام».



العدل

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن المقسطين عند الله على منابـر من نور عن يمين الرحمـن** عَزَّ وَجَلَّ **وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»، وذكر منهم «**إمام عادل**»(٢).

والعـدل: والعـدل، والعدالـة، والعـادل، والمعادلـة، كلهـا مأخـوذة مـن اسـم «العدالة».

والعادل هو: الذي جمع العدالة في نفسه والعدل في حكمه، فهو الذي يتبع أمر الله، فيضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

قـال ابـن الجـوزي رَحِمَهُ اللهُ: الإمام العـادل زمـام الأمـور، ونظام الحقـوق، وقوام الحـدود، والقطـب الـذي عليه مـدار الدنيا، وهو حمـى الله في بلاده، وظلـه الممدود على عبـاده، بـه يمتنع حريمهم، وينتـصر مظلومهم، وينقمـع ظالمهم، ويأمـن خائفهم، والله عَزَّ وَجَلَّ يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن(٣).

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ:

الإمـام العـادل: قـوام كل مائل، وقصـد كل حائر، وصلاح كل فاسـد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف.

والإمـام العـادل: كالراعـي الشـفيق على إبلـه، الرفيق بهـا، الذي يرتـاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع التهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر.

(١) **صحيح:** رواه مسلم [١٨٢٧]، وأحمد [٢٧٣٥].
(٢) رواه البخاري [١٤٤٢]، ومسلم [١٠١٠].
(٣) «الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء»، ص: [٤٣] للإمام ابن الجوزي، ط: مؤسسة شباب الجامعة.



والإمام العادل: كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرهًا، ووضعته كرهًا، وربته طفلاً، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته.

والإمام العادل: وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم.

والإمام العادل: هو القائم بين الله وعباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ، ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم[1].

ومجمع القول في ذلك أن يقال، عدالة الإمام هي تنفيذ العدل في الأرض وذلك بتطبيق كتاب الله على عباد الله.

وصدق من قال:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم	**ولا سراة إذا جهالهم سادوا**
والبيت لا يبني إلا له عمد	**ولا عماد إذا لم ترس أوتاد**
فإن تجمع أوتاد وأعمدة	**يومًا فقد بلغوا الأمر الذي كادوا**

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾

[ص: ٢٦]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [الحديد: ٢٥].

---

(١) «العقد الفريد» (١/ ٣٥ - ٣٦) لابن عبد ربه الأندلسي، ط: دار ابن خزيمة.





وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن** عَزَّوَجَلَّ**. وكلتا يديه يمين. الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»(٢).

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ثلاثة لا يرد الله دعاءهم، الذاكر الله كثيرًا، والمظلوم، والإمام المقسط**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم [١٨٢٧]، وأحمد [٢٧٣٥].
(٢) صحيح: رواه البخاري [١٤٤٢]، ومسلم [١٠١٠].
(٣) حسن: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٠٦٤]، وانظر: «الصحيحة» [١٢١١].







وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من أكرم سلطان الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **في الدنيا أهانه الله يوم القيامة**»(١).

وقال الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «صنفان إذا صلحا صلحت الأمة، وإذا فسدا فسدت الأمة: السلطات والعلماء»(٢).

وقال ابن القيم: «قسم الله طريق الحكم بين الناس إلى الحق وهو الوحي الذي أنزله الله على رسوله، وإلى الهوى وهو ما خالفه».

وقال عَزَّوَجَلَّ: «أعمالكم عمالكم، فإن ولايتنا من جنس أعمالنا»(٣).

وقال أبو حازم الأعرج: «الإمام سوق، فما نفق عنده جلب إليه»(٤).

وقال بعض الحكماء: «الناس تبع لإمامهم في الخير والشر» (٥).

وقيل :«إذا صلحت العين صلحت سواقيها»(٦).

وقيل: لا سلطان إلا بالرجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل(٧).

وقيل: الملك والعدل أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر، فالملك أس والعدل حارس، والبناء ما لم يكن له أس فمهدوم، والملك ما لم يكن له حارس فضائع(٨).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٤٢)، والطيالسي (٢/ ١٦٧) الشطر الثاني من الحديث، وابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢٥٩١)، والترمذي [٢٢٢٥]، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٢٢٩٧].

(٢) «حلية الأولياء» (٧/ ٥) لأبي نعيم، ط: مطبعة السعادة.

(٣) «أعلام الموقعين» (١/ ٨) لابن القيم، ط: دار النفائس.

(٤) «ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله» (١/ ١٠٤) للدكتور سيد العفاني، ط: دار العفاني.

(٥) المصدر السابق (١/ ١٠٤).

(٦) المصدر السابق (١/ ١٠٤).

(٧) المصدر السابق (١/ ١٠٤).

(٨) المصدر السابق(١/ ١٠٤).





وقال سعيد بن سويد: إن للإسلام حائطًا منيعًا، وبابًا وثيقًا، فحائط الإسلام الحق، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتدت السلطات، وليست شدة السلطات قتلًا بالسيف ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل(١).

وأعدل الناس رسول الله ﷺ: فهو أطيب الناس، وأعدل الناس، وأبر الناس، وأزهد الناس، وأجود الناس، وأعبد الناس وأشدهم لله خشية.

وصدق من قال:

كفاك عن كل قصر شاهق عمده ... بيت من الطين أو كهف من العلم

تبنى الفضائل أبراجًا مشيدة ... نصب الخيام التي من أروع الخيم

إذا ملوك الورى صفوا موائدهم ... على شهى من الأكلات والأدم

صففت مائدة للروح مطعمها ... عذب من الوحي أو عذب من الكلم

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**إن الله تعالى هو: الخالق، القابض، الباسط، الرزاق، والمسعر، وإني لأرجو أن ألقى الله، ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال**»(٢).

أكرم به هاديا لولا هدايته ... لم يظهر العدل في أرض ولم يقم

وهذا موقف يضرب أروع الأمثلة في عدله ﷺ وهو يقدم نفسه للقصاص: بينما كان رسول الله ﷺ يعدل صفوف جيشه، مر بسواد بن غُزية، وهو خارج عن الصف، فطعنه في بطنه بعود كان في يده قائلًا: «اسْتَوِ يا سواد»، وهنا قال سواد: قد أوجعتني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق والعدل، ثم طلب من الرسول ﷺ

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٠٤).

(٢) صحيح: رواه أبو داود [٣٤٥١]، والترمذي [١٣١٤]، وابن ماجه [٢٢٠٠]، وصححه الشيخ الألباني في «غاية المرام» [٣٢٣]، وانظر: «الروض النضير» [٤٠٥].



أن يعطي القصاص من نفسه قائلًا: «أقدني» فلم يتردد ﷺ، وكشف عن بطنه ﷺ ليقتص منه سواد قائلًا له: «استقد». ولكن سواد بدلًا من أن يطعن في بطن رسول الله قصاصًا، أخذ يقبلها، فقال له الرسول ﷺ: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**» قال: يا رسول الله حضر ما ترى - يعني: القتال - فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك» فدعا له الرسول ﷺ بخير[(١)].

نسينا في ودادك كل غال	**وأنت اليوم أغلى ما لدينا**
نلام على محبتكم ويكفى	**لنا شرف نلام وما علينا**
تسلى الناس بالدنيا وإنا	**لعمر الله بعدك ما سلينا**

وربى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خلفاءه الأربعة على العدل والخير والفضل.

الصديق الأكبر: «**حالب شياه اليتامى**».

الذي قال ﷺ فيه هو وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**هذان السمع والبصر**»، يعني: أبا بكر وعمر[(٢)].

كان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق»[(٣)].

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو يعدد مناقب الصديق بعد وفاته: «لم يكن لأحد فيك مهمز، ولا قائل فيك مغمز، ولا فيك مطمع، ولا عندك هوادة لأحد، الضعيف الذليل عندك قوي، حتى تأخذ بحقه، والقوي العزيز عندك ذليل حتى يؤخذ منه الحق، والقريب عندك في ذلك سواء»[(٤)].

(١) «حياة الصحابة» (٢/ ٢٨٤) للكاندهلوي، ط: المكتبة العصرية.
(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [٣٦٧١] عن عبد الله بن حنطب، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٧٠٠٤]، وانظر: «الصحيحة» [٨١٤].
(٣) «صفة الصفوة» (١/ ٢٦٠) لابن الجوزي، ط: مطبعة السعادة.
(٤) «مجمع الزوائد» (٩/ ٤٨) للهيثمي، ط: مكتبة القدسي.



وقالت أنيسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين، سنتين قبل أن يستخلف، وسنة بعد ما استخلف، فكان جواري الحي يأتينه بغنمهن، فيحلبهن لهن»[(١)].

وعن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزًا، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كي لا يسبق إليها، فوجد أبا بكر هو الذي يجيئها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: «أنت هو لعمري!».

ورحم الله عبد الحليم المصري حيث قال:

رأي عمر يومًا عجوزًا بدارها	غدا الموت منها للبقية حاسيًا
فقال: أواسيها وأقضى أمورها	فقد عدمت في المسلمين مواسيًا
مضى غاشيا في نهره الصبح دارها	فألفى لها في نهره الفجر غاشيًا
فقال لها: من كان في الحي سابقي	ومن ذا الذي يبدو له ما بدا ليا؟
فقالت كريم يعتري الدار سحرة	فيجمع أشتاتي ويرحم ما بيا
فقال: سأحيي الليل أرعى طروقه	وأرصد سباقًا إلى الخير ساعيًا
فشق رواق الليل عن رونق الضحى	ولكنه الصديق من كان باديًا
فألقى الكلى[(٢)] عن عاهل عز قبلها	وما حملته النفس إلا المعاليا
وألقى العصا في جانب من خبائها	وهيأ فيه للقدور الأثافيا
فصاح به الفاروق: ما كان سابقي	سواك أبا بكر ولا كنت راضيا
أفي كل دار من أبي بكر امرؤ	إذا أهلها نادوا أجاب المناديا
ألا عائل إلا تمثلت كافلا	ولا مشتك إلا تمثلت آسيا!

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٨٦) لابن سعد، ط: دار صادر.

(٢) **الكلى**: جمع كلية وهي: ما يحمل فيها الماء.

أمير المؤمنين عمر وعدله:

الذي قال فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وأبو بكر: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي»، يعني: أبا بكر وعمر[(١)].

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أتاه الخصمان برك على ركبتيه، وقال: «اللهم أعني عليهما، فإن كل واحد منهما يريدني عن ديني»[(٢)].

وعن عبد الرحمن بن غنم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: «ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقضى بالحق، ولم يقض على هوى، ولا على قرابة، ولا على رغبة ولا رهبة، وجعل كتاب الله مرآةً بين عينيه»[(٣)].

موقف عمر مع أبي سفيان:

عن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال: «قدمنا مكة مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأقبل أهل مكة يسعون: يا أمير المؤمنين، أبو سفيان حبس مسيل الماء علينا ليهدم منازلنا، فأقبل عمر ومعه الدرة، فإذا أبو سفيان قد نصب أحجارًا، فقال له: ارفع هذا، فرفعه، ثم قال: وهذا وهذا، حتى رفع أحجارًا كثيرة - خمسة أو ستة - ثم استقبل عمر الكعبة فقال: «الحمد لله الذي جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه»[(٤)].

حكمت، فعدلت، فأمنت، فنمت يا عمر:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأى الهرمزان عمر بن الخطاب نائمًا في مسجد المدينة فقال: «هذا والله هو الملك الهنيء»[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي [٣٦٦٥]، وابن ماجه [٩٥]عن علي وأنس، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٧٠٠٥]، وانظر: «الصحيحة» [٨٢٢].

(٢) «مناقب أمير المؤمنين عمر» ص: [٩٤] لابن الجوزي، ط: دار الكتب العلمية.

(٣) صحيح: رواه سمواية في «فوائده» [٣٨] والدرامي [١٠٤] مختصرًا، وقال الألباني في «مختصر العلو» ص: [١٠٣]، وإسناده صحيح.

(٤) «مناقب أمير المؤمنين عمر»، ص: [٩٧] لابن الجوزي، ط: دار الكتب العلمية.

(٥) «تاريخ دمشق، مناقب عمر بن الخطاب» ص: [٢٧٢] لابن عساكر، ط: دار الفكر.






وصدق حافظ إبراهيم حين قال:

قد راع صاحب كسرى أن رأى عمرا ... بين الرعية عطلا وهو راعيها

وعهده بملوك الفرس أن لها ... سورا من الجند والأحراس يحميها

رآه مستغرقًا في نومه فرأى ... فيه الجلالة في أسمى معانيها

فوق الثري تحت ظل الدوح مشتملاً ... ببردة كاد طول العهد يبليها

فهان في عينيه ما كان يكبره ... من الأكاسير والدنيا بأيديها

وقال قولة حق أصبحت مثلاً ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها

أمنت لما أقمت العدل بينهم ... فنمت نوم قرير العين هانيها

ذو النورين عثمان الرحيم العادل:

الذي قال فيه ﷺ: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**»(١).

ردد ذلك مرتين أو ثلاثا. ولم لا؟ وهو الذي جهز جيش العسرة، واشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألف درهم جعلها للغني والفقير وابن السبيل.

وقال: حبب إلى من الدنيا ثلاث: «إشباع الجيعان، وكسوة العريان، وتلاوة القرآن»(٢).

يغضب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على خادم له يومًا، فيعرك أذنه حتى يوجعه، ثم سرعان ما يدعو خادمه ويأمره أن يقتص منه فيعرك أذنه، ويأبى الخادم، ويأمره في حزم فيطيع: «اشدد يا غلام، فإن قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة»(٣).

قال حنين بن المنذر: «شهدت عثمان بن عفان، وأتى بالوليد قد صلى الصبح ركعتين، ثم قال: أزيدكم؟

---

(١) تقدم تخريجه، ص: [٦٢].

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١٢٥) للحافظ ابن كثير، ط: مكتبة الإيمان.

(٣) «ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله» (١/ ١٥٣) للدكتور سيد العفاني، ط: دار العفاني.





فشهد عليه رجلان - أحدهما حمران - أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: يا علي، فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ول حارها من تولى قارها[١] - فكأنه وجد عليه - فقال: يا عبد الله بن جعفر، قم فاجلده، فجلده - وعلي يعد - حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعين وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وهذا أحب إلي»[٢].

ولله در القائل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

علي بن أبي طالب أبو الحسن:

ما زانته الخلافة، بل زانها بعدله:

كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، كانت حظوظه مع نفسه في طهرها وعدلها وتقاها رابية ووافية، وكان عدله سامقًا يبقى على مر الزمان منارًا لذوي الرشد والنهي، وكان ولاؤه للعدل ولاء مطبوعًا، ولاء فطرة، وولاء يقين.

لما تولى الخلافة صعد المنبر يوم الجمعة: وقال: «أيها الرعاء، إن لرعيتكم حقوقًا: الحكم بالعدل، والقسمة بالسوية، وما من حسنة أحب إلى الله من حكم إمام عادل».

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أأقنع من نفسي أن يقال: «أمير المؤمنين» ثم لا أشارك المؤمنين في مكاره الزمان؟ والله لو شئت لكان لي من صفو هذا العسل، ولباب هذا البر، ومناعم هذه الثياب، ولكن هيهات أن يغلبني الهوى، فأبيت مباطنًا وحولي بطون غرثي[٣] وأكباد حرى[٤]».

---

(١) ول حارها من تولى قارها: ول شديدها من تولى هنيها، **والقار:** أي ول العقوبة والضرب من تولى العمل والنفع.

(٢) «أسد الغابة» (٥/ ٤٥٣) لابن الأثير، ط: دار الريان.

(٣) **غرثي:** جوعى.

(٤) **حرى:** يبست من عطش أو حزن.



عفاء على دنيا رحلت لغيرها ... ليس بها للصالحين معرج

كدأب علي في المواطن كلها ... أبي حسن والغسل من حيث يخرج

سيخرج الله من عالم الغيب ناصرًا ... ولله أوس آخرون وخزرج

قال علي بن ربيعة: جاء ابن النباح إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر!! فقام متوكئًا على ابن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين، فقال:

هذا جناي وخياره فيه ... وكل جان يده إلى فيه

يا ابن النباح، علي بأشياع الكوفة، قال فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين، وهو يقول: يا صفراء... ويا بيضاء... غري غيري.

حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه، وصلى فيه ركعتين[(١)].

وعن علي بن الأرقم، عن أبيه، قال: «رأيت عليًا وهو يبيع سيفًا له في السوق، ويقول: من يشتري مني هذا السيف، فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته[(٢)]».

بروحي إذ يجود بخير نفس ... تخاف على الحنيفة أن تضاما

بني العدل إن شئتم قصاصًا ... كفى بكتاب ربكم إمامًا

كتاب الله لا تغلوا فإني ... آخاف عليكم ألا يقاما

إلى دار السلام قضى على ... وجاور في منازلها السلاما

هذا كان حالهم وديدنهم في خلافتهم رضي الله عنهم، صلحوا في حكمهم وخلافتهم، فصلحت البلاد وأمن العباد.

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٨٣) لأبي نعيم، ط: مطبعة السعادة.

(٢) المصدر السابق (١/ ٨٣).

ولله در شوقي حين قال:

خلائف الله جلوا عن موازنة ... فلا تقيسن أملاك الورى بهم

من في البرية كالفاروق معدله ... وكابن عبد العزيز الخاشع الحشم

وما بلاء أبي بكر بمتهم ... بعد الجلائل في الأفعال والخدم

بالحزم حاط الدين في محن ... أضلت الحلم من كهل ومحتلم



أسماء الله الحسنى

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»(١).

وأسماء الله كلها حسنى، وصفاته كلها عُليا وسميت حسنى لدلالتها على أحسن مسمى، وأشرف مدلول، وتوحيد الله في الأسماء يقتضي الإيمان بكل اسم سمى الله به نفسه، وما دل عليه هذا الاسم من معنى أو صفة، وبما يتعلق، بهذا الاسم من آثار، وهذا الإيمان هو أصل الدين، وركن التوحيد، وأول الواجبات، وآخر الواجبات.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**».

ومعنى أحصاها: أي حفظها وأطاقها، وتعبد لله تَعَالَى بها وهي الأقوال التي وردت في تفسير هذا الحديث، وورد الإحصاء بمعنى الحفظ، وهو قول البخاري(٢).

لكن لا شك أن من حفظ الألفاظ ولم يقم بحقها في العبادة لم يكن ذلك هو الإحصاء المقتضي لدخول الجنة، بل يحصيها لكي يتعبد لله تَعَالَى بها، ويدعو الله تَعَالَى بها، وهذا هو معنى: أطاقها أي أطاق القيام بحق كل منها، بدعاء الرب تَعَالَى به، وبشهود آثار هذا الاسم في الوجود، واستحضار عظمة الله تَعَالَى، واستحضار قدرته، واستحضار علمه تَعَالَى بالأوائل والأواخر، والظواهر والبواطن.

وهذه التسعة والتسعون اسمًا من جملة أسماء الله تَعَالَى، وحصرها وجمعها لم يرد به حديث صحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن جمعها أهل العلم من القرآن والسنة كي يتعبد

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٦٧٧]، والترمذي [٣٥٠٦]، وابن ماجه [٣٨٦٠].

(٢) انظر: «معارج القبول» (١/ ٩٨) ط: مركز الهدى للدراسات.



بهـا النـاس، وينتفعوا بها في دعاء الله تَعَالَىٰ، وكي يطلبها الناس ويجتهدوا في طلبها، وهذه الأسـماء ذكرت في الكتاب والسـنة، ولكنها غير محددة بعدد حتى يجتهد الناس في الدعاء بكل الأسـماء الحسنى الموجودة في الكتاب والسنة، لكي يكون بذلك قد دعا الله بالتسعة والتسعين اسمًا، وشبيه ذلك قول النبي ﷺ عن يوم الجمعة: «**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه**»(١)، حتى وإن قلنا هي آخر ساعة بعـد العصر، فنحن لا نعرفهـا تحديدًا، فالذي يمكث من العـصر إلى المغرب يوم الجمعة يذكر الله، سـوف يدرك هذه الساعة، وكذلك ليلة القدر في العشر الأواخر، لكن أية ليلة هـي لم نعرفهـا؟؟ ولكن نطلبهـا في العشر الأواخر كلها حتى نـدرك ليلة القدر. فكذلك لكي ندرك التسعة والتسعين اسمًا، وندعو الله بها، ونتعبد الله بها، فالسبيل لذلك أن نتعبد بكل ما ورد في الكتاب والسنة(٢).

وأسـماء الله تَعَالَىٰ ليست منحصرة في التسعة والتسعين اسمًا، ويدلل على ذلك قول النبـي ﷺ: «**اللهـم إنـي عبدك وابن عبـدك وابن أمتك، ناصيـتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسـألك بكل اسـم هو لك سميت به نفسـك، أو أنزلته في كتابـك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو اسـتأثرت بـه في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي**»(٣).

وهذه الأسماء الحسنى دالة على صفات الله تَعَالَىٰ، وهذه الصفات تنقسم إلى قسمين: صفات ذات وصفات أفعال:

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٠٣٧]، ومسلم [٨٥٢] واللفظ له من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) **المنة**: شرح اعتقاد أهل السنة بتصرف واختصار (٦١ -٦٢) للشيخ ياسر برهامي ط: دار الخلفاء.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد [٣٧١٢]، وابن حبان [٩٧٣] وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [١٩٩].



أولًا-مثال لصفات الذات:

كالنفس، والحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والوجه، واليد، والرجل، والملك، والعظمة، والكبرياء، والإصبع، والعين، والغنى، والقدم، والرحمة، والحكمة، والقوة، والعزة، والخبرة، والوحدانية، والجلال، وهي لا تنفك عن الله لازمة له.

ثانيًا- مثال لصفات الفعل:

كالاستواء، والنزول، والضحك، والمجيء، والعجب، والفرح، والرضى، والحب، والكره، والسخط، والإتيان، والمقت، والأسف، وهذه يقال لها قديمة النوع حادثة الآحاد، وهي متعلقة بمشيئة الله وقدرته(١).



(١) «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» (ص: ٤٢٩ -٤٣٠) للشيخ عبد العزيز السلمان، ط. «مكتبة الرياض الحديثة».



حسن الخلق

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم خلقًا**»(١).

وحسن الخلق: أفضل أعمال الصديقين، وهو على التحقيق شطر الدين، وثمرة مجاهدة المتقين، ورياضة المتعبدين، والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمخازي الفاضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان، وجوار الرحمن، والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب، وأسقام النفوس، إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد، وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد؟

ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان، - وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية - فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب - وفي مرضها فوت حياة باقية - أولى. وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب، إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت، وترادفت العلل وتظاهرت، فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة علمها وأسبابها، ثم التشمير في علاجها وإصلاحها، فمعالجتها هو المراد بقوله تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[الشمس: ٩]، وإهمالها هو المراد بقوله: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾(٢)[الشمس: ١٠]،ولقد حدد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين من دعوته، بقوله: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٣).

(١) **حسن**: رواه أحمد [٦٧٦٧] وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١١٧٦].

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٧١) لأبي حامد الغزالي، ط: دار الجيل.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود [١٤٠٠]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٧]، وأحمد (٢/ ٢١٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٤٥].



إن البرية يوم مبعث أحمد نظر الإله لها فبدل حالها
بل كرم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالها

فكأن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها ﷺ جهدًا كبيرًا في مد شعاعها، وجمع الناس حولها، لا تنشد أكثر من تدعيم فضائلها، وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم حتى يسعوا إليها على بصيرة.

وإنما شرعت العبادات في الإسلام، واعتبرت أركانًا في الإيمان من أجل حسن الخلق، والقرآن الكريم والسنة المطهرة يكشفان بوضوح عن هذه الحقائق:

فالصلاة المفروضة الواجبة عندما أمرنا الله بها أبان الحكمة من إقامتها، فقال الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والزكاة المفروضة هي في الحقيقة غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وكذلك شرع الإسلام الصوم، فلم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة، بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائمًا من شهواتها المحظورة، ونزواتها المنكرة، وإقرارًا لهذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»(١).

كذلك الحج قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

---

(١) صحيح: رواه البخاري [١٩٠٣]، وأبو داود [٢٣٦٢]، والترمذي [٧٠٧]، وابن ماجه [١٦٨٩].



فهذا العرض المجمل لبعض العبادات التي اشتهر بها الإسلام، وعرفت على أنها أركانه الأصلية، نستبين منه متانة الأواصر التي تربط الدين بالخلق، إنها عبادات متباينة في جوهرها ومظهرها، ولكنها تلتقي عند الغاية التي وضحها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١).

فضيلة حسن الخلق:

إن حسن الخلق ركن الإسلام العظيم، الذي لا قيام للدين بدونه، وإن المؤمنين يتفاضلون في الإيمان، وإن أفضلهم أحسنهم خلقًا، وكذلك يتفاوتون في الظفر بحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقرب منه يوم القيامة، وأكثرهم ظفرًا بحبه والقرب منه هم الذين حسنت أخلاقهم، فعن أبي ثعلبة الخشني، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة مساويكم أخلاقًا، الثرثارون المتفيهقون المتشدقون**»(٢).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم خلقًا**»(٣).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**»(٤).

---

(١) «أحب الأعمال إلى الله» (ص: ١٢٠ - ١٢١) للمؤلف، ط: دار الإيمان، والحديث تقدم تخريجه، ص: [١٧٤].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد [١٧٦٦١]، والطبراني في «الكبير» [٥٨٨]، وابن حبان [١٩١٧] موارد، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٥٣٥].

(٣) **حسن**: رواه أحمد [٦٧٦٧]، وحسنة الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١١٧٦].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود [٤٧٩٨]، والترمذي [٢٠٨٧]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١١١٨].



وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(١).

وعن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»(٢).

أركان حسن الخلق:

قال ابن القيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها، وهي: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

أولًا- الصبر: فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق،وعدم الطيش والعجلة.

ثانيًا- العفة: فالعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير.

ثالثًا- الشجاعة: فالشجاعة تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى.

رابعًا- العدل: فالعدل يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين الإفراط والتفريط، ويحمله على خلق الجود والسخاء وعلى الشجاعة التي هي بين الغضب والمهانة(٣).

وأعظم الناس خلقًا، وأوفاهم للعهود وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورحمة، وأشدهم تواضعًا، رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسمى قبل البعثة بالصادق الأمين.

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود [٤٧٩٨]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٠٨٢].

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود [٤٥٨٣]، والترمذي [٢٦٧٦] وقال: حسن صحيح، وابن ماجه [٣٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٥٤٣].

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣١٠) للإمام ابن القيم، ط: دار الكتاب العربي بتصرف بسيط واختصار.

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ محلى بصفات الكمال المنقطعة النظير، وأدبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنيًا فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحببه إلى القلوب، وصيره قائدًا تهوى إليه الأفئدة، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء، حتى دخلوا في دين الله أفواجًا(١).

وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأخلاق الحميدة، والأفعال المرضية كانت ظاهرة منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ودلت الآية على أنه مستعل على هذه الأخلاق، ومُستولٍ عليها، فإنه بالنسبة إلى هذه الأخلاق الجميلة كالمولى بالنسبة للعبد، كانت عظيمة عالية الدرجة، كأنها لقوتها وشدة كمالها من جنس أرواح الملائكة(٢).

فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خدمت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟ وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحسن الناس خلقًا...(٣).

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما خير رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»(٤).

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود بالخير من الريح المرسلة»(٥).

---

(١) «الرحيق المختوم»، ص: [٤٢٥] لصفي الرحمن المباركفوري، ط: دار العلوم العربية.
(٢) «مفاتح الغيب» (١٥/ ٦٤٩ - ٦٥١) لفخر الدين الرازي، ط: دار الغد العربي.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٣٣٠]، والترمذي [٢٠١٥].
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٣٥٦٠]، ومسلم [٢٣٢٧].
(٥) **صحيح**: رواه البخاري [١٩٠٢]، ومسلم [١١٠٨]، وأحمد [٢٦١٦].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياء من العذراء في خدرها، وإذا كره شيئًا عُرف في وجهه»(١).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته»(٢).

وقيل لها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما كان رسول الله يعمل في بيته؟ قالت: «كان بشرًا من البشر، يفلي ثوبه، ويلبُ شاته»(٣).

وربي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الجيل المبارك والرعيل الأول من أصحابه على أحسن الأخلاق، فكانت أخلاقهم على البر والرشاد، فكان لا يصدر منهم إلا ما هو حسن وجميل.

وإليك - أخي الكريم - بعض النماذج والصور المباركة من أخلاق السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ، ومن تأسى بهم من التابعين ومن تبعهم بإحسان، علنا نقتدي بهم، فإن لم نستطع فنحبهم في الله، فإن المرء يحشر مع من أحب، والخليل على دين خليله، والله عَزَّ وَجَلَّ يقرن الأصناف مع أصنافهم، والأشباه مع أشباههم، والأنواع مع أنواعهم:

أحب الصالحين ولست منهم ... لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي ... ولو كنا سواء في البضاعة

سب رجل عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلما فرغ قال: يا عكرمة هل للرجل حاجة فتقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى، وعن علي بن الحسين بن علي أنه سبه رجل، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٥٦٢]، ومسلم [٢٣٢٠]، وابن ماجه [٤١٨٠]، وأحمد [١١٧٠٠].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد [٢٤٨٦١]، وابن حبان [٥٦٧٧]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الأدب المفرد» برقم [٤١٩].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي [٣٤٢]، وأحمد [٢٦٣٠٤]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٥٤١]، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٦٧١].

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب	وإن كثرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة	شريف ومشروف ومثلي مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره	وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن	إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا	تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

وشتم رجل سلمان الفارسي فرد عليه وقال: إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول، وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول.

وشتم رجل الربيع بن خيثم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فرد عليه وقال: يا هذا، سمع الله كلامك، وإن دون الجنة عقبة، إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول.

وقالت له امرأة: يا مرائي، فقال: ما عرفني غيرك.

وقال علي بن يزيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول، فأطرق عمر زمنًا طويلاً، ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا.

وشتم رجل الأحنف بن قيس، فسكت عنه، وأعاد الرجل فسكت عنه، وأعاد فسكت عنه، فقال الرجل: والهفاه، ما يمنعه من أن يرد علي إلا هواني عنده.

وشتمه رجل وجعل يتبعه حتى بلغ حيه. فقال الأحنف: يا هذا إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره.

وقال رجل لمالك بن دينار: بلغني أنك ذكرتني بسوء!! قال: أنت لست أكرم علي من نفسي، إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: أشهد أنك من الفاسقين، قال: ليس تقبل شهادتك.





وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه، فلم يغضب، فقيل له في ذلك، فقال: أقمته مقام حجر تعثرت به، فذبحت الغضب.

وقال يحيي بن منده: كان عمي سيفًا على أهل البدع، وهو أكبر من أن يثنى عليه مثلي، كان - والله - آمرًا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، كثير الذكر، قاهرًا لنفسه، عظيم الحلم، كثير العلم، قرأت عليه قول شعبة: من كتبت عنه حديثًا فأنا له عبد: فقال عمي: من كتب عني حديثًا فأنا له عبد.

وقال خطيب الموصلي أبو الفضل: حدثني أبي قال: توجهت من الموصل سنة ٤٥٩ هـ إلى أبي إسحاق - يعني: الشيرازي - فلما حضرت عنده رحب بي وقال: من أين أنت؟ فقلت: من الموصل. قال: مرحبًا، أنت بلديي. قلت: يا سيدي أنت من فيروز آباد؟ قال: جمعتنا سفينة نوح؟ فشاهدت من حسن أخلاقه، ولطائفه، وزهده ما حبب إلى لزومه، فصحبته إلى أن مات.

وقيل: إن أبا إسحاق نزع عمامته ـ وكانت بعشرين درهمًا ـ وتوضأ في دجلة، فجاء لص فأخذها، وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبسها، وما شعر حتى سألوه وهو يدرس، فقال: لعل الذي أخذها محتاج.

كان الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا قيل له: إن فلانًا يقع في عرضك يقول: والله لأغيظن من أمره - يعني إبليس - ثم يقول: اللهم إن كان صادقًا فاغفرلي، وإن كان كاذبًا فاغفر له.

وشتم رجل بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فبالغ في شتمه وهو ساكت فقيل له ألا تشتمه كما شتمك؟ فقال: إني لا أعرف له شيئًا من المساوئ حتى أشتمه به، ولا يحل لي أن أرميه بالكذب.





وشتم رجل الإمام أحمد بن حنبل وسبه، فقيل له: يا أحمد، ألا رددت علي هذا، فقال: فأين القرآن إذن؟ ألا يقول الله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقيل للأحنف بن قيس: من أين تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم، قيل: وما بلغ حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره، إذ أتته جارية بسفود عليه شواء، فسقط من يدها، فوقع على ابن صغير له فمات، فدهشت الجارية، فقال لها: لا روع عليك، أنت حرة لوجه الله تعالى.

وقال رجل لسالم بن عبد الله رحمه الله: يا شيخ السوء، فقال له سالم: ما أراك أبعدت يا أخي[(١)].

تكسو المحامد وجه المرء بهجتها	كما اكتسى الزهر زهر الروض بالمطر
يخلد الذكر حمدًا طاب منشؤه	وليس يمحو المزايا سالف العصر
تميز الناس بالفضل المبين كما	تميزوا بينهم في خلقة الصور
بقدر معرفة الإنسان قيمته	وبالفضائل كان الفرق في البشر
ما الفضل في بزة تزهو برونقها	وأي فضل لإبريز على مدر
وإنما الفضل في علم وفي أدب	وفي مكارم تجلو صدق مفتخر
فلا تساو بأخلاق مهذبة	أخلاق سوء أتت من سارح البقر



---

(١) هذه الأمثلة والنماذج مختصرة من كتاب «صلاح الأمة» (٥/ ٢٥٣ ـ ٢٧٢) للشيخ سيد بن حسين العفاني، ط: مؤسسة الرسالة، وانظر: كتاب «التربية على منهج أهل السنة»، ص: (١٤٦ – ١٤٨) للشيخ أحمد فريد، ط: الدار السلفية.







الحب في الله

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**».

وذكر منهم: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»(١)

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله تَعَالَى يقول: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»(٢).

والحـب في الله: أصل عظيم من أصول الدين، ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**»(٣).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله: فقد اسـتكمل الإيمـان**»(٤)، وهـذه المحبة وتلك الأخوة لا قدر للعبـد في تحصيلها ولا دفعها، لأنها من أعمال القلـوب، والقلوب بيد الله عَزَّوَجَلَّ، وبـين إصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشـاء، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

ولعظـم هـذه المحبة وتلك الأخوة، وأنها سـبب في نجاح المجتمعات الإسـلامية، لما هاجر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المدينة كان أول ما بدأ به هو بناء المسجد، ثم قام بعمل من أروع ما سجله التاريخ، وهو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

---

(١) صحيح: رواه البخاري [١٤٢٣]، ومسلم [١٠٣١]. (٢) صحيح: رواه مسلم [٢٥٦٦].

(٣) صحيـح: رواه الطـبراني في «الكبـير» (١١/ ٢١٥)، برقم [١١٥٣٧] من حديـث عبد الله بن عباس، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٥٣٩]، وانظر: «الصحيحة» [١٧٢٨].

(٤) صحيح: رواه أبو داود [٤٦٨١] واللفظ له، والترمذي [٢٥٢١] من حديث أمامه، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٩٦٥]، وانظر: «الصحيحة» [٣٨٠].



قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار، في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، لما أنزل الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٥] رد التوارث، دون عقد الأخوة[١].

قال الغزالي: فذابت عصبيات الجاهلية،وفوارق اللون والوطن، فلا حمية إلا للإسلام، ولا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه، وقد جعل صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأخوة عقدًا نافذًا، لا لفظًا فارغًا، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال، لا تحية تثرثر بها الألسنة، ولا يقوم لها أثر، وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال[٢].

ولقد ضرب أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أروع الأمثلة في صدق الأخوة في الله، والحب في الله تَعَالَىٰ، فاستحقوا المدح والثناء من الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

بلغ الأشواق والحب الصحابة ... سادة القوم وأرباب النجابة
هم حماة الدين أبطال الردى ... بل ليوث بدر بل أسود غابة
حبهم دين ومن يبغضهم ... ربنا في ناره الأخرى أذابه

(١) «زاد المعاد في هدى خير العباد» (٢/ ٥٦) للإمام ابن القيم، ط: المطبعة العصرية.
(٢) «فقه السيرة»، ص: (١٤٠ - ١٤١) للشيخ الغزالي، ط: دار الكتاب العربي.



وإليك أخي الكريم نموذجين مباركين يضربان أروع الأمثلة في صدق الحب في الله والأخوة في الله.

فعن إبراهيم بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبيه عن جده، قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالًا فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك[(١)].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم من طعام في ثوب واحد ثم قسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم**»[(٢)]. حقًا فقد كانت هذه المؤاخاة حكمة فذة، وسياسة صائبة رشيدة، وحلا رائعًا ناجحًا لكثير من المشاكل التي يواجهها المسلمون.

وهذه الأخوة وتلك المحبة أقوى من أخوة النسب واللون والوطن، ففي غزوة بدر التي جمعت بين الآباء والأبناء، اختلفت بينهما العقائد، ففصلت بينهما السيوف، تجلت في هذه الغزوة مناظر رائعة برزت فيها قوة العقيدة، والثبات على المبدأ فلا يتقدم أحد ولا يتأخر إلا بالإسلام.

ففي هذه الغزوة قتل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاله العاص بن هشام بن المغيرة، وقتل أبو عبيدة بن الجراح أباه، ونادى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنه عبد الرحمن - وهو يومئذ مع المشركين - فقال: أين مالي يا خبيث؟ فقال عبد الرحمن: لم يبق غير شكة[(٣)] ويعبوب[(٤)]،

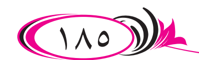
---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٧٨١]، والترمذي [١٩٣٣]، وابن ماجه [١٩٠٧].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٤٨٦]، ومسلم [٢٥٠٠].

(٣) **الشكة**: السلاح. (٤) **اليعبوب**: الفرس كثير الجري.





وصارم يقتل ضلال الشيب[(١)]، وبعد انتهاء المعركة مر مصعب بن عمير العبدري بأخيه أبي عزيز بن عمير، الذي خاض المعركة ضد المسلمين، مر به وأحد الأنصار يشد يده، فقال مصعب للأنصاري: شد يديك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصايتك بي؟ فقال مصعب: إنه - أي الأنصاري - أخي دونك[(٢)].

حقوق الحب في الله والأخوة في الله:

ثم اعلم يا رعاك الله، أن هذه المحبة وتلك الأخوة لها حقوق كثيرة يجب مراعاتها، والقيام بحقها، فأخوك المسلم له عليك حقوق متعددة، منها حق في المال، والنفس، واللسان، والعفو والصفح، والدعاء، والإخلاص، والوفاء، والتخفيف للآلام، وترك التكلف، وغير ذلك من الحقوق المترتبة على ذلك.

وإليك أخي الكريم - أهم وأعظم هذه الحقوق:

أولاً- حق المال:

ينبغي - أخي الكريم - أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك، وأن تتفقد أوقات حاجته، ولا تغفل عن أحواله، كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وأن تنزله منزلة نفسك، وترضى بمشاركته إياك في مالك.

كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أتاه رجل فقال: إني أريد أن أؤاخيك في الله، قال أتدري ما حق الإخاء؟ قال: عرفني. قال: لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني، قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد، قال: فاذهب عني[(٣)].

---

(١) «الرحيق المختوم»، ص: [١٩٣] للشيخ المباركفوري، ط: الدار العربية.

(٢) المصدر السابق، ص: [١٩٣].

(٣) «منهاج المسلم»، ص: [١٢٣] للشيخ أبو بكر الجزائري، ط: مكتبة دار التراث.







وقال عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أتى علينا زمان وما نرى أحدًا منا أنه أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم، وإنا في زمان الدينار والدرهم أحب إلينا من أخينا المسلم[(١)].

وقال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه نصفين[(٢)].

وصدق فيهم قول القائل:

إن أخاك الحق من كان معك	**ومن يضر نفسه لينفعك**
ومن إذا ريب الزمان صدعك	**شتت فيه شمله ليجمعك**

وقال آخر:

وكل الناس إخوان الرخاء وإنما	**أخوك الذي آخاك عند الشدائد**

وإليك أخي الكريم بعض الصور من حقوق الأخوة في المال:

لقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير - بعد ما قتل الزبير - فقال: كم ترك أخي عليه من الدين؟ قال: ألفي ألف، قال: علي منهما ألف ألفٍ[(٣)] وكان عامر بن عبد الله ابن الزبير يتحين العباد وهم سجود: أبا حازم، وصفوان بن سليم، وسليمان بن سحيم - وأشباههم - فيأتيهم بالصرر فيها الدينار والدرهم، فيضعها عند نعالهم، حيث يحسون بها ولا يشعرون بمكانه[(٤)].

ودخل زين العابدن بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده، فبكى محمد بن أسامة، فقال له: ما يبكيك؟ قال: علي دين، قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار. فقال: هي علي[(٥)].

---

(١) «وصايا الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ» (٢/ ١٠٨) للشيخ سعد يوسف، ط: المكتبة التوفيقية.

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٠٨).

(٣) كتاب «الإخوان»، ص: [٢١٩] لابن أبي الدنيا، ط: دار الاعتصام.

(٤) المصدر السابق، ص: [٢١٩].

(٥) «البداية والنهاية» (٩/ ١٠٥) للحافظ ابن كثير، ط: مكتبة الصفا.







وروى أن مسروقًا ادَّان دينًا ثقيلاً، وكان على أخيه خيثمة دين، فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم(١).

ولقى الحسن البصري بعض إخوانه، فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته وألبسها إياه، وقال: «إذا أتيت أهلك فبعها واستنفق ثمنها»(٢).

وقال أبو إسحاق الأقرع: رأيت عبد الله بن المبارك يخرج من عند سفيان بن عيينة مسرورًا طيب النفس، فقيل له في ذلك، فقال: وما يمنعني من ذلك؟ حدثني ابن عيينة بأربعين حديثًا وأطعمني خبيصًا(٣).

وروي أن فتحا الموصلي جاء إلى صديق له يقال له عيسى التمار، فلم يجده في المنزل، فقال للخادمة: أخرجي لي كيس أخي فأخرجته، فأخذ منه درهمين، وجاء عيسى إلى منزله، فأخبرته الجارية بذلك، فقال: إن كنت صادقة، فأنت حرة، فنظر فإذا هي قد صدقت، فأعتقت(٤).

ثانيًا- الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات:

قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي، ومعي شيء من الماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه آه ، فأشار هشام أن انطلق إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات، رحمة الله عليهم جميعًا(٥).

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٨٩) للغزالي، ط: مكتبة الشعب.
(٢) المصدر السابق (٢/ ١٨٩).
(٣) «لطائف المعارف»، ص: [٢٦٠] لابن رجب الحنبلي، دار ابن حزم.
(٤) «منهاج القاصدين»، ص: [٩٢] لابن قدامه، مكتبة: الهدى النبوي.
(٥) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٧٤) للغزالي، ط: مكتبة الشعب.



وكان بعض السلف يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة، يقوم بحاجتهم، ويتردد كل يوم إليهم، ويمونهم من ماله، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته.

وكان الواحد منهم يتردد إلى باب أخيه ويسأل ويقول: هل لكم زيت؟ هل لكم ملح؟ هل لكم حاجة؟!

فأين وصفنا أنا وأنت من هذه الأوصاف؟ أين شجرة الزيتون من شجر الصفصاف.

لا تعرضن بذكرنا في ذكرهم ... ليس السليم إذا مشى كالمقعد

وقال آخر:

تاريخنا من هؤلاء مبداه ... فما عداه فلا ذكر ولا شان

ثالثًا- الحق في اللسان:

ينبغي على المسلم أن يخبر أخاه المسلم بمحبته إياه، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه**»(١).

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه(٢).

ومنه: أن تشكره على صنيعه في حقك.

ومنه: السكوت عن كل ما يكره جملة وتفصيلاً.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود [٥١١٤]، والترمذي [٢٥١٥]، والنسائي في «الكبرى» [١٠٠٣٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» برقم [٥١١٤].

(٢) «وصايا الرسول» (٢/ ١١٠) للشيخ سعد أبو عزيز، ط: المكتبة التوفيقية.

ومنه: السكوت عن ذكر عيوبه في حضوره وغيبته، وعن الرد عليه ومماراته، وعن السؤال عما يكره ظهوره من أحواله، والذب عن عرضه، وحمايته ونصرته. قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا** - وأشار إلى صدره ثلاث مرات - **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**»(١).

وترى الكريم إذا تصرم وصله ... يخفي القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تغير وصله ... يخفي الجميل ويظهر البهتانا

رابعًا- العفو عن الزلات:

فمن حقوق الأخوة العفو عن الزلات، والتغاضي عن الهفوات، وستر العيوب، وحسن الظن به، وإن ارتكب معصية سرًا أو علانية فلا يقطع مودته، ولا يهمل أخوته، بل ينتظر توبته وأوبته، فإن أصر قطعه، مع الإبقاء على إسداء النصيحة له، ومواصلة الموعظة رجاء أن يتوب الله عليه.

قال الفضيل: **الفتوة:** الصفح عن زلات الإخوان(٢).

وقال: من طلب أخا بلا عيب بقي بلا أخ(٣).

وقال عبد الله بن محمد: المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب الزلات(٤).

ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن تتبع جاهدًا كل عثرة ... يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم [٢٥٦٤]، وأحمد (٢/ ٢٧٧)، والبيهقي (٧/ ٣٠٣).

(٢) «مواقف إيمانية»، ص: [٤٨١] للشيخ أحمد فريد، ط: دار الصفوة.

(٣) «وصايا الرسول ﷺ» (٢/ ١١١) للشيخ سعد أبو عزيز، ط: المكتبة التوفيقية.

(٤) «آداب الصحبة»، ص: [٤٤] لأبي عبد الرحمن السلمي، ط: دار الصحابة.



فإنك أيها الأخ الكريم إن طلبت أخًا منزهًا عن كل عيب لم تجد، ومن غلبت محاسنه على مساويه فهو الغاية.

خامسًا- التخفيف وترك التكلف والتكليف:

فمن حقوق الأخوة أن لا يكلف المسلم أخاه ما يشق عليه، بل لا يقصد بمحبته إلّا وجه الله، والتبرك بدعائه، والاستئناس بنصحه، والاستفادة من علمه، والاستعانة به على دينه بعد الله عَزَّوَجَلَّ.

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شر الأصدقاء من تكلف لك، ومن أحوجك إلى مداراة، وألجأك إلى اعتذار(١).

وقال الفضيل: إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه(٢).

وقال بعض السلف: من سقطت كلفته دامت ألفته، ومن خفت مؤونته دامت مودته، وإن سقوط الكلفة موجب للأنس، ومذهب للوحشة، وهو أن يفعل في بيت أخيه أربع خصال: أن يأكل في بيته، ويدخل الخلاء عنده، ويصلي معه، ويبيت عنده، فإذا فعل ذلك فقد تم الإخاء(٣).

سادسًا- الوفاء والإخلاص:

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب وإدامته، فهذا الحب لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالجفاء، وهذا الحب ثابت ودائم حتى بعد موته، بعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن

---

(١) «وصايا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٢/ ١١٤) سعد أبو عزيز، ط: المكتبة التوفيقية.
(٢) المصدر السابق (٢/ ١١٤).
(٣)«منهاج المسلم»، ص: [١٢٥] للشيخ أبو بكر الجزائري، ط: مكتبة دار التراث.



الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل، وضاع السعي، ولذلك قال ﷺ: «**ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»(١).

ومن الوفاء أن لا يتغير حاله من التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه، واتسعت ولايته، وعظم جاهه.

قال بعض السلف لابنه:

يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك، ومن تمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة(٢).

ورحم الله من قال:

وجدت مصيبات الزمان جميعها — سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وقال آخر:

مرض الحبيب فعدته — فمرضت من جزعي عليه
وأتى الحبيب يعودني — فبرئت من نظري إليه

سابعًا- الدعاء له في حياته وبعد مماته:

قال ﷺ: «**دعوة المرء لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل**»(٣).

وكان أبو داود رضي الله عنه: يدعو لخلق كثير من إخوانه يسميهم بأسمائهم(٤).

(١) صحيح: رواه البخاري [١٤٢٣]، ومسلم [١٠٣١].
(٢) «وصايا الرسول» (٢/ ١١٣) للشيخ سعد أبو عزيز، ط: المكتبة التوفيقية.
(٣) صحيح: رواه مسلم [١٥٣٥]، وأبو داود [١٥٣٤]، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» [٧٨٧].
(٤) «منهاج القاصدين»، ص: [٩٦] لابن قدامة المقدسي، ط: مكتبة الهدي النبوي.





وكان الإمام أحمد بن حنبل: يدعو في السحر لستة نفر من أصحابه(١).

وقال محمد بن يوسف: أين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك، ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك، مهتم بما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى(٢).

وقال بعض السلف: الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء، يفرحون بذلك كما يفرح الحي بالهدية(٣).

فوائد وثمرات الحب في الله والأخوة في الله:

إن للحب في الله والأخوة في دينه فوائد عظيمة، وثمرات محققة، ومنافع جمة، في الدنيا والآخرة، وإليك أخي الكريم بعض هذه الفوائد والثمرات الطيبة المباركة.

أولًا- الحب في الله علامة على الإيمان:

إن الحب في الله علامة على الإيمان، فإنه لا يكتمل إيمان العبد، ولا يذوق طعمًا للإيمان حتى يحب في الله عَزَّوَجَلَّ ويبغض لله تَبَارَكَوَتَعَالَى. فعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**(٤).

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله»**(٥).

---

(١) المصدر السابق، ص: [٩٦].
(٢) «وصايا الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ» للشيخ سعد أبو العزيز، ط: المكتبة التوفيقية.
(٣) «وصايا الرسول» (٢/ ١١٣) للشيخ سعد أبو العزيز، ط: المكتبة التوفيقية.
(٤) صحيح: رواه البخاري [١٦]، ومسلم [٦٧].
(٥) تقدم تخريجه صفحة رقم [١٢٠].





وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من سره أن يجد طعم الإيمان، فليحب المرء لا يحبه إلا لله**»(١).

وأحبب لحب الله من كان مؤمنًا وأبغض لبغض الله أهل التمرد

وما الدين إلا الحب والبغض والولا كذلك البرء من كل غاوٍ ومعتد

ثانيًا- الحب في الله يجلب محبة الله للعبد:

فعن أبي إدريس الخولاني أنه قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى براق الثنايا، وإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: معاذ بن جبل، فلما كان الغد هجرت، فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي. قال: فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك لله. فقال: آلله. فقلت: آلله. وأخذ بحبوة ردائي، فجذبني إليه وقال: أبشر فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وجبت محبتي للمتحابين في، والمتزاورين في، والمتباذلين في**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له ملكًا على مدرجته**(٣)**، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أخًا لي في هذه القرية، قال: فهل له عليك من نعمة تربها؟**(٤) **قال: لا، إلا أني أحبه في الله عَزَّ وَجَلَّ، قال: فإني رسول الله إليك، إن الله أحبك كما أحببته فيه**»(٥).

(١) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٢٩٨)، والحاكم (٤/ ١٦٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٥٣)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٦١٨٨].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٣٢)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٣)، والحاكم (٤/ ١٦٩)، وابن حبان [٥٧٥]، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٥٠)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، انظر: «شرح الموطأ» للزرقاني (٤/ ٣٥٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٣٣١].

(٣) **المدرجة**: الطريق. (٤) **تربها**: تقوم بها وتسعى في إصلاحها. (٥) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٦٧].





ثالثًا- الحب في الله سبب في إظلال الله للعبد يوم القيامة:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله** تَعَالَى **يقول: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»، وذكر منهم: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»(٢).

فينبغي علينا أن نسعى لكل سبب يوجب المودة والمحبة بين المسلمين، فإنه لا يمكن التعاون على الخير والبر والتقوى إلا بالحب في الله، والأخوة في دينه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإذا طبقنا هذه المحبة وتلك الأخوة، تطبيقًا عمليًا اعتقاديا، كما طبقها الجيل المبارك والرعيل الأول من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انتشر الخير والفضل، وزالت معاني الغربة والوحشة والشقاق والاختلاف، وسعد الجميع.

ولله در القائل:

قوم مضوا كانت الدنيا بهم نزها … والدهر كالعيد والأوقات أوقات

عدل وأمن وإحسان وبذل ندى … وخفض عيش نقيضه وأوقات

ماتوا وعشنا فهم عاشوا بموتتهم … ونحن في صور الأحياء أموات



---

(١) صحيح: رواه مسلم [٢٥٦٦].

(٢) تقدم تخريجه، ص: [١٣١].



حفظ اللسان

عن سـهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه، أضمن له الجنة**»(١).

اللسـان: مـن أخطر الأعضاء على الإنسـان، وهو من أعظم البـلاء عليه في الدنيا، حتى إنك قد تجد من يُشار إليه بالدين ويُشار له بالبنان، قد يتحفظ من أن يقع في الحرام، أو يتعامـل بالربـا، أو يغش في البيع والشراء، لكنه قد لا يتحفظ ولا يتحرز من خطر هذا اللسان، فاللسان أمره عجيب، وخطره غريب، فهو سبعٌ ضار، وثعبان ينهش، إنه صغير حجمه، عظيم خطره وجُرمه.

وجـرح السـيف تدملـه فيبرا ... ويبقى الدهر ما جرح اللسان

■■■

وإذا لم يكن في السمع منى تصون ... وفي بصري غض، وفي منطقي صمت

فحظي إذا من صومي الجوع والظمأ ... وإن قلت: إني صُمت يومًا فما صُمت

ومن أجل ذلك حذر الله عَزَّوَجَلَّ من خطر اللسان وجُرمه.

قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧-١٨].

قال العلامة السعدي: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ **أي:** يتلقيان عن العبد أعماله كلها، واحد ﴿ عَنِ الْيَمِينِ ﴾ يكتب الحسنات، والآخر ﴿ وَعَنِ الشِّمَالِ ﴾ يكتب السيئات، وكل منهما ﴿ قَعِيدٌ ﴾ بذلك متهيئ لعمله الذي أعد له، ملازم لذلك(٢).

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ خير أو شر ﴿ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ **أي:** مراقـب لـه، حاضر لحاله، كما قال تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٦٤٧٤]، ومسلم [٢٤٠٨].

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٨٤) للعلامة السعدي، ط: دار المدني.



وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١١ - ١٢].

قال ابن عباس: إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة، لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبحٌ في النفوس.

وقال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا، كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حيًا.

واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة، لأن عادة العرب بذلك جارية، قال الشاعر:

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدًا[(١)]

وحذر الصادق المصدوق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أيضًا من زلات اللسان وزلقاته، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[(٢)].

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كُلها تكفر اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن أعوججت اعوججنا**»[(٣)].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٣٣٥) للإمام القرطبي، ط: النور الإسلامية.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٤١] واللفظ له، وأحمد بنحوه (٣/ ٣٧٢)، وابن حبان [١٩٧]، والحاكم (١/ ١٠).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي [٢٤٠٧]، وأحمد [٩٦١٣]، وأبو نعيم (٤/ ٣٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [٤٨٣٨]، **ومعنى «تكفر اللسان»**: تذل وتخضع له.





وعن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس شيء من الجسد إلا يشكو ذرب اللسان على حدته**»(١).

وعن عقبة بن نافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟، قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا، يهوى بها سبعين خريفًا في النار**»(٣).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب**»(٤).

وعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، قال: «**لقد سألت عظيمًا، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**» ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم قرأ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦].

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى [٥] وابن السني في «عمل اليوم والليلة» [٧]، والبيهقي في «الشعب» واللفظ له (٢/ ٣٤٧)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٥٣٥]، و«ذرب اللسان»: حدته وشره وفحشه.

(٢) حسن: رواه أحمد (٥/ ٢٥٩)،وابن المبارك في «الزهد» [١٣٤]، وحسنه الترمذي في صحيحه برقم [٢٤١٦]، وانظر: «الصحيحة» [٨٩٠].

(٣) صحيح: رواه الترمذي [٢٣١٤]، وأحمد (٢/ ٢٣٦)، وابن ماجه [٣٢٠٦]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» برقم [٢٣١٤]، «ولا يرى بها بأسًا» أي: لا يتأملها بخاطره، ولا يتفكر في عاقبتها، ولا يظن أنها تؤثر شيئًا.

(٤) صحيح: رواه البخاري [٦٤٧٧]، ومسلم [٢٩٨٨].



حتى بلغ ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، ثم قال: «**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟**» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**»، ثم قال: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**» قلت: بلى، فأخذ بلسانه فقال: «**تكف عليك هذا**»، قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم**»(١).

فبهذا اللسان يزرع الإنسان في هذه الدنيا الحسنات والسيئات،ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرًا حصد الكرامة، ومن زرع شرًا حصد الندامة.

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يضمن لي ما بين لحييه**(٢)**، وما بين رجليه**(٣)**، أضمن له الجنة**»(٤).

ضمن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجنة لمن أدى الحق الذي على لسانه، فكفه عن الكلام المحرم، واستعمله في مرضاة الله، وأدى الحق الذي على فرجه فكفه عن الحرام عينه ووضعه في الحلال.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**هل تدرون ما الغيبة**»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٦١٦]، وأحمد (٥/ ٢٣٧)، وابن ماجه [٣٢٠٩]، والحاكم (٢/ ٤١٣)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٤١٢].

(٢) **المراد «بما بين لحييه»**: أي لسانه.
(٣) **المراد «بما بين رجليه»**: أي فرجه.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٧٤]، ومسلم [٢٤٠٨].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٨٩]، وأبو داود [٤٨٧٤]، والترمذي [١٩٣٤]، والدرامي (٢/ ٢٩٩)، وأحمد (٢/ ٣٨٦).



وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال بعض الرواة: تعني أنها قصيرة، فقال: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»[(١)].

وعن أبي برزة الأسلمي والبراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته**»[(٢)].

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما أن أماشي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو آخذ بيدي، ورجل على يساره، فإذا نحن بقبرين أمامنا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنهما ليُعذبان، وما يُعذبان في كبير! فأيكم يأتيني بجريدة؟**» فاستبقنا فسبقته، فأتيته بجريدة، فكسرها نصفين فألقى على ذا القبر قطعة، وعلى ذا القبر قطعة، ثم قال: «**إنه يهون عليهما ما كانتا رطبتين، وما يعذبان إلا في الغيبة والبول**»[(٣)].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهبت ريح منتنة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين**»[(٤)].

فإن شئت أن تحيا ودينك سالم ... وحظك موفور وعرضك صين

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود [٤٨٧٥]، وأحمد (٦/ ٢٠٦)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» برقم [٢٦٣٣].

(٢) **صحيح**: رواه داود [٤٨٨٠]، وأحمد (٤/ ٤٢٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٥٦)، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [٥٠٤٤].

(٣) **حسن صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٩)، وابن ماجه [٣٤٩]، والبيهقي في «عذاب القبر»، ص: [١٣٧]، وانظر: «صحيح الترغيب» [١٥٤].

(٤) **حسن**: رواه أحمد (٣/ ٣٠١)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٧٣٢]، وحسنه الشيخ الألباني في «غاية المرام» برقم [٤٢٩].





لسانك لا تذكر به عورة مؤمن ... فكلك عورات وللناس ألسن
وإن عينك أبدت إليك مساوئا ... فصنها وقل يا عين للناس أعين

■■■

فاحذر لسانك أيها الإنسان ... لا يلدعنك إنه ثعبان
والله إن الموت زلة لفظة ... فيه الهوان وكله خسران

كان السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورحمهم الله تَعَالَى، يلجمون ألسنتهم بلجام الشرع، وضربوا في ذلك أروع الأمثلة:

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو سخرت من كلب خشيت أن أكون كلبًا، وإني أكره أن أرى رجُلاً فارغًا، ليس في عمل آخرته ولا دنياه(١).

وقال الفضيل: خصلتان تقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل(٢).

وقال طاووس: لساني سبع إن أرسلته أكلني(٣).

وقال مورق العجلي: تعلمت الصمت في عشر سنين، وما قلتُ شيئًا قط إذا غضبت أندم عليه إذا زال غضبي(٤).

وقال الحسن البصري: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه(٥).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه(٦)، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والذي لا إله غيره، ما على ظهر الأرض من شيء أحوج إلى طول سجن من لسانٍ(٧):

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٤٠) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.
(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ١٢٠) لأبي نعيم، ط: مكتبة السعادة.
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٥٤) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.
(٤) المصدر السابق (٤/ ٣٥٤). (٥) «الزهد»، ص: [٤٣] للإمام أحمد، ط: دار الريان.
(٦) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٢٠) للغزالي، ط: المكتبة التجارية.
(٧) «الزهد»، ص: [١٦٢] للإمام أحمد، ط: دار الريان.



تحفظ من لسانك ليس شيء   أحق بطول سجن من لسان

قال آخر:

إن اللسان إذا حللت بعقاله   ألقاك في شنعاء ليس ثقال

فهذه - أخي المسلم - بعض النصوص الصحيحة الصريحة التي تبين أن من أعظم أسباب الاستقامة على الإيمان، كف هذا اللسان عن كل كلام مُحرم، فاللسان له ميدان رحب فسيح في طاعة الله وذكره، وأولى للمرء بدلاً من أن يستعمل لسانه في المعاصي، أن يستعمله في ذكر الله، ويرقى به أعلى الدرجات فيقرأ القرآن، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فكل كلام لاينهى عن الفحشاء والمنكر لا يزيد صاحبه إلا بُعدًا، ولا يُورث صاحبه إلا مقتًا وردًا.





قراءة

سورة الإخلاص وحبها

عن أنس بن مالك، قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم، في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة، يقرأ لهم في الصلاة، فقرأ بها، افتتح بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ بسورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلَّمه أصحابه، فقالوا: إنك تقرأ بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك، حتى تقرأ بسورة أخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها، وتقرأ بسورة أخرى، قال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بها فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرونه أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «**أيا فلان، ما يمنعك مما يأمر به أصحابك؟ وما يحملك أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة؟**» فقال: يا رسول الله، إني أحبها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن حبها أدخلك الجنة**»(١).

وعن عمرة بنت عبد الرحمن وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ عن عائشة أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك**». فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»(٢).

قوله: «**ما يمنعك وما يحملك**» سأله عن أمرين فأجابه بقوله: إني أحبها، وهو جواب عن الثاني مستلزم للأول بانضمام شيء آخر وهو إقامة السنة المعهودة في الصلاة، فالمانع مركب من المحبة والأمر المعهود، والحامل على الفعل المحبة وحدها، ودل تبشيره

(١) **صحيح**: رواه صحيح البخاري [٧٧٤] تعليقًا بصيغة الجزم، والترمذي [٣١٤٧].
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٧٣٧٥].




لـه بالجنة على الرضا بفعله، وعبر بالفعل المـاضي في قوله«أدخلك»وإن كان دخول الجنة مستقبلًا تحقيقًا لوقوع ذلك، قال ناصر الدين ابن المنير: في هذا الحديث أن المقاصد تغير أحـكام الفعـل؛ لأن الرجل لو قـال إن الحامل له على إعادتها أنـه لا يحفظ غيرها لأمكن أن يأمـره بحفظ غيرها، لكنه اعتـل بحبها فظهرت صحة قصده فصوبه. قال: وفيه دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس إليه والاستكثار منه ولا يعد ذلك هجرانا لغيره، وفيه ما يشعر بأن سورة الإخلاص مكية(١).

وعن أنس، أن رجلًا قال: والله إني لأحب هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «**حبك إياها أدخلك الجنة**»(٢).

وعن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال لرجل: لم تلزم قراءة قل هو الله أحد؟ قال الرجل: إني أحبها، قال النبي ﷺ: «**فإن حبك إياها أدخلك الجنة**»(٣)



(١) «فتح الباري» لابن حجر(٣/ ١٥٠).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري[٧٧٤]معلقًا وسنن الدرامى[٣٤٩٨].
(٣) **صحيح**: رواه أبي عوانة [٣١٩٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم[٢٧٥٤].



حفظ وقراءة سورة الملك

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سورة من القرآن، ما هي إلا ثلاثون آية، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة، وهي سورة تبارك**»(١).

وعن ابن عباس قال: ضرب بعض أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها، فأتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هي المانعة هي المنجية من عذاب القبر**»(٢).



(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» [٣٧٩٦] وفي «الصغير» [٤٩١]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» [٦٤٧٢].

(٢) حسن: رواه الترمذي [٣١٣٣]: وحسنه الشيخ الألباني وانظر: «الصحيحة» [١١٤٠].



كثرة الاستغفار

عن بشير بن كعب العدوي قال: حدثني شداد بن أوس عن النبي ﷺ: «**سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**». قال: «**ومن قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسى، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة**»(١).

وعن شداد بن أوس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بالنعمة، وأبوء لك بذنبي، فأغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. فإن، قالها بعدما يصبح موقنًا بها ثم مات، كان من أهل الجنة، وإن، قالها بعدما يمسي موقنًا بها، كان من أهل الجنة**»(٢).

وعن شداد بن أوس، أن رسول الله ﷺ قال له: «**ألا أدلك على سيد الاستغفار؟ أن تقول: اللهم أنت إلهي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت وأبوء لك بنعمتك على، وأبوء لك بذنوبي فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ما من عبد يقولها فيأتيه قدره في يومه قبل يمسي، أو في مسائه قبل يصبح، إلا كان من أهل الجنة**(٣)».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٣٠٦].

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان (٣/ ٢١٣) [٩٣٣] وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٥٤٧].

(٣) **صحيح**: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٩٦) [٣٠٠٥٣] وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٥٤٢].

وعـن عبد الله بن بسر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا**»(١).



(١) صحيح: رواه البزار [٣٥٠٨]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٣٥٤].





ما يقول بعد الوضوء

عن عقبة بن عامر، قال: كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتي، فروحتها بعشي، فأدركت رسول الله ﷺ قائمًا يحدث الناس، فأدركت من قوله: «**ما من مسلم يتوضأ، فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين، مقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة. قال: فقلت: ما أجود هذه، فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود، فنظرت، فإذا عمر، قال: إني قد رأيتك جئت آنفًا قال: ما منكم من أحد يتوضأ، فيبلغ، أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء**»(١).

وعن أبي إدريس الخولاني، وأبي عثمان النهدي: أن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء**»(٢).



(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٣٤].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [٥٥]، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [٣٥٤٧].



فضل الأذان

عن ابن عمر أن رسـول الله ﷺ قال: «**من أذن ثنتى عشـرة سـنة وجبت له الجنة وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة ولكل إقامة ثلاثون حسنة**»(١).

وعـن أبي هريـرة قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**يغفـر للمـؤذن مـد صوتـه ويشـهد له كل رطب ويابس، وشـاهد الصلاة يكتب له خمس وعشـرون ويكفر عنه ما بينهما**»(٢).

وعـن طلحـة بن يحيي عن عمه قال: كنت عند معاوية بن أبي سـفيان فجاءه المؤذن يدعـوه إلى الصـلاة فقال معاوية سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «**المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة**»(٣).

إذا بعث الناس فإن المؤذنين يكون لهم ميزة ليست لغيرهم وهي أنهم أطول الناس أعناقًا فيعرفون بذلك تنويها لفضلهم وإظهارًا لشرفهم لأنهم يؤذنون ويعلنون بتكبير الله عزوجل وتوحيده والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة والدعوة إلى الصلاة وإلى الفلاح يعلنونها من الأماكن العالية، ولهذا كان جزاؤهم من جنس العمل أن تعلو رءوسهم وأن تعلو وجوههم، وذلك بإطالة أعناقهم يوم القيامة، وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون مؤذنًا حتى لو كان في نزهة هو وأصحابه فإنه ينبغي أن يبادر لذلك قـال ﷺ: لـو يعلم الناس ما في النداء ثم لم يجدوا إلا أن يسـتهموا عليه لاسـتهموا وكذلك من فضيلة الأذان ما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**أنه ما من إنس ولا جن ولا شـيء يسـمع صوت المؤذن إلا شهد له بذلك يوم القيامة**»، وهذا

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه [٧٧٧]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» [٥٩٤].
(٢) صحيح: رواه أحمد [١٠١٩٣]، وصححه الشيخ الألباني في «الترغيب والترهيب» [٢٣٥٤].
(٣) صحح: رواه مسلم [٣٨٧].



أيضًا من فضائل الأذان أن صاحبه يشهد له يوم القيامة بأنه من المؤذنين تنويها لفضله، وبيانًا لثوابه، فالحاصل أن الأذان له فضل عظيم وأنه ينبغي للإنسان أن يكون مؤذنًا إلا أنه إذا كان هناك مؤذن راتب فإنه لا يحل لأحد أن يتجاوز ويؤذن عنه إلا إذا كان قد وكله أو ما أشبه ذلك وقد قال النبي ﷺ: «**لا يَؤُمَّنَّ الرجل الرجل في سلطانه إلا بإذنه**»(١).

القول بعد إقامة الصلاة

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**»(٢).

قال الطحاوي: وقد روى عن الرسول ﷺ أنه كان يقول عند الأذان غير ما جاء في الحديث ويأمر به، وذلك ما روى عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولًا وبالإسلام دينًا. غفر له ذنبه**»(٣).

وعن أبي ذر، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يصلي ذات ليلة وهو يردد آية حتى أصبح، بها يركع، وبها يسجد ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، قال: قلت: يا رسول الله، ما زلت تردد هذه الآية حتى أصبحت، قال: إني سألت ربي الشفاعة لأمتي وهي نائلة لمن لا يشرك بالله شيئًا(٤).

---

(١) «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٤/ ٢١٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٦١٤].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٨٧٧].

(٤) **حسن**: رواه أبي شيبة (١١/ ٤٩٧) [٣٢٤٢٧]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٥٤٧].



ثواب ذكر الله
بعد صلاة الصبح

عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى صلاة الفجر، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، وجبت له الجنة**»(١).

وعن الحسن بن علي قال: سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يصلي صلاة الصبح، ثم يجلس يذكر الله حتى تطلع الشمس إلا كان ذلك له حجابًا من النار**»(٢).

وعن الحسن بن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى الفجر ثم قعد في مجلسه يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم قام فصلى ركعتين حرمه الله على النار أن تلفحه**»(٣).

وعن عمرة قالت: سمعت أم المؤمنين - يعني: عائشة - تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى الفجر - أو قال: الغداة - فقعد في مقعده، فلم يلغ بشيء من أمر الدنيا، ويذكر الله حتى يصلي الضحى أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، لا ذنب له**»(٤).



---

(١) حسن: رواه أحمد (٣/ ٤٣٨) [١٥٧٠٨] ومسند أبي يعلى الموصلي [١٤٨٧].
(٢) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» [١١٥٣٨]، وفي «المعجم الصغير» [١١٣٨]، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» [٢٨٢٦]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» [٤٢٣٤].
(٣) حسن: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» [٢٨٢٦]، وحسنه الشيخ الألباني [٣٥٤٧].
(٤) حسن: رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده [٤٣٦٥]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» [٢٣٥٤].

المحافظة على الذكر دبر الصلوات الخمس

عـن عبد الله بن عمـرو عن النبي ﷺ قال: «**خصلتـان أو خلتان لا يحافظ عليهمـا عبـد مسـلم إلا دخل الجنة هما يسـير ومـن يعمل بهما قليل يسـبح في دبر كل صلاة عشـرًا ويحمد عشـرًا ويكبر عشـرًا فذلك خمسـون ومائة باللسـان وألف وخمسـمائة في الميـزان ويكـبر أربعًا وثلاثين إذا أخذ مضجعـه ويحمد ثلاثًا وثلاثين ويسـبح ثلاثًا وثلاثين فذلك مائة باللسـان وألف في الميزان**». فلقد رأيت رسـول الله ﷺ يعقدها بيده قالوا يا رسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل قال: «**يأتي أحدكم - يعني الشيطان - في منامه فينومه قبل أن يقوله ويأتيه في صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقولها**»(١).



(١) صحيح: رواه أبو داود [٥٠٦٧]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٤٢٣٣].

قراءة سورتي
قل يا أيها الكافرون وسورة الإخلاص

عن شيخ أدرك النبي ﷺ قال: خرجت مع النبي ﷺ في سفر فمر برجل يقرأ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ قال: «**أما هذا فقد برئ من الشرك**». قال: وإذا آخر يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال النبي ﷺ: «**بها وجبت له الجنة**»(١).

وعن أبي الحسن التيمي قال: سمعت رجلا يقول: كنت أسير مع رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء، فسمع رجلًا يقرأ قل يا أيها الكافرون فقال رسول الله ﷺ: «**أما هذا فقد برئ من الشرك**» وسرنا فسمعنا رجلًا يقرأ قل هو الله أحد فقال: «**أما هذا فقد غفر له**» فكففت راحتي لأنظر من هو، فنظرت يمينًا وشمالًا فما رأيت أحدًا(٢).

متابعة المؤذن كما يقول

عن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن جده عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر. ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله. قال: أشهد أن لا إله إلا الله ثم قال: أشهد أن محمدًا رسول الله. قال: أشهد أن محمدًا رسول الله. ثم قال: حي على الصلاة. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: حي على الفلاح. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: الله أكبر الله أكبر. قال: الله أكبر الله أكبر. ثم قال: لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا الله. من قلبه. دخل الجنة**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٦٤) [١٧٠٥٧]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٥٤٧].

(٢) صحيح: رواه البيهقي في «دلائل النبوة» [٣٠١٤] وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» [١٣٢٤].

(٣) صحيح: رواه مسلم [٣٨٥].



قول سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»(١).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرسًا فقال: «**يا أبا هريرة ما الذي تغرس؟**». قلت: غراسًا لي. قال: «**ألا أدلك على غراس خير لك من هذا؟**». قال: بلى يا رسول الله. قال: «**قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة**»(٢).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خذوا جنتكم، خذوا جنتكم**»، قالوا: يا رسول الله، من عدو حضر، قال: «**لا، ولكن من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مستقدمات ومجنبات، - وهن الباقيات الصالحات**»(٣).

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده. غرست له نخلة في الجنة**»(٤).

(١) **حسن**: رواه الترمذي [٣٧٩٨] حسنة الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٥٤٧].
(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه [٣٩٣٩]، وصحيح سنن ابن ماجه [٣٠٦٩].
(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» مسند أبي هريرة (١٤٢، ٦٥٧)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٣٩٣) [٢٩٧٢٢]، والنسائي [١٠٦١٧]، والحاكم [١٩٨٥].
(٤) **صحيح**: رواه الترمذي [٣٥١٣]، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٦٤٢٦].



لا حول ولا قوة إلا بالله
كنز من كنوز الجنة

عن أبي موسى قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ: «**أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم**»، قال وأنا خلفه وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله فقال: «**يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة**». فقلت بلى يا رسول الله. قال: «**قل لا حول ولا قوة إلا بالله**»(١).

وعن أبي موسى الأشعري قال: أخذ النبي ﷺ في عقبة – أو قال في ثنية، قال – فلما علا عليها رجل نادى فرفع صوته لا إله إلا الله والله أكبر. قال ورسول الله ﷺ على بغلته قال: «**فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا**». ثم قال «**يا أبا موسى - أو يا عبد الله ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة**»؟ قلت بلى. قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أعلمك - أو قال - ألا أدلك على كلمة من تحت العرش، من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله** عَزَّ وَجَلَّ: **أسلم عبدي واستسلم**»(٣).

وعن عمرو بن ميمون، قال: قال أبو هريرة: قال لي نبي الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، ألا أدلك على كلمة كنز من كنز الجنة تحت العرش؟**» قال: قلت:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٧٠٤]، والبخاري [٦٣٨٤] واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٠٩].

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم [٥٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» [٢٦١٤]، و«صحيح الترغيب» [١٥٨٠].

بلى، فداك أبي وأمي، قال: «**أن تقول: لا قوة إلا بالله - قال أبو بلج: وأحسب أنه قال - فإن الله** عَزَّوَجَلَّ **يقول: أسلم عبدي، واستسلم**» قال: فقلت لعمرو: قال أبو بلج: قال عمرو: قلت لأبي هريرة: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: «**لا، إنها في سورة الكهف: ولولا إذ دخلت جنتك قلت: ما شاء الله لا قوة إلا بالله**»(١).



(١) حسن: رواه أحمد في مسنده [٨٦٥٠].

فضل قراءة
آية الكرسي بعد كل صلاة

عن محمد بن زياد الألهاني، قال: سمعت أبا أمامة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة، إلا الموت**»[(١)].

ما يقوله عند النوم

وعن رافع بن خديج رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا أضطجع أحدكم على جنبه الأيمن ثم قال: اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك وفوضت أمري إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك أو من بكتابك وبرسلك، فإن مات من ليلته دخل الجنة**»[(٢)].

وعن البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به**»، قال فرددتها على النبي ﷺ فلما بلغت: «**اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت**».

قلت ورسولك. قال: «لا» ونبيك الذي أرسلت[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني [٧٤٠٨]، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» [٩٧٢]، و«صحيح الجامع» [٦٤٦٤].

(٢) حسن: رواه الترمذي في سننه [٣٧٢٣].

(٣) صحيح: رواه البخاري [٢٤٧]، ومسلم [٧٠٥٧].



وعـن البراء بن عازب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قـال لرجل: إذا أخذت مضجعك فقـل: اللهم إني أسـلمت نفـسي إليك، ووجهت وجهـي إليك، وفوضـت أمري إليك، وألجـأت ظهـري إليـك رهبة ورغبة إليـك، لا منجـى، ولا ملجأ منـك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة[١].



(١) صحيح: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٤٦) [٢٩٩٠٨]، وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٣٣٧) [٥٥٢٧].








الإكثار
من الصلاة عليه ﷺ

عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة**»[(١)].

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا على من الصلاة في كل يوم جمعة فإن أمتي تعرض على في كل يوم جمعة،فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم مني منزلة**»[(٢)].

قوله: «أولى الناس بي» أي: أقربهم بي أو أحقهم بشفاعتي «أكثرهم على صلاة» لأن كثرة الصلاة منبئة عن التعظيم المقتضي للمتابعة الناشئة عن المحبة الكاملة المرتبة عليها محبة الله تَعَالَى.

قال تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال ابن حبان عقب هذا الحديث. في هذا الخبر بيان صحيح على أن أولى الناس برسول الله ﷺ في القيامة يكون أصحاب الحديث؛ إذ ليس في هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه منهم، وقال غيره: لأنهم يصلون عليه قولاً وفعلاً كذا في المرقاة[(٣)].



(١) **صحيح**: رواه الترمذي في سننه [٤٨٦].
(٢) **حسن**: رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٤٩) [٦٢٠٨] حسن لغيره.
(٣) «تحفة الأحوذي» (٢/ ٢٠).







أداء حقوق الزوج

عن الحصين بن محصن أن عمة له أتت النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة ففرغت من حاجتها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «**أذات زوج أنت؟**». قالت: نعم. قال: «**كيف أنت له؟**». قالت ما آلوه ما عجزت عنه. قال: «**فانظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك**»[(١)].

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها أدخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»[(٢)].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**»[(٣)].

«**إذا صلت المرأة خمسها**» المكتوبات الخمس «**وصامت شهرها**» رمضان غير أيام الحيض إن كان «**وحفظت**» وفي رواية أحصنت «**فرجها**» عن الجماع المحرم والسحاق «**وأطاعت زوجها**» في غير معصية «**دخلت**» لم يقل تدخل إشارة إلى تحقق الدخول «**الجنة**» إن اجتنبت مع ذلك بقية الكبائر أو تابت توبة نصوحًا أو عفى عنها، والمراد مع السابقين الأولين وإلا فكل مسلم لا بد أن يدخل الجنة وإن دخل النار «**فإن قلت**» فما وجه اقتصاره على الصوم والصلاة ولم يذكر بقية الأركان الخمسة التي بنى الإسلام عليها «**قلت**» لغلبة تفريط النساء في الصلاة والصوم وغلبة الفساد فيهن وعصيان الحليل،

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد [١٩٥١٩]، والحميدي [٣٧٧]، والحاكم [٢٧١٩]، وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد [١٦٨٣]، وابن حبان [٤١٦٣]، و«صحيح الجامع» [٦٦٠]، و«مسند البزار» [٧٤٨٠]، و«المعجم الكبير» للطبراني - (١٩/ ٤١١) [٩٩١] من طرق «صحيح».

(٣) **حسن**: رواه الترمذي [١١٩٤]، وابن ماجه [١٩٢٧]، والحاكم [٧٣٢٨]، وصححه ووافقه الذهبي!!.



ولأن الغالب أن المرأة لا مال لها تجب زكاته ويتحتم فيه الحج فأناط الحكم بالغالب وحثها على مواظبة فعل ما هو لازم لها بكل حال والحفظ والصون والحراسة، والفرج يطلق على القبل والدبر لأن كل واحد منفرج أي منفتح وأكثر استعماله عرفًا في القبل(١).



(١) «فيض القدير»، «شرح الجامع الصغير» [٧٢٥].



سقي العطشان

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**أن رجلًا رأى كلبًا يأكل الثري من العطش، فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه، فشكر الله له فأدخله الجنة**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئرًا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثري من العطش، فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى، فسقى الكلب فشكر الله له، فغفر له**»، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا قال: «**في كل رطبة أجر**»[(٢)].



---

(١) صحيح: رواه البخاري [١٧٣].

(٢) صحيح: رواه البخاري [٢٣٦٣]، ومسلم [٥٩٩٦].



زيارة الإخوان

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال: «**أين تريد؟**» قال: أريد أخا لي في هذه القرية. قال: «**هل لك عليه من نعمة تربها؟**» قال: لا، غير أني أحببته في الله عَزَّوَجَلَّ. قال: «**فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»(١).

وعن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد مسلم أتى أخاه يزوره في الله إلا ناداه مناد من السماء أن طبت وطابت لك الجنة. وإلا قال الله في ملكوت عرشه: عبدي زارني وعلي قراه فلم يرض له بثواب دون الجنة**»(٢).

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟**» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**النبي في الجنة والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة، ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟**» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «**كل ودود ولود إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى**»(٣).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عاد مريضًا أو زار أخا له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم [٦٧١٤] - المدرجة: الطريق - ترب: تحفظ وتراعى وتربى.

(٢) «المتحابين في الله» [٢٤]، و«الفوائد الشهير بالغيلانيات» لأبي بكر الشافعي [١٠٥٤]، و«المطالب العالية» للحافظ ابن حجر العسقلاني [٢٦٩٨]، و«مسند البزار» [٦٤٦٦] حسن.

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني - (١٤/ ٧) [١٥٦٣٧]، و«المعجم الأوسط» للطبراني [١٨١٠]، و«شعب الإيمان» للبيهقي [٨٧٣٨]، و«الصحيحة» [٢٨٧]، و«صحيح الجامع» [٢٦٠٤].

(٤) حسن: رواه الترمذي [٢١٣٩] وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» [١٦٣٣].





التجاوز عن المعسر

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل قال فإما ذكر وإما ذكر. فقال إني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجوز في السكة أو في النقد. فغفر له**»[(١)].

وعن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: «**أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالًا فقال له ماذا عملت في الدنيا. قال ولا يكتمون الله حديثًا، قال: يا رب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس وكان من خلقى الجواز فكنت أتيسر على الموسر وأنظر المعسر. فقال الله أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي**»، فقال عقبة بن عامر الجهني وأبو مسعود الأنصاري هكذا سمعناه من في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)].

وعن أبي مسعود قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال: قال الله عَزَّوَجَلَّ: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه**»[(٣)].

وعن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا. فلقى الله فتجاوز عنه**»[(٤)].



---

(١) صحيح: رواه مسلم [٤٠٧٨].
(٢) صحيح: رواه مسلم [٤٠٧٩].
(٣) صحيح: رواه مسلم [٤٠٨٠].
(٤) صحيح: رواه مسلم [٤٠٨١].





عزل الأذى عن الطريق

عن أبي برزة الأسلمي قال: قلت: يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة أو أنتفع به. قال: «**اعزل الأذى عن طريق المسلمين**»(١).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له**»(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مر رجلٌ بغصن شجرة على ظهر طريق فقال والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم. فأدخل الجنة**»(٣) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة في شجرة من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس**»(٤).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن شجرة كانت تؤذي المسلمين فجاء رجل فقطعها فدخل الجنة**»(٥).

وعن أبان بن صمعة حدثني أبو الوازع حدثني أبو برزة قال: قلت: يا نبي الله علمني شيئًا أنتفع به قال: «**اعزل الأذى عن طريق المسلمين**»(٦).

عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «**من أخرج من طريق المسلمين شيئًا يؤذيهم كتب الله له به حسنة، ومن كتب له عنده حسنة أدخله بها الجنة**»(٧).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده [٢٠٣٢٣].
(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٦٨٣٥].
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٦٨٣٦].
(٤) **صحيح**: رواه مسلم [٦٨٣٧].
(٥) **صحيح**: رواه مسلم [٦٨٣٨].
(٦) **صحيح**: رواه مسلم [٦٨٣٩].
(٧) **صحيح**: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٥٣) [١٧٥٢]، وانظر: «صحيح الجامع» [٥٩٨٥]، و«الصحيحة» [٢٣٠٦].



وعن زيد أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عبد الله بن فروخ أنه سمع عائشة تقول إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرًا عن طريق الناس أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامي فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار**»(١).

هذه الأحاديث المذكورة في الباب ظاهرة في فضل إزالة الأذى عن الطريق، سواء كان الأذى شجرة تؤذي، أو غصن شوك، أو حجرًا يعثر به، أو قذرا، أو جيفة وغير ذلك. وإماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان كما سبق في الحديث الصحيح. وفيه التنبيه على فضيلة كل ما نفع المسلمين، وأزال عنهم ضررًا(٢).

وعن مسلمة بن مخلد، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن نجى مكروبًا، فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»(٣).



(١) صحيح: رواه مسلم [٢٣٧٧].
(٢) «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٤٥٠).
(٣) صحيح: رواه عبد الرازق في مصنفه [١٨٩٣٧].

ترك الحسد والغش

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسًا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**». فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، وقد تعلق نعليه بيده الشمال. فلما كان الغد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى. فلما كان اليوم الثالث قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبعه عبد الله بن عمرو فقال: إني لاحيت أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت؟ قال: نعم قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي، فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تعار - تقلب على فراشه -، ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا. فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله،لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة»، ولكني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لنا ثلاث مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**». فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك فأقتدى بك، فلم أرك عملت كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت. قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق [(١)].



(١) صحيح: رواه أحمد [١٣٠٣٤]، والنسائي في «الكبرى» [١٠٦٣٣]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٥٤٧].

إفشاء السلام، وإطعام الطعام
والصلاة بالليل والناس نيام

عن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة انجفل الناس قبله[١]، وقيل: قد قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثلاثًا، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: «**يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[٢].

أخي المسلم: في هذه «الوصية» يصف «عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمارة من أمارات الصدق التي لاح سناؤها، وظهر ضياؤها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول:

«**فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب**».. فدل ذلك على أن للصدق شارات، وللكذب علامات. لقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجمل الناس خلقًا وخلقًا، كان كما وصفه علي بن أبي طالب: «أجود الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته[٣]، لم أر قبله ولا بعده مثله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

ويزيد جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأمر إيضاحًا فيقول: «رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة إضحيان[٤]، وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر»[٥].

---

(١) **انجفل الناس قبله؛ أي:** ذهبوا مسرعين نحوه.
(٢) **صحيح:** رواه الترمذي [٢٦٧٣]، وابن ماجه [٢٦٤٨]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٥٤٧].
(٣) **ناعته؛ أي:** واصفه.
(٤) **إضحيان؛ أي:** مضيئة مقمرة.
(٥) **صحيح:** رواه الترمذي، [٢٣٤٥]، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل»، ص: [٢٧].

وعن أبي إسحاق، قال: سأل رجل البراء بن عازب: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟قال: «**لا، بل مثل القمر**»(١).

مع الوصية:

قوله ﷺ: «**يا أيها الناس! أفشوا السلام**»: دعوة كريمة من نبي الله تدعوهم لنشر الوئام وإفشاء السلام.. إن المجتمع المتحاب بروح الله، الملتقى على شعائر الإسلام، يقيم إخاء العقيدة مقام إخاء النسب، وربما ربت رابطة الإيمان على رابطة الدم.. والحق أن أواصر الأخوة في الله هى التي جمعت أبناء الإسلام أول مرة، وأقامت دولته، ورفعت رايته، وعليها اعتمد رسول الله في تأسيس أمة صابرت هجمات الوثنية الحاقدة وسائر الخصوم المتربصين، ثم خرجت بعد صراع طويل وهي رفيعة العماد وطيدة الأركان. على حين ذاب أعداؤها وهلكوا.

إن الأمور تذكر بأضدادها، وفي عصرنا هذا يذكرنا تجمع اليهود حول باطلهم وتطلعهم إلى إقامة ملك لهم.

ومجيئهم من المشرق والمغرب نافرين إلى الأرض المقدسة، تاركين أوطانهم الأولى وما ضمت من ثروات وذكريات يذكرنا هذا الانبعاث عن عقيدة باطلة بالانبعاث الأغر الذي وقع من أربعة عشر قرنًا، حين يمم المسلمون من كل فج شطر «المدينة» وهاجروا من مواطنهم الأولى إلى الوطن الذي اختاروه ليقيموا فيه أول دولة للإسلام.

كانت المدينة التي احتضنت الإسلام ومجدت كلمته تقيم العلاقات بين القاطنين والوافدين على التباذل في ذات الله، والإيثار عن سماحة رائعة، والمساواة بين الأنساب والأجناس، وتبادل الاحترام والحب، وإشاعة الفضل، وتقديس الحق، وإسداء المعروف

---

(١) صحيح: رواه البخاري [٣٥٤٢].





عـن رغبة فيـه لا عن تكليف به: قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وهـذه علائم الإخـاء الصحيح، إخاء العقيـدة الخالصة لوجـه الله، لا إخاء المنافع الزائلة، ولا إخاء الغايات الدنيا.

وكانت تعاليم الإسـلام ترعى هذا الإخاء حتـى لا يعدو عليه ما يكدره، فلا يجوز لمسلم أن يسبب لأخيه قلقًا، أو يثير في نفسه فزعًا.

وفي الحديث: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا**»(١).

وقال رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»(٢).

وبهـذه الوصايـا كانـت الأخـوة تأمينـا شـاملًا، بـث في أكنـاف المجتمـع السـلام والطمأنينة..(٣).

وهذا هو المقصود من قوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أفشوا السلام**».

ثم أثاب الإسـلام على إلقاء السلام أجرًا حسـنًا: فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لـن تدخلـوا الجنـة حتـى تؤمنوا، ولـن تؤمنوا حتـى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو: أن رجلًا سأل رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أي الإسلام خير؟

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود [١٥٢٣] وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٣٥٤].
(٢) **صحيح**: رواه مسلم [١٢٣٥].
(٣) «خلق المسلم»، ص: (١٧٦، ١٧٧) للإمام الغزالي.
(٤) **صحيح**: رواه مسلم [٢٧٥٤].








قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف**» متفق عليه.

وجعل الإسلام رد السلام من حق المسلم على أخيه المسلم: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**»(١).

وجعل كذلك إفشاء السلام طريقًا للمعالي: فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أفشوا السلام كي تعلوا**»(٢).

والبادئ بالسلام أولى الناس بالله تَعَالَى!!: فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام**»(٣).

آداب إلقاء السلام:

وضع الإسلام آدابًا لإلقاء السلام، من ذلك: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والماشيان أيهما بدأ، فهو أفضل**»(٤).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة**»(٥).

وعن أنس، قال: كنا إذا كنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتفرق بيننا شجرة فإذا التقينا يسلم بعضنا على بعض(٦).

---

(١) صحيح: رواه البخاري [٢٣٥٤]، ومسلم [١٢٣٤].

(٢) حسن: رواه الطبراني بإسناد حسن «الترغيب» [٣٩٨٤]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» [١٣٥٤].

(٣) صحيح: انظر: «صحيح سنن أبي داود» [٤٣٢٨].

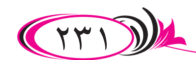
(٤) صحيح: رواه البزار وابن حبان، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. «المجمع» (٨/ ٣٦).

(٥) حسن صحيح: انظر: «صحيح سنن أبي داود» [٤٣٤٠].

(٦) رواه الطبراني بإسناد حسن، «الترغيب» [٣٩٨٩].







وعن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**السلام عليكم**».

فرد عليه ثم جلس، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «عشر». ثم جاء آخر، فقال: «**السلام عليكم ورحمة الله**». فرد فجلس، فقال: «**عشرون**». ثم جاء آخر، فقال: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**». فرد، فجلس، فقال: «**ثلاثون**»[(١)].

واستبدال هذه التحية المباركة بغيرها مما ابتدعه الناس مثل: «**صباح الخير**» وغير ذلك، يفوت على الناس هذا الثواب الكبير، أضف إلى ذلك ضياع هذه السنة المباركة، والإعانة على موتها بين الناس.

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وأطعموا الطعام**»، دعوة للجود، وحث على الإيثار.

واعلم - أخي الكريم - أن أشرف ملابس الدنيا، وأزين حللها، وأجلبها لحمد، وأدفعها لذم وأسترها لعيب: كرم طبيعة يتحلى بها السمح السري، والجواد السخي.

ولو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تَعَالَىٰ تسمى بها لكفى، فهو الكريم عَزَّوَجَلَّ، ومن كان كريمًا من خلقه، فقد تسمى باسمه، واحتذى على صفته[(٢)].

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «**إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها**».

أخي: وما قدر كسرة تعطيها؟، أو ما سمعت أن الرب يربيها، فيراها صاحبها كجبل أحد، أفيرغب عن مثل هذا الخير أحد؟!!. واعجبا للقمة كانت قليلة فكثرت، وفانية فبقيت، ومحفوفة[(٣)] فحفظت.

---

(١) **صحيح**: أبي داود [٤٣٢٧]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٣٤٥].
(٢) «العقد الفريد» (١/ ٢٢٥) لابن عبد ربه.   (٣) **محفوفة**: زائلة.



أما علمت أن الصدقة إذا صدقت في إخراجها نفس تقى، تقى ميتة السوء، وتطفئ غضب الرب؟!.

إن اللقمة إذا أكلت صارت أذى وقبائح في الحش، وإذا تصدقت بها صارت ذات مدائح عند العرش.

إن الصدقة سريعة الخلف، وحافظة بعد الموت للخلف.

واعلم أن إنفاق حبة يثمر لك الوفاق والمحبة ﴿فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٦١]. ثم قدر أنك لا تثاب على هذه اللقمة، أين الحنو على الأخ والرحمة؟! قد كان حاتم الطائي كافرًا[١]، وكان يطعم حاضرًا ومسافرًا، فإذا فضلت لقمات ألقاهن على الرمل، وقال: «إنهن جارات» - يعني النمل - !!.

كان الصالحون يثورون إلى الإيثار وأنت رصاصة[٢] ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: ٩].

وكان الكرام وأبناء الكرام إذا	تسامعوا بكريم ناله عدم
تسابقوا فيواسيه أخو كرم	منهم ويرجع باقيهم وقد ندموا
فاليوم صاروا يعدون الندى سرفًا	وينكرون على المعطى إذا علموا

فالزم فعل الخير مكانك، وأطعم البر إمكانك، وأقرض ربك فقد ربك، وعامل مولاك بها أولاك، ولا تردن سائلا بلا، فإنه موت عنده بل بلى، ولا تكن من البخلاء. وقانا الله وإياك أدوى داء.

قال ﷺ: **«وأى داء أدوى من البخل؟!»**.

واعلم يا أخي أنه ما قال المجد: واطرباه حتى يصيح المال: واحرباه.

---

(١) هو والد عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) يضرب مثلًا في سوء اهتمام الرجل بشأن صاحبه.

يعني البخيل بجمع المال مدته ... وللحوادث والوارث ما يدع

كدودة القز ما تبنيه يهدمها ... وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قال الله عز وجل: أنفق أنفق عليك**»[(١)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنفق يا بلال، ولا تخش من ذى العرش إقلالا**»[(٢)].

كيف ينقص ملك هو قيمة! أبواب العباد مغلقة، ومفاتيح الأبواب بيدية، وبابه مفتوح لمن دعاه[(٣)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أيما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا على عرى، كساه الله تعالى من خضر الجنة، وأيُّما مسلم أطعم مسلمًا على جوع، أطعمه الله** تعالى **يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلمًا على ظمأ، سقاه الله** تعالى **يوم القيامة من الرحيق المختوم**»[(٤)].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تجاوزوا عن ذنب السخي، فإن الله آخذ بيده كلما عثر**»[(٥)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورًا، أو تقضى عنه دينًا، أو تطعمه خبزًا**»[(٦)].

(١) صحيح: رواه البخاري [٢٣٥٤]، ومسلم [١٢٤٧]

(٢) صحيح: رواه البزار وغيره، وانظر: «صحيح الجامع» [١٥٠٨].

(٣) «صلاح الأمة» (٢/ ٥٠٨، ٥٠٧) للشيخ العفاني.

(٤) حسن: رواه أحمد [٣٤/ ٥ ٢]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٠٤٧].

(٥) حسن: رواه الدراقطني وغيره.

(٦) حسن: رواه القضاعي [٢٣٥٤]، وانظر: «صحيح الجامع» [٣٢٨٩].



صور ومواقف من حياة أهل الكرم:

الأشـعريون: ومثل أعلى في الكرم: قال رسـول الله ﷺ: «**إن الأشـعريين إذا أرملـوا في الغـزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جعلوا مـا كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم**»(١).

صهيب رضي الله عنه على الطريق:

فقد كان رضي الله عنه كثير الإنفاق في سبيل الله، يسرف في إطعام الطعام!!

قال حمزة لصهيب: فيك سرف في الطعام!.

فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خياركم من أطعم الطعام**»(٢).

ومن قبل هؤلاء: سـيد الكرماء ﷺ، ومواقف النبي ﷺ في الجود أكثر من أن تحصى، نذكر منها: عن سهل بن سعد، قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة فقالت: يا رسول الله: أكسوك هذه.

فأخذهـا النبـي ﷺ محتاجًا إليها، فلبسـها، فرآهـا عليه رجل مـن الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه، فاكسنيها!.

فقال: «نعم».

فلـما قـام النبـي ﷺ، لامـه أصحابـه فقالـوا: ما أحسـنت حين رأيـت النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه.

فقال: «رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ، لعلي أكفن فيها!!»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٣٥٤]، ومسلم [١٢٧٤].

(٢) **حسن**: رواه أبو الشيخ في كتاب «الثواب»، [١٢٥٤]، وقال الشيخ الألباني: «حسن». وانظر: «صحيح الترغيب» (١/ ٣٩٦).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٢٥٤٧].



وكان جوده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تَعَالَى في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم، ولم يزل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في أول مبعثه: «**والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتقرى الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق**». ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة، وتضاعفت أضعافًا كثيرة.

وفي «صحيح مسلم» عن أنس، قال: ما سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا إلا أعطاه، فجاء رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

تعود بسط الكف حتى لو أنه ... ثناها لقبض لم تجبه أنامله

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

أبو المساكين «جعفر بن أبي طالب»:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من جعفر بن أبي طالب»(١). يعني: في الجود والكرم.

وعن أبي هريرة - أيضًا - قال: كنا نسمى جعفرًا أبا المساكين. كان يذهب بنا إلى بيته، فإذا لم يجد لنا شيئًا، أخرج إلينا عكة(٢) أثرها عسل، فنشقها ونلعقها(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي [١٢٥٤] وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» [١٢٣٤].

(٢) **العكة**: ظرف السمن.

(٣) **حسن**: أورده الذهبي في «السير» (٢/ ٢١٧).







سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الطريق:

صح عن «عروة بن الزبير» أنه قال: كان منادى «سعد بن عبادة» ينادي على أطمه[(١)]: من كان يريد شحمًا ولحمًا فليأت سعدا.

وكان «سعد» يقول: «اللهم هب لي حمدًا، وهب لي مجدًا، ولا مجدإلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم إنه لا يصلحني القليل، ولا أصلح عليه»[(٢)].

وولده قيس على الأثر: فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثهم في بعث، عليهم «قيس بن سعد بن عبادة» فجهدوا، فنحر لهم «قيس بن سعد» تسع ركائب.

قال عمرو في حديثه: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الجود لمن شيمة ذلك البيت**»[(٣)].

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه ويزرع إلا في منابته النخل

فيا أخا الإسلام: هكذا كان أهل الجودوالكرم، فكن على الأثر، وبهداهم اقتده.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وصلوا الأرحام**»: فمر الحديث عن صلة الرحم. ونذكر هنا بعض فوائد صلة الأرحام: فمن فوائد صلة الرحم:

١- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[(٤)].

ومعنى: «ينسأ»؛ أي: يؤخر له. «**في أثره**»؛ **أي:** في أجله:

---

(١) **الأطم**: الحصن.

(٢) «صلاح الأمة» (٢/ ٥٣٦) للشيخ العفاني.

(٣) **صحيح**: رواه الدراقطني في «المستجاد»، ص: [٦٩]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٣٥٤].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٣٥٤٧].



والمـرء مـا عـاش ممـدود لـه أمل لا ينقضي العمر حتى ينتهي الأثر

٢- وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليعمر بالقوم الديار، ويثمـر لهـم الأمـوال ومـا نظر إليهـم منذ خلقهـم بغضًا لهـم!!**». قيـل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: «**بصلتهم أرحامهم**»(١).

٣- وعـن ابـن عمـر، قال: أتى رجل رسـول الله ﷺ فقـال: إني أذنبت ذنبًا عظيـمًا فهـل لي من توبة؟ فقال: «**هل لك من أم؟**» قـال: لا. قال: «**فهل لك من خالة؟**». قال: نعم. قال: «**فبرها**»(٢).

فدل ذلك على أن البر وصلة الرحم من أسباب تكفير السيئات.

قولـه ﷺ: «**وصلوا بالليـل والناس نيام**»: دليل على أهمية قيام الليل، والله تَعَالَى مـدح القائمـين بـين يديه والناس نيـام، فقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجْدَة: ١٦ - ١٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذَّارِيَات: ١٥ - ١٨].

كم قد صفت لقلوب القوم أوقات وكـم تقضت لهـم بالـليـل لذات
والليل دسكرة العشاق يجمعهم ذكر الحبيب وصرف الدمع كاسات
مـاتـوا فـأحـياهـم إحـيـاء ليلهم ومـن سواهـم أنـاس بالكرى ماتوا
لما تجلى لهم والحـجـب قد رفعت تـهـتـكـوا وصـبـت مـنـهـم صبابات

---

(١) صحيـح: رواه الطـبراني في «الترغيـب» [٣٧١١]. و صححـه الشـيخ الألبـاني في «صحيـح الجامع» [١٣٥٤].

(٢) صحيح: رواه الترمذي [١٥٥٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» [٢٣٥٤].

وغيبتهم عن الأكوان في حجب	وأظهرت سر معناهم إشارات
ساقي القلوب هو المحبوب يشهده	صب لهم بقيام الليل عادات
إذا صفا الوقت خافوا من تكدره	وللوصول من الهجران آفات[(١)]

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قام بعشر آيات، لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين**»[(٢)].

صور ومواقف من حياة «رهبان الليل»:

كان على رأس هؤلاء القوم سيد العابدين ﷺ: عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه، فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[(٣)].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صليت مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوء.

قيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه[(٤)].

قيام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان - أي: عمر - يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته، فلا يزال يصلي إلى الفجر!!».

---

(١) «طبقات الشافعية» (٩/ ٢٠١).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود [٢٣٥٤]، وانظر: «صحيح الجامع» [٦٣١٥].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٢٣٥٤]، ومسلم [١٢٤٧].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٢٥٤٧]، ومسلم [١٢٤٧].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لمعاوية بن خديج: «**لئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت بالليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟!**»(١).

قيام أبي ريحانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن مولى لأبي ريحانة، قال: قفل أبو ريحانة من بعث غزا فيه، فلما انصرف أتى أهله فتعشى من عشائه، ثم دعا بوضوء فتوضأ منه، ثم قام إلى مسجده فقرأ سورة، ثم أخرى، فلم يزل كذلك مكانه، كلما فرغ من سورة افتتح الأخرى، حتى إذا أذن المؤذن من السحر، شد عليه ثيابه، فأتته امرأته، فقالت: يا أبا ريحانة، قد غزوت فتعبت في غزوتك، ثم قدمت إلى، لم يكن لي منك حظ ونصيب!!.

فقال: بلى، والله ما خطرت لي على بال، ولو ذكرتك لكان لك على حق!!.

قالت: فما الذي يشغلك يا أبا ريحانة؟.

قال: لم يزل يهوى قلبي فيما وصف الله في جنته من لباسها وأزواجها ونعيمها ولذاتها، حتى سمعت المؤذن»(٢).

أخي: هكذا كانوا، فبهداهم اقتده، تدخل الجنة - إن شاء الله - بسلام، واستعن بالله ولا تعجز.



(١) «الزهد»، ص: [١٢٢] للإمام أحمد.

(٢) «الزهد والرقائق»، ص: [٣٠٤] لابن المبارك.




الخوف من الله

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١]

والخوف من الله: لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات.

ولذلك قيل: لا يعد خائفًا من كان للذنوب تاركًا، والتخويف من الله: هو الحث على التحرز، وعلى ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ [الزمر: ١٦].

قال الإمام ابن القيم: منزلة «الخوف»: من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب. وهي فرض على كل أحد.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

ومدح أهله في كتابه وأثنى عليهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ - إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

وفي «المسند» والترمذي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله، قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

أهو الذي يزني، ويشرب الخمر، ويسرق؟





قال: «لا، يا ابنة الصديق. ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق. ويخاف أن لا يقبل منه»(١).

قال الحسن: «عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانًا وخشية، والمنافق جمع إساءةً وأمنًا».

و«الوجل» و«الخوف» و«الخشية» و«الرهبة» ألفاظ متقاربة غير مترادفة.

قال الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخوف توقع العقوبة على مجارى الأنفاس».

وقيل: الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف.

وقيل: الخوف قوة العلم بمجارى الأحكام، وهذا سبب الخوف، لا أنه نفسه.

وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره.

و«الخشية» أخص من الخوف. فإن الخشية للعلماء بالله.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨]. فهي خوف مقرون بمعرفة.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إني أتقاكم لله، وأشدكم له خشية**»(٢).

فصاحب الخوف: يلتجئ إلى الهرب، والإمساك.

وصاحب الخشية: يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم.

ومثلها مثل من لا علم له بالطب، ومثل الطبيب الحاذق، فالأول يلتجئ إلى الحمية والهرب. والطبيب يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٥٩)، والترمذي [٣١٧٥]، والحاكم (٢/ ٣٩٣) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٥٤٧].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [١٢٣٥٤]، ومسلم [١٥٤٧].







قال أبو حفص: «الخوف سوط الله، يقوم به الشاردين عن بابه».

وقال: «الخوف سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فإنك إذا خفته هربت إليه». فالخائف هارب من ربه إلى ربه.

قال أبو سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب».

وقال إبراهيم بن سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها».

والخوف ليس مقصودًا لذاته، بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل، ولهذا يزول بزوال الخوف، فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون(١).

فضيلة الخوف والترغيب فيه:

اعلم - أخي الكريم - أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار، وتارة بالآيات والأخبار.

أما الاعتبار: فسبيله أن فضيلة الشيء بقدر غنائه في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تَعَالَىٰ في الآخرة، إذ لا مقصود سوى السعادة، ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه، فكل ما أعان عليه فله فضيلة، وفضيلته بقدر غايته، وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب، ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات، ولا تنقمع

---

(١) «تهذيب مدارج السالكين» لابن القيم (٢٣٦، ٢٣٧). الشيخ/ محمد بيومي، ط: «مكتبة الإيمان».





الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات، فإن فضله بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف، وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلفى.

وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار: فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر، وناهيك دلالة على فضيلة جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان: قال الله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. وصفهم بالعلم لخشيتهم.

وقال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨].

وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف؛ لأن الخوف ثمرة العلم.

ومن الأحاديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كان رجل يسرف على نفسه لما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح،**

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٦٦٠]، ومسلم [١٠٣١].



فوالله لئن قدر الله على ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك ففعلت، فإذا هو قائم فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، أو قال: مخافتك، فغفر له»(١).

وعن أبي هريرة - أيضًا - عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه جَلَّ وَعَلَا أنه قال: **«وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين: إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة»**(٢).

وقال رسول الله ﷺ: **«لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تَعَالَىٰ حتى يعود اللبن في الضرع»**(٣).

ومن الآثار:

قال ذو النون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«من خاف الله تَعَالَىٰ ذاب قلبه، واشتد حبه، وصح له لبه»**.

وكان أبو الحسين الضرير يقول: **«علامة السعادة خوف الشقاوة، لأن الخوف زمام بين الله تَعَالَىٰ وبين عبده، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين»**.

وقيل للحسن: يا أبا سعيد، كيف نصنع؟ نجالس أقوامًا يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير! فقال: **«والله إنك إن تخالط أقوامًا يخوفونك حتى يدركك أمن، خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنوك حتى يدركك الخوف»**.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٣٥٤]، مسلم [٢٣٥٤].

(٢) **حسن**: رواه ابن حبان في [٥٤٧]، وحسنه الألباني «صحيح الجامع» [٤٣٣٢].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح. «صحيح الجامع» [٧٧٧٨]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» [٢٤٥٤].





وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما تغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة، فإن سالت دموعه أطفأ الله بأول قطرة منها بحارًا من النيران، ولو أن رجلا بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة»[١].

الأسباب الباعثة على الخوف

١- التصديق بالوعيد، وما أعده الله للعاصين:

اعلم - أيها الأخ الكريم - أن الخوف من وعيد الله تَعَالَىٰ وما أعده للعاصين في الآخرة.. من الأسباب الباعثة على الخوف من الله في هذه الحياة...

فإن تأملت رحلة الدار الآخرة وما يمر الإنسان به منذ خروج روحه إلى دار المستقر إما في الجنة وإما في النار هاج الخوف عليك.. فأحرق موضع الشهوات منك.. وتحركت أعضاؤك بالعطاء. واستقامت على الطريق.

أخي:

هب الدنيا تواتيك	أليس الموت يأتيك
فما تصنع بالدنيا	وظل المثل يكفيك
ألا يا طالب الدنيا	دع الدنيا لشانيك
كما أضحكك الدهر	كذاك الدهر يبكيك

أيها الإنسان:

وكيف يلذ العيش من كان موقنًا	بأن المنايا بغتة ستعاجله
فتسلبه ملكًا عظيمًا ونحوه	وتسكنه القبر الذي هو آهله
ويذهب رسم الوجه من بعد موته	سريعًا ويبلى جسمه ومفاصله

(١) «الإحياء» (٤/ ٢٣٧).



حكاية:

«يروي أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مر في نفر من أصحابه بجمجمة نخرة هائلة فقال له أصحابه: يا روح الله لو دعوت الله تَعَالَىٰ أن ينطق لنا هذه الجمجمة حتى تخبرنا بما رأته من العجائب لرجونا أن ننتفع بذلك».

قال: فصلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ركعتين ودعا الله تَعَالَىٰ فأنطقها الله عَزَّ وَجَلَّ فقالت الجمجمة:

يا روح الله سل عما تريد فقد أمرني الله تَعَالَىٰ أن أخبرك بما سألت عنه.

فقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: من كنت في هذه الدنيا؟

فقالت الجمجمة: يا روح الله كنت ملك هذه الأرض، عشت فيها ألف سنة، وولدت ألف ولد، وفتحت ألف مدينة، وهزمت ألف جيش، وقتلت ألف جيش، وقتلت ألف ملك جبار، ثم كان بعد ذلك كله الموت، ولقد امتحنت هذا الدهر فلم أر شيئًا أنفع من الزهد في الدنيا، ولم أر هلاك كل أحد إلا في الحرص والطمع، ولم أجد العز إلا في الرضا بما قسم الله عَزَّ وَجَلَّ»[(١)].

٢- الخوف من موت الفجأة:

وهذا أيضًا من الأسباب الباعثة على الخوف - وقد مر معنا - حديث ابن عمر: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح».

والله تَعَالَىٰ يقول: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١١]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا**

(١) «المواعظ والمجالس» [١٠٠].

مفنـدًا، أو موتًـا مجهـزًا، أو الدجال فشـر غائب ينتظر، أو السـاعة، فالسـاعة أدهى وأمر»[١].

فاحذر يا عبد الله أن يفجأك الموت وأنت على معصية، فلا تنفعك حينئذ توبة.

واعلم - أخي المسلم - أن من مات على شيء بعث عليه!! فاللهم إنا نعوذ بك من خزيك، وكشف سترك، ونسيان ذكرك.

قـال الإمام الحسـن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من لم يمت فجأة، مرض فجـأة، فاتقوا الله واحذروا مفاجأة ربكم».

وعن عبيد بن خالد السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**موت الفجأة أخذة أسف**»[٢].

ورواه أحمد عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بلفظ: «إنها راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر».

٣- الخوف من سوء الخاتمة، وتقلب القلب:

وهذا - أيضًا - من الأسباب الباعثة على الخوف.

وسوء الخاتمة والعياذ بالله على رتبتين: **إحداهما**- أعظم من الأخرى.

فأما الرتبة العظيمة الهائلة: فأن يغلب على القلب عند سـكرات الموت وظهور أهواله: إما الشك، وإما الجحود، فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك، فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابًا بينه وبين الله تَعَالَىٰ أبدًا، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد.

---

(١) **حسـن**: رواه الترمذي، وقال: حديث حسـن [٢٣٥٤]، وحسنة الشـيخ الألباني في «صحيح الجامع» [٢٣٥٤].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود [٢٦٦٧]، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» [١٦١١].

والثانية- وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها، فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسًا رأسه إلى الدنيا وصارفًا وجهه إليها. ومهما انصرف الوجه عن الله تَعَالَى حصل الحجاب، ومهما حصل الحجاب نزل العذاب هذا، والأسباب المفضية إلى سوء الخاتمة كثيرة، منها:

١- الاعتقاد في ذات الله تَعَالَى وصفاته وأفعاله خلاف الحق.

٢- ضعف الإيمان في الأصل، ثم استيلاء حب الدنيا على القلب.

٣- كثرة المعاصي والإصرار عليها، مثل البدع، والنفاق، والكبر، والزنا... إلخ.

خوف الصالحين من سوء الخاتمة:

اعلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتعوذ بالله تَعَالَى من فتنة المحيا والممات، وكان يسأل ربه التثبيت، وهو المؤيد بالوحي!

فكان يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الحرق والغرق والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت لديغًا**»[(١)].

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذ آخر كل صلاة، بهذا التعوذ: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[(٢)].

(١) **صحيح**: رواه داود [١٣٧٣]. وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٥٣٥٤]، وقال الخطابي -في تخبط الشيطان عند الموت-: «وذلك أن يستولى على الإنسان حينئذ، فيضله ويحول بينه وبين التوبة... أو يؤيسه من رحمة الله ويكره إليه الموت».

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٤٣٢٤]، ومسلم [١٥٣٤].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**».

فقلت: يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟

قال: «**نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**»(١).

أخي:

فإذا كان هذا حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فما ظنك بحال من هو دونه.؟!!

كان سهل بن عبد الله يقول: «خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تَعَالَى إذ قال: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

ولما احتضر «سفيان الثوري» جعل يبكي ويجزع، فقيل له:

يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك؟

فقال: أو على ذنوبي أبكي! لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا.

«وحكى عن بعض الخائفين(٢) أنه أوصى بعض إخوانه فقال:

إذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي، فإن رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر لوزًا وسكرًا وانثره على صبيان أهل البلد، وقل هذا عرس المنفلت(٣)، وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة!!.

---

(١) **صحيح**: «صحيح سنن الترمذي» [١٧٣٩]، وابن ماجه [٣٨٣٤]، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [١٥٤٣].

(٢) هو: أبو طالب المكي صاحب كتاب «قوت القلوب». انظر: «البداية والنهاية» (٦/ ٤٠٨).

(٣) **المنفلت**: لعله يقصد المنفلت من النار.



قال: وبم أعلم ذلك؟ «فذكر علامة، فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه»[(١)].

ولما حضرت الوفاة «الفضيل بن عياض» غشي عليه ثم أفاق وقال: «يا بعد سفري وقلة زادي»[(٢)].

ولما حضر «أبا هريرة» الوفاة بكى، فقيل له ما يبكيك؟

قال: «يبكيني بعد المفازة، وقلة الزاد، وضعف اليقين، والعقبة الكؤود التي المهبط منها إما إلى الجنة وإما إلى النار!!»[(٣)]

أخي المسلم: «فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم وخوفهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء!!».

إلهي:

أنا زادي قليل ما أراه مبلغي ... أَلِلزّاد أبكي أم لطول مسافتي

أتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي فيك أين محبتي



(١) كذا في «الإحياء» (٤/ ١٧٢) والذي في «البداية» (٦/ ٤٠٨، ٤٠٩): «قال أبو القاسم بن سرات: دخلت على شيخنا «أبي طالب» وهو يموت فقلت له: أوص، فقال: إذا ختم لي بخير فانثر على جنازتي لوزًا وسكرًا. فقلت: كيف أعلم بذلك؟ فقال: اجلس عندي ويدك فإن قبضت على يدك فاعلم أنه ختم لي بخير. قال: ففعلت. فلما حان فراقه قبض على يدى قبضًا شديدًا، فلما رفع على جنازته نثرت اللوز والسكر على نعشه!!» قلت: وهذه الرواية أولى بالقبول.

(٢) «اغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات» لعبد العزيز السلمان، ص: [١٠٤٥].

(٣) نفس المرجع، ص: [١٤٧].



ثمرات الخوف من الله

من ثمرات الخوف من الله:

١- دخول الجنة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشيًا عليه، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فإذا هو يتحرك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا فتى قل: لا إله إلا الله**» فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟

قال: «أو ما سمعتم قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٤]

قصة:

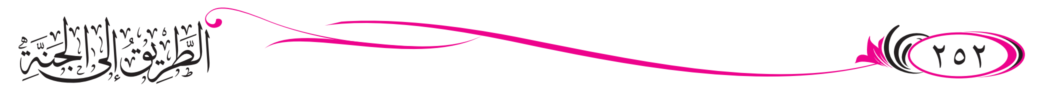
ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة «عمرو بن جامع» من تاريخه:

أن شابًا كان يتعبد في المسجد، فهويته امرأة فدعته إلى نفسها، فما زالت به حتى كاد يدخل معها المنزل، فذكر هذه الآية:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

فخر مغشيًا عليه، ثم أفاق فأعادها، فمات، فجاء عمر رضي الله عنه فعزى فيه أباه، وكان قد دفن ليلًا فذهب على قبره بمن معه، ثم ناداه عمر فقال: يا فتى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].





فأجابه الفتى من داخل القبر: «يا عمر قد أعطانيهما ربي عَزَّوَجَلَّ في الجنة مرتين»[(١)].

٢- الخوف من الله سبب للهداية والتوفيق:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٢٣].

فالخوف من الله تعالى نعمة عظيمة، وهو سبب هداية العبد وتوفيقه وسعادته في الدارين.

والمراد في الآية بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ...﴾.

أي أنعم عليهما بنعمة الخوف من الله أو أنعم عليهما بالإيمان واليقين، أو أنعم عليهما بسبب خوفهما من الله بالتوفيق والهداية إلى قول الحق، وحض قومهما على القتال والاستجابة لأمر الله، وأيا ما كان المراد، فالحاصل أن الخوف نعمة[(٢)].

٣- الخوف من الله من أهم أسباب النصر والتمكين:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣ - ١٤].

٤- الخوف من الله يحفظ العبد من المعاصي:

قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٢٨].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٤٢).

(٢) «الخوف من الله»، ص [١٣] للدكتور عبد الحميد هنداوي





وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قلما كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك. ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا**»[(١)].

أخي المسلم:

وهذا الخوف، هو المحرك للعبد نحو المعالي.. وهو سلم الصعود إلى رحمة الله ورضوانه.. وهو الوقود الدافع لقيام الليل وصيام النهار وعمل الطاعات واجتناب المحرمات: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**».

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم



(١) حسن: رواه الترمذي [٢٧٨٣]، «الكلم الطيب» (٢٢٥/ ١٦٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» [٤٣٥٤].



العطف على اليتامى

عن سهل قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**»، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئًا(١).

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه، قال: «**أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك يلن قلبك، وتدرك حاجتك**»(٢).

وفي هذه الوصية المباركة، أرشدك الرسول ﷺ إلى الدواء الشافي، والجواب الكافي لعلاج قسوة قلبك، وتعسير أمرك إنه يتمثل في ثلاثة أمور: «**ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك**».. تكن الثمرة: «**يلن قلبك وتدرك حاجتك**».

من هو اليتيم؟

اليتيم في اللغة: هو من مات أبواه أو أحدهما فانفرد عنهما أو عن واحد منهما، فاليتيم في اللغة الانفراد - يقال درة يتيمة أي فريدة في نوعها، ودار يتيمة أي لا يجاورها بيت من أي جهة من جهاتها الأربع. وقيل: معناه الإبطاء، وقد سمى اليتيم يتيمًا؛ لأن البر يبطئ عنه. هذا معنى اليتيم في اللغة.

أما في اصطلاح الفقهاء: فمعناه أخص من هذا المعنى، فاليتيم عندهم هو «**صغير مات أبوه**».

فإذا بلغ زال وصف اليتم عنه وأصبح رجلًا يلي أموره بنفسه ما دام رشيدًا، وقد يسمى بعد البلوغ يتيمًا باعتبار ما كان، لغرض من الأغراض البلاغية كالمبالغة في الحث على دفع ماله إليه عند بلوغه الرشد والتحذير من أكل شيء منه.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٣٠٤].

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٢/١٣٥٤) وقال الشيخ الألباني: «صحيح». انظر: «صحيح الجامع» [٨٠]، و«الصحيحة» [٨٥٤].





كما قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢].

ومن المعلوم أنهم لا يؤتون أموالهم إلا بعد البلوغ وحينئذ يزول عنهم وصف اليتم.

فإن قلت: **لم لم يعتبر الشرع من فقد أمه يتيمًا كالذي فقد أباه؟**

الجواب: لأن الأب هو الذي يعول الصغير ويرعى شئونه ويقوم بتأديبه وتعليمه، وكثيرًا ما يجد ولده فيه العطف والحنان ما يعوضه عن أمه[(١)].

الترغيب في الإحسان إلى اليتامى وكفالتهم:

وردت النصوص الشرعية تحث على كفالة اليتيم والإحسان إليه.. وتبين عظيم الثواب لمن يقوم بذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩].

وقهره: أذاه.. وسبه.. وشتمه.. وضربه.. وتجويفه.. وإهانته، وتكليفه بما يشق عليه.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**»، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما[(٢)].

وعن عمرو بن مالك القشيري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من ضم يتيمًا من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه وجبت له الجنة**»[(٣)].

---

(١) «الفقه الواضح» (٢/ ١٧٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٥٣٠٤].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد(٤/ ٣٤٤)، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» برقم [٥٤٣٧].



وعن زرارة بن أبي أوفى، عن رجل من قومه يقال له «**مالك**» أو «**ابن مالك**» سمع النبي ﷺ يقول: «**من ضم يتيمًا بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة، ومن أدرك والديه أو أحدهما ثم لم يبرهما دخل النار، فأبعده الله، وأيما مسلم أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**»، وأحسبه قال: «**وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر**»(٢).

من أحق بكفالة اليتيم؟

أولى الناس بكفالة اليتيم أقربهم إليه من جهة العصبة،، فإن لم يوجد له قريب من عصبته كفله أقرب الناس إليه من جهة رحمه كجده من أمه، وخاله، فإن لم يوجد له قريب من جهة أمه، أوصى الحاكم به من يقوم بكفالته أو ألحقه بدار من دور رعاية الأيتام المنتشرة في طول البلاد وعرضها.

وقد رغب الإسلام القادرين من أهل البر والصلاح في كفالة اليتامى، والإحسان إليهم، وحفظ أموالهم والعمل على إعدادهم جسميًا، ونفسيًا، وعقليًا حتى يصيروا رجالًا صالحين.

وأباح الله تعالى لأولياء اليتامى أن يخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم رفعًا للحرج ودفعًا للمشقة بشرط أن يكون ذلك بقصد الإصلاح وتوخي العدل في القسمة بقدر الإمكان.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٤٤) بإسناد حسن. وصححه الأرنؤوط في تحقيق «المسند» برقم [٣٥٤٧].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٣٥٤]، ومسلم[٣٥٤٧].



فقال جل شأنه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لما أنزل الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤].

و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠].

انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه فجعل يفضل من طعامه فيحبس له، حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فأنزل الله تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه[(١)].

فقد دلت الآية على جواز التصرف في مال اليتيم بما فيه مصلحته العاجلة أو الآجلة من بيع وشراء وغير ذلك فيجوز لولي اليتيم أن يتجر له في ماله فيجعل لنفسه من الربح بقدر عمله لو اتجر في مال شخص آخر[(٢)].

حكم الأكل من ماله:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في «المعراج»: «**فإذا أنا برجال وقد وكل بهم رجال يفكون لحاهم، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها وتخرج من أدبارهم، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟**».

قال: «**الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا**»[(٣)].

---

(١) «الفقه الواضح» (٢/ ١٨٢). (٢) نفس المرجع (٢/ ١٨٣).

(٣) صحيح: رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٥٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» [٢٣٥٤].



قال السـندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحشر آكل مال اليتيم ظلمًا يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه كل من رآه يعرف أنه آكل مال اليتيم»(١).

قال العلماء: «فكل ولي ليتيم إذا كان فقيرًا فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فسحت حرام؛ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النِّسَاءِ: ٦].

وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال:

أحدها- أنه الأخذ على وجه القرض.

والثاني- الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

والثالث- أنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملًا.

والرابع- أنه الأخذ عند الضرورة فإن أيسر قضاه وإن لم يوسر فهو في حل»، وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزي في تفسيره.

الترهيب من ظلم اليتيم وهضم حقه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [المَاعُون: ١-٢]

فجعـل الله تَعَالَىٰ نهـر اليتيـم وزجره علامة مـن علامات التكذيـب بالدين، وهذه علامة شؤم، وطالع نحس والعياذ بالله.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجتنبوا السبع الموبقات** - أي: المهلكات -».

قالوا: يا رسول الله وما هن؟

(١) «الكبائر» للذهبي [٦٨]، ط: دار الدعوة.

قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[(١)].

أخي المسلم:

وبعد أن ذكرنا فضل الإحسان إلى اليتيم، والترهيب من ظلمه وهضم حقه، وتبين لك الرشد من الغي.. فأي الطريقين تختار؟.

أخي:

كم من أرملة مات «عائلها» وترك لها أولادًا صغارًا.. لا تملك لهم ولا لنفسها قوتًا ولا غذاء!!

كم من أرملة تنام طاوية.. وأطفالها يتضوَّرون جوعًا... ولا تجد يدًا حانية تشبع جوعتهم.. ولا تمسح دمعتهم!!

كم من يتيم.. ينظر إلى آباء أصحابه وكل أب يضع يده في يد ولده ويصطحبه ليشترى له كسوة أو طعامًا.. ولا يجد يدًا رحيمة تمسك بيده!!

يا ترى ما ذنبه؟!.

لماذا قست القلوب؟!.. لماذا جفت أصابع المسلمين عن الخير؟!

لماذا جفت منابع الرحمة؟!.. لماذا مات الحنان؟!

أهذه أخلاق قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر؟!

لماذا لا نحض على طعام المسكين؟!

لماذا لا نكرم اليتيم؟!

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٣٥٤]، ومسلم [٢٤٤٧].






أخي:

أتعلم أن نبيين كريمين «موسى ويوشع عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ» قاما ببناء جدار لغلامين يتيمين؟!! أي فضل بعد هذا الفضل؟!

ألا تريد السير على هذا الطريق الكريم؟!

أخي:

أتعلم أن بيننا «أغنياء» يموتون من كثرة الشبع؟! ويمرضون من الأشر والبطر؟!

حقًّا، ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة.. ويل لهم. أتعلم أن كلاب الأغنياء يتقلبون في النعيم.. وأطفالنا اليتامى يبكون من ظلم المسلمين؟!

كم من طفل يتيم يحتاج لبسمة!!

كم من طفل يتيم يحتاج لرحمة!!

كم من طفل يتيم إذا مرض لا تجد والدته مالًا تشترى به دواء لمرضها ومرضه!!

أيها الناس:

الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

عن عمرو بن حبيب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**خاب عبد وخسر لم يجعل الله تَعَالَىٰ في قلبه رحمة للبشر**»[(١)].

الصالحون وإكرام اليتيم:

كان أبو القاسم الدينوري رَحِمَهُٱللَّهُ ثقة صالحًا، يضرب به المثل في مجاهدة النفس، والتعفف والتقشف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رآه بعضهم وقد اشترى دجاجة

---

(١) حسن: رواه أبو نعيم في «المعرفة» (١/ ٢٥)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» [٣٢٠٥].



وحلـواء فتعجب من ذلـك فاتبعه إلى دار فيه امرأة ولها أيتـام فدفعها إليهم، ولما حضرته الوفاة جعل يقول: «سيدى لهذه الساعة خبأتك»(١).

فيا أخا الإسلام:

يا من تشكو قسوة قلبك.. وتعسير أمرك.. وتبحث عن الدواء.. لا تذهب بعيدًا... فها هو دواؤك بين يديك: امسح على رأس اليتيم.

وارحم يتمه.. وأطعمه من طعامك..

يبرأ سـقمك.. وتشـفى من مرضك.. و«يلن قلبك.. وتدرك حاجتك». وفقنا الله وإياك.



(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٤٣١) للحافظ ابن كثير، ط: دار المعرفة.

بر الوالدين

عن معاوية بن جاهمة السلمي، أن جاهمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إني أردت أن أغزو معك وجئت أستشيرك قال: «**ألك والدة؟**» قال: نعم. قال: «**فاذهب فالزمها، فإن الجنة تحت رجلها**»(١).

وبر الوالدين من أوجب الحقوق على الإنسان بعد حق الله، وحق رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعظم هذا الحق وجلالة قدره عند الله تَعَالَى، قرنه بتوحيده في كتابه العزيز، قال الله تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: يأمر تَعَالَى عباده بعبادته وحده، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من الشرك، ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين، إثر تصدير ما يتعلق بحقوق الله تَعَالَى، التي هي آكد الحقوق وأعظمها، تنبيهًا على جلالة شأن الوالدين(٢).

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي أمر وألزم وأوجب.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وليس هذا قضاء حكم بل هو قضاء أمر، أمر سُبْحَانَهُ بعبادته وتوحيده، وجعل بر الوالدين مقرونًا بذلك، ويكون ذلك ببرهما والإحسان

---

(١) حسن: رواه ابن أبي شيبة [٤١٤٥] وحسنة الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٥٤٧].
وانظر: «حاشية السندي» (٥/ ٤٠٩).

(٢) «محاسن التأويل» (٢/ ٢٩٠) محمد جمال الدين القاسمي ط: مؤسسة التاريخ العربي.

إليهما في حالة الكبر؛ لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره، فلا يقول لهما ما يكون فيه أدنى تبرم، ويكون لينًا لطيفًا رحيمًا متذللا داعيًا لهما، متذكرًا تعبهما في التربية[١].

قضى الله أن لا تعبدوا غيره حتمًا ... فيا ويح شخص غير خالقه أما

ببرهما فالأجر في ذلك والرحما ... وكم منحا وقت احتياجك من نعما

وأمك باتت بثقلك تشتكي ... تواصل مما شقها البؤس والغما

وفي الوضع كم قاست وعند ولادها ... مشقا يذيب الجلد واللحم والعظما

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رغم أنفه**[٢] **رغم أنفه، رغم أنفه**»، قيل: من يا رسول الله؟، قال: «**من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**»[٣].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لرجل استأذنه في الجهاد: «**أحي والداك؟**»، قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»[٤].

بر الأم مقدم على بر الأب:

فالأم فضلت على الأب بثلاثة حقوق؛ لأنها تعرضت لشدائد ثلاث:

الأولى- أنها حملت، **والثانية-** لأنها وضعت، **والثالثة-** لأنها أرضعت، أما الأب فقد حمل ابنه في ظهره نطفة، وليلة أمه ما فكر فيه ولكن فكر في قضاء شهوته.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» [٣٨١٦] للقرطبي ط: النور الإسلامية.

(٢) **الرغام**: هو التراب، **رغم أنفه**: أي لصق بالتراب، والمعنى: ذل وخزى من قصر في برهما عند ذلك، وفاته دخول الجنة.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٥١]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢١]، والترمذي [٣٥٣٩]، وأحمد [٨٥٣٨].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٣٠٠٤]، ومسلم [٢٥٤٩]، وأبو داود [٢٥٣٠]، والترمذي [١٦٧١].

قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تضعف فوق ضعف، ويتزايد ضعفها ويتضاعف؛ لأن الحمل كلما ازداد وعظم، ازدادت ثقلًا وضعفًا(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ **قال**: «**أمك**»، قال ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**»(٢).

وعن المقدام بن معدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»(٣).

لأمك حق لو علمت كبير ... كثيرك يا هذا لديه يسير
وفي ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنَّةٌ وزفير
وفي الوضع لو تدري عليك مشقة ... فكم غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شراب لديك نمير
وكم جاعت وأعطتك قوتها ... حنوا وإشفاقًا وأنت صغير
فضيعتها لما كبرت جهالة ... وطال عليك الأمر وهو قصير
فآه لذي عقل ويتبع الهوى ... وواها لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير

(١) «الكشاف» (٣/ ٤٩٤) للزمخشري، ط: دار الريان.
(٢) صحيح: رواه البخاري [٥٩٧١]، ومسلم [٢٥٤٨].
(٣) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٦٠]، واللفظ له، وابن ماجه [٣٦٦١]، وأحمد [١٧١٢١] وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [١٦٦٦].

بر الوالدين بعد موتهما:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ترفع للميت بعد موته درجة، فيقول: أى رب! أي شيء هذه؟ فيقال: ولدك استغفر لك**»(٢).

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلًا قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أمي توفيت أينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»، قال: «**فإن لي مخرفًا**(٣)، **فأنا أشهدك أني قد تصدقت به عنها**(٤)».

صور من البر:

البر: اسم جامع للخير، وبر الوالدين فريضة لازمة، لا ينكرها إلا المتوغل في النذالة واللآمة، ولن يستطيع الأبناء مهما قدموا مجازاة الآباء والأمهات،على ما قاموا به نحوهم في الطفولة والرجولة، من عطف ورعاية وتربية وعناية، إلا أن يجد الولد الوالد - أو الوالدة - عبدًا مملوكًا فيشتريه بالمال ويعتقه، فبذلك يكون قد أداه حقه.

وإليك أخي الكريم بعض صور البر المباركة:

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بينما ثلاثة نفر يتماشون، أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالًا عملتموها لله**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [١٦٣١]، وأبو داود [٢٨٨٠]، والنسائي [٣٦٥١]، وأحمد [٨٨٣٠].
(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه [٣٦٦٠]، وحسنة الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [١٥٩٨].
(٣) **المخرف**: النخل.
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٢٧٥٦]، وأبو داود [٢٨٨٢]، والترمذي [٦٦٩].



صالحة، فادعوا الله بها، لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رجعت عليهم، فحلبت، بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه قد نأى بي الشجر[(١)]، فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رأسهما، أكره أن أوقظهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون[(٢)] عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم، حتى طلع الفجر، فإذا كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم حتى يروا الشمس...»[(٣)].

من عظم الخطاب، وجلالة المقام، وقوة الجواب، صخرة عاتية زحزحها الله كرامة للوالد والوالدة، وبسبب هذه الصورة المشرقة من صور البر.

وهذا نموذج آخر، وصورة أخرى من صور البر والفضل:

في عام من الأعوام جاء الحجيج ليحجوا إلى بيت الله الحرام، وبين الألوف المؤلفة من الحجيج، حاج من أهل اليمن، يحمل أمه على كتفيه، ويطوف بها حول البيت، لأنها عجوز لا تستطيع السير على قدميها، ورأى هذا الرجل اليمني أن من الواجب عليه أن يكافئ الجميل، فهذه الأم العجوز التي لا تستطيع السير على قدميها، كان في فترة من الفترات جنينًا في بطنها، وطفلًا في أحشائها، حملته ووضعته وأرضعته وقبلته ونظفته، سهرت لينام، وجاعت ليشبع، وظمئت ليروى، وظن هذا الرجل اليمنى أنه كافأها حقًا بحق، قال: أبو بردة بن أبي موسى الأشعري أن عبد الله بن عمر رأى هذا الرجل يطوف بالبيت، وقد حمل أمه وراء ظهره ويقول:

إني لها بعيرها المذلل ... إن أذعرت ركابها لم أذعر

---

(١) **نأى بي الشجر؛ أي:** بعد المرعى.

(٢) **يتضاغون:** يصرخون باكين.

(٣) **صحيح:** رواه البخاري [٢٢١٥]، ومسلم [٢٧٤٣]، وابن حبان [٤٩٧] «موارد».







اللّه ربي ذو الجلال الأكبر

حملتها أكثر مما حملت		فهل ترى جازيتها يا ابن عمر

ثم قال: يا ابن عمر! أتراني جزيتها؟، قال: لا ولا بزفرة واحدة(١).

قال محمد بن سعد: «كان لمعسر بن كدام أم عابدة،فكان يحمل لها لبدًا، ويمشي معها حتى يدخلها المسجد، فيبسط لها اللبد، فتقوم فتصلي، ويتقدم هو إلى مقدم المسجد، فيصلي ثم يقعد، ويجتمع إليه من يريد، فيحدثهم، ثم ينصرف إليها فيحمل لبدها، وينصرف معها»(٢).

وهذا عبد الله بن عوف:

نادته أمه فأجابها، فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتين(٣).

وهذا أبو الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: زين العابدين، كان كثير البر بأمه، حتى قيل له: «إنك من أبر الناس بأمك، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة»، فقال: أخاف أن تسبق يدى إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها(٤).

صور من العقوق:

فكما أن هناك صورًا مشرفة للبر والفضل والخير، فهناك صور رديئة ومشينة، يندى لها الجبين في إيذاء الوالدين، وسبهما وعصيانهما، ومد اليد بالسوء إليهما، ولعنهما

---

(١) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [١١]، وعبد الله بن المبارك [٩٥]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٧٤١]، وصححه الشيخ الألباني في «شرح صحيح الأدب المفرد» برقم [١١].

والزفرة: هو ما تتعرض له المرأة عند الوضع من تردد النفس حتى تختلف الأضلاع.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٥).

(٣) «حلية الأولياء» (٣/ ٣٩).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٢٥).





وغيبتهما، والكذب عليهما، ونهرهما وقهرهما وتوبيخهما، والتأفف منهما، والدعاء عليهما، والتلكؤ في قضاء شؤونهما، كل ذلك عقوق ونكران للجميل، تئن له الفضيلة، وتبكي له المروءة، وتأباه الديانة، ولا يرضى به العاقل، فضلًا عن المتدين، والعجيب أن الله قرن في كتابه الكريم توحيده وعبادته وطاعته المتضمنة لطاعته وطاعة رسوله ﷺ قرن بذلك حق الوالدين، وقرن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الإشراك بالله بعقوق الوالدين، ومما جاء في العقوق، وجرمه وقبحه وإثمه، وأنه من أكبر الكبائر، وأعظم الذنوب، قول النبي ﷺ: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال**»(١).

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند رسول الله فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» - ثلاثًا - قلنا بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس**»، وقال: «**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا: «لا يسكت»، وفي رواية: وحتى قلنا: ليته سكت(٢)».

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من الكبائر شتم الرجل والديه**»، قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟، قال: «**نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه**»(٣).

وهذه بعض الأدلة على تحريم العقوق، والذي يعيش مشاكل الناس يجد صورًا سيئة للعقوق والظلم، والحيف والجور، تدوي في مجتمعاتنا، من شباب قست قلوبهم، وعميت بصائرهم، فما عرفوا حقًا للوالد ولا الوالدة، ذكر أن شابًا كان مكبًا على اللهو

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٩٧٥] من حديث المغيرة بن شعبة.
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٦٩٤]، ومسلم [٨٧]، والترمذي [٢٣٠٢].
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٢٩٧٣]، ومسلم [٩٠]، والترمذي [١٩٠٣]، وأبو داود [٥١٤١].



واللعب، لا يفيق عنه، وكان له والد صاحب دين، كثيرًا ما يعظ هذا الابن، ويقول له يا بني: احذر هفوات الشباب وعثراته، فإن لله سطوات ونقمات، ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألح عليه زاد في العقوق، وجار على أبيه، ولما كان يوم من الأيام ألح على ابنه بالنصح على عادته، فمد الولد يده على أبيه، فحلف الأب مجتهدًا ليأتين بيت الله الحرام، ويتعلق بأستار الكعبة، ويدعو على ولده، فخرج حتى انتهى إلى البيت الحرام، فتعلق بأستار الكعبة، وأنشأ يقول:

يا من إليه أتى الحجج قد قطعوا ... عرض المهامة من قرب ومن بعد
إني أتيتك يا من لا يخيب من ... يدعوه مبتهلًا بالواحد الصمد
هذى منازل لا يرتد من عقيقى ... فخذ بحقي يا رحمان من ولدى
وشل منه بحول منك جانبه ... يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قيل: إنه ما استتم كلامه حتى يبس شق ولده الأيمن، نعوذ بالله من العقوق(١).

وروى: أن شابًا قام على خدمة أبيه زمنًا طويلًا، حتى تقدم به السن فمل منه وسئم، فأخذه يومًا على ظهر دابة، وخرج به إلى الصحراء، فقال: يا بني إلى أين تذهب بي؟، قال: يا أبتاه لقد أتعبتني، وأسأمتني، ولابد من ذبحك.

قال: يا بني أهكذا جزاء الإحسان؟، قال: لابد من ذبحك. قال: يا بني إن كان ولابد، فاذبحني عند تلك الصخرة هناك، قال: يا أبتاه ما يفيدك أن أذبحك هنا أو هناك، قال: يا بني اذبحني عند تلك الصخرة، فقد ذبحت أبي عندها، ولك يا بني مثلها، والجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحدًا(٢) فهذه صورة أخرى من صور العقوق والظلم والجور.

(١) «موارد الظمآن» (٢/ ٤٣٥) عبد العزيز المحمد السلمان، ط: البحوث العلمية والإفتاء.
(٢) «وبالوالدين إحسانًا»، ص: [١٠٥] للشيخ: سعيد عبد العظيم، ط: دار العقيدة.



فيا أيها المضيع لأوكد الحقوق، المعتاض عن بر الوالدين بالعقوق، الناسي لما يجب عليه، الغافل عما بين يديه، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه باتباع الشين[(١)]، تطلب الجنة بزعمك، وهي تحت أقدام أمك، حملتك في بطنها تسعة أشهر، كأنها تسع حجج[(٢)]، وكابدت عند وضعك ما يذيب المهج[(٣)] وأرضعتك من ثديها لبنًا، وأطارت لأجلك وسنًا[(٤)]، وغسلت بيمينها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذا، وصيرت لك حجرها مهدًا، وأنالتك إحسانًا ورفدًا[(٥)].

فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها، لآثرت حياتك بأعلى صوتها، هذا وقد عاملتها بسوء الخلق مرارًا، فدعت لك بالتوفيق سرًا وجهارًا، فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك، فشبعت وهي جائعة، ورويت وهي ضائعة، وقدمت عليها أهلك ومالك في الإحسان، وقابلت أياديها بالنسيان، وصعب عليك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير، وهجرتها ومالها بعد الله سواك نصير، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف، ستعاقب في دنياك بعقوق البنين، وفي أخراك بالبعد عن رب العالمين ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠][(٦)].

غذوتك مولودا وعلتك يافعا	تعل بما أدنى إليك وتنهل
إذا ليلة نابتك بالسقم لم أبت	لذكرك إلا ساهرًا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي	طرقت به دوني وعيني تهمل

---

(١) **الشين**: العيب والقبح.
(٢) **حجج**: سنين.
(٣) **المهج**: الروح.
(٤) **وسنًا**: أخذ في النعاس.
(٥) **الرفد**: العطاء والصلة.
(٦) «الكبائر»، ص: [٤٦] للإمام شمس الدين الذهبي، ط: المكتبة التجارية.

تخاف الردى نفسي عليك وإنها ... لتعلم أن الموت حتم مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

جعلت جزائي منك غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل

وسميتني باسم المفند رأيه ... وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل

تراه معرا للخلاف كأنه ... برد على أهل الصواب موكل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

فأوليتني حق الجوار ولم تكن ... على بمالي دون مالك تبخل



صلة الرحم

عن أبي أيوب قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: دُلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة ويباعدني من النار. قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل ذا رحمك**»، فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: «**إن تمسك بما أمر به دخل الجنة**»(١).

فإن صلة الرحم موجبة لرضا الرب عن العبد في الدنيا، وموجبة لثوابه في الآخرة، وأنها سبب لبسط الرزق وتوسيعه، وسبب البركة في العمر، وهذه الأشياء محببة إلى العبد.

وهذه الرحم التي يتراحم بها الأقرباء هي خلق من خلق الله تَعَالَى، قال ﷺ: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك**». ثم قال ﷺ: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٢٢-٢٣](٢)، ففي هذا الحديث الشريف بين ﷺ أن الرحم تتعلق بالعرش الكريم، وتشتكي إلى الله الأرحام المهجورة والمقطوعة، وصلة الرحم واجبة، من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النِّسَاء: ١].

قال الضحاك: أي اتقوا الله الذي تعاقدون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم [١٣].

(٢) صحيح: رواه البخاري [٤٨٣٠]، ومسلم [٢٥٥٤] من حديث أبي هريرة.

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤٥٩) للحافظ ابن كثير، ط: دار المعرفة.





والرحم نوعان: رحم عامة، ورحم خاصة

فالرحم العامة: هي رحم الدين، ويجب صلتها بملازمة الإيمان، والمحبة لأهله، ونصرتهم، وترك مضارهم، والعدل بينهم، والنصفة في معاملتهم، والقيام بحقوقهم الواجبة، والمستحبة، كتمريض المرضى، وتغسيل الموتى، وغير ذلك من الحقوق المترتبة عليهم.

والرحم الخاصة: هي القرابة القريبة للرجل من جهة أبيه وأمه، وهم المعنيون بقول الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة، كالنفقة عليهم وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب، وأقربهم الآباء والأمهات،والأجداد وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم، ولذلك قال ﷺ لما سئل عن أحق الناس بحسن المصاحبة؟، قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال ثم من؟ قال: «**أمك**». قال ثم من؟قال: «**أبوك**»[(١)]، وعن المقداد بن معدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»[(٢)].

صلة الرحم واجبة وإن قاطعوك

حتى يكون الرجل ناجحًا في صلة أرحامه، ينبغي أن يصل رحمه وإن قطعه أقرباؤه.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٩٧١]، ومسلم [٢٥٤٨].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود [٥١٣٩]، والترمذي [١٨٩٧]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٣]، وأحمد [١٧١٢١]، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» [١٦٦٦].



فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**»(١).

بأي شيء يصل الإنسان رحمه؟

حتى يتحقق للرجل النجاح في صلة أرحامه، ينبغي عليه أن يكثر من زيارتهم، والإهداء إليهم، والسؤال عنهم،وتفقد أحوالهم، والتصدق على فقيرهم، والتلطف مع غنيهم، واحترام كبيرهم، وتكون كذلك باستضافتهم، وحسن استقبالهم، ومشاركتهم في أفراحهم، وإجابة دعوتهم، وعيادة مرضاهم ومواساتهم في أحزانهم، كما تكون بالدعاء لهم، وسلامة الصدر نحوهم، كما تكون بدعوتهم إلى الهدى، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة تكون بالخدمة، وتارة تكون بالزيارة والسلام، وغير ذلك»(٢).

وقال ابن أبي حمزة: «صلة الرحم تكون بالمال، وبالعون عند الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء، والمعنى الجامع لذلك: إيصال ما أمكن من الخير، وقطع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة»(٣).

وقال البلباني: «المراد بصلة الرحم موالاتهم، ومحبتهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم، وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم، والاجتهاد في إيصال كفايتهم بطيب نفس عند فقرهم، والإسراع إلى مساعدتهم، ومعاونتهم عند حاجتهم، ومراعاة جبر

---

(١) صحيح: رواه البخاري [٥٩٩١]، وأبو داود [١٦٩٧]، والترمذي [١٩٠٨].
(٢) «أحب الأعمال إلى الله»، ص: [٢٩].
(٣) المصدر السابق (ص: ٣٠).





قلوبهـم، مع التعطف والتلطف بهـم، وتقديمهم في إجابة دعوتهـم، والتواضع معهم في غناه وفقرهم»[(١)].

فوائد وثمرات صلة الأرحام:

إن لصلـة الرحم فوائد جمة، وثمرات محققة، ونتائج حسـنة في حياة المسـلم، وبعد وفاته، وإليك أخي الكريم بعض فوائد وثمرات صلة الرحم:

١- صلة الرحم من الإيمان بالله:

فالإيـمان بضع وسـبعون شـعبة، أعلاهـا لا إلـه إلا الله، كلمـة التوحيـد، وأدناها - وليس فيها دني - إماطة الأذى عن الطريق، وصلة الرحم من الإيمان بالله.

فعـن أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قـال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مـن كان يؤمن بالله واليـوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[(٢)].

٢- صلة الرحم سبب في زيادة الرزق والبركة في العمر:

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أحب أن يبسـط له في رزقه وينسأله في أثره، فليصل رحمه**»[(٣)].

فانظر - أخي الكريم - كيف رتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صلة الرحم أمرين محققين، وهما بسـط الرزق وتوسـيعه، والإنساء في الأثر، وجعل الجزاء من جنس العمل، فكما أن الإنسـان وصل رحمه بالبر والإحسـان، وأدخل عـلى قلوبهم السرور، وصـل الله عمره، وبسـط رزقه ووسـعه، وفتح له أبواب الخير والرزق ما لم يخطر له على بال، وبارك له فيه،

---

(١) المصدر السابق (ص: ٣٠).
(٢) صحيح: رواه البخاري [٦١٣٨].
(٣) صحيح: رواه البخاري [٢٥٥٧]، ومسلم [٢٠٦٧]، وأحمد [١٣٥١٩].





فكم من إنسان وهبه الله قوة في جسمه، ورزانة في عقله، ومضاء في عزيمته، وبركة في علمه وعمله، فكانت حياته حافلة ومليئة بالأعمال الجليلة، فهذه حياة ناجحة وطويلة، وإن كانت في الحساب قصيرة؛ لأن المقياس الحقيقي للحياة المباركة بجلائل الأعمال، وكثرة الآثار، وليس بالشهور والأعوام.

وصدق من قال:

فتى عاش أعمالا جسامًا وإنما   تقدر أعمار الرجال بأعمال

٣- صلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله:

فعن رجل من خثعم قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في رجل من أصحابه فقلت: أنت تزعم أنك رسول؟، قال: «**نعم**»، قال: قلت يا رسول الله: أي الأعمال أحب إلى الله. قال: «**الإيمان بالله**». قال: قلت يا رسول الله ثم مه؟ قال: «**ثم صلة الرحم**»، قال: قلت يا رسول الله ثم مه؟ قال: «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**».

قال: قلت يا رسول الله: أي الأعمال أبغض إلى الله؟، قال: «**الإشراك بالله**»، قال: قلت يا رسول الله ثم مه؟ قال: «**ثم قطيعة الرحم**»، قال: قلت يا رسول الله ثم مه؟، قال: «**ثم الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف**»[(١)].

٤- صلة الرحم سبب لمغفرة الذنوب:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: إني أذنبت ذنبًا عظيمًا، فهل لي من توبة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**هل لك من أم؟**» قال: لا. قال: «**فهل لك من خالة؟**»، فقال: نعم. قال: «**فبرها**»[(٢)].

---

(١) حسن: رواه أبو يعلى في مسنده [٦٨٣٩]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٦٦].
(٢) صحيح: رواه البخاري [١٨٤٤]، والترمذي [١٩٠٤]، وأحمد [٢٩٨٤].







٥- صلة الرحم والتصدق عليهم تضاعف الثواب:

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

[آل عمران: ٩٢]

قام أبو طلحة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي إلى بيرحاء، وإنها صدقة لله. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بخ**(١) **وذلك مال رابح**»، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه(٢).

حتى إنك - أخي الكريم - لو ابتليت بقريب يضمر لك العداوة، ويظهر البغضاء، مع فقره وشدة حاجته، فهو أولى بصدقتك؟ وإن عصى الله فيك، فأطع الله فيه، فنحن أمرنا أن نتقى الله فيمن لم يتق الله فينا، فإذا تصدقت عليه وهو بهذه الحالة فإن الله يضاعف لك الثواب والأجر إن شاء الله تَعَالَىٰ، ولعل صدقتك له، وإحسانك إليه يكونان سببًا في زوال عداوته عليك، ودوام محبته لك.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

[فصلت: ٣٤]

فعلينا أن نعتني ونهتم بصلة الأرحام، فإن ذلك فيه نجاحنا وفلاحنا في الدنيا والآخرة.

---

(١) **كلمة بخ**: تقال عند تفخيم الأمر، وتعظيمه في الخير.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [١٤١٦]، ومسلم [٨٩٨].







طلب العلم(١)

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**»(٢).

لقد حث الإسلام على التعليم وطلب العلم، وجعله فريضة على كل مسلم، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(٣).

وقد بين الله عَزَّ وَجَلَّ أن من نعمه العظيمة على الإنسان، ومن كمال كرمه تعالى عليه، أنه علمه ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، ونقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم، فالعلم نور وحياة، والجهل ظلام وموت، والعلم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء البدن، ولا يحتاج العلم لتعريفه؛ لأنه أبين من أن يبين، وأوضح من أن يوضح، وطلب العلم يبدأ منذ الصغر، ويستمر حتى الممات، وخلاف ذلك فإن المتعلم مأمور بأن يدعو الله ليزيده علمًا؛ لأن العلم لا ينتهي، وقد بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العلم ما لا يمكن لغيره من البشر أن يصل إليه، فقد أمره الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وليس في القرآن كله أمر بالدعاء بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، وهذا واضح الدلالة في فضل العلم، والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يتلقاه المتعلم على

---

(١) صحيح: رواه أبو داود [١٣٠٨]، والترمذي [٢٦٤٦] وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٦٧).

(٢) راجع: «إحياء علوم الدين» (١/ ٧ – ٤٨) للغزالي، ط: دار الفكر، و«فتح الباري» (١/ ٥٩ – ١٦٦) للحافظ ابن حجر، ط: الريان، و«الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٢٧) للإمام القرطبي (٤/ ٢٧)، ط: المنار، و«فيض القدير» (٤/ ٢٦٣) للمناوي، ط: المكتبة العربية.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه [٢٢٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٩١٣]، و«المشكاة» برقم [٢١٨].





أيدي العلماء، وليس هناك أدنى شك في أن هذا العلم من أشرف العلوم التي يتعلمها الإنسان في حياته، ومن أعظمها على الإطلاق، ثم بعد ذلك يأتي العلم الدنيوي الذي يتلقاه الإنسان في المدارس، بدءًا من سنوات عمره الأولى مرورًا بمرحلة الابتدائية، ثم الإعدادية، ثم الثانوية، ثم الجامعية، ثم الدراسات العليا التي يحصل فيها المتعلم على شهادة «الماجيستير» ثم «الدكتوراه».

ولا شك أن حرص المسلم على طلب العلم الشرعي والمواظبة على ذلك، يدل على أن الله عَزَّوَجَلَّ أراد به خيرًا؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١)، فهذا بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم، ويفهم من الحديث أن من لم يتفقه في الدين فقد حرم الخير.

ومهما تعلم الإنسان ووصل إلى أعلى الدرجات في العلم يظل هناك من يفوقه في العلم؛ مصداقًا لقول الله تَعَالَى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]

بل لم يؤت من العلم إلا القليل، قال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]

فضل العلم:

إن الخاصية التي يتميز بها الإنسان عن كثير من المخلوقات هي العلم، فالإنسان إنسان بما يحمله من علم فيكون شريفًا لأجله، وليس ذلك بقوة شخصه أو عظمته أو شجاعته أو كثرة أكله أو جماعه، فالجمل أقوى منه، والفيل أعظم منه، والأسد أشجع منه، والثور أوسع بطنًا منه، وأصغر العصافير أقوى على السفاد(٢) منه، بل لم يخلق الإنسان إلا

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٧١] من حديث حميد بن عبد الرحمن.
(٢) **السفاد**: نزو الذكر على الأنثى.



للعلم، وإن فضل العلم الشرعي عظيم جدًا، وأكبر من أن يبين بكلمات، ويكفي أن الله تَعَالَىٰ يرفع المؤمن على غيره درجات بحسب ما تعلمه من علم، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

أي يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم، ورفعه الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب، وبه ترتفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا: بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة: بعلو المنزلة في الجنة.

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

فانظر كيف بدأ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنفسه، وثنى بالملائكة، وثلث بأهل العلم، ففي هذه الآية دليل على شرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء، ولو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تَعَالَىٰ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسأله المزيد منه، كما أمر أن يستزيده من العلم، وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(١).

فالملائكة تنظر لطالب العلم بعين البهاء والجلال، فتعظمه وتوقره، وتفعل له نحوًا مما يفعل مع الأنبياء؛ لأن العلماء ورثتهم، وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السماوات والأرض والحيتان في البحر بالاستغفار له؟!.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود [٣٦٤١]، والترمذي [٢٦٨٢]، وابن ماجه [٢٢٣]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٣٣).





وطالب العلم بين الجهال بمنزلة الحي بين الأموات، وإن أجر طالب العلم وثوابه لعظيم وكبير.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خير سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بين العلم والمال والملك، فاختار العلم، فأعطى المال والملك معه.

وإذا كان طالب العلم - سواء أكان العلم الشرعي الديني أم أحد العلوم الدنيوية المباحة - حريصًا على النجاح في اكتساب العلم، والاستفادة منه، فيما يعود عليه بالنفع في دنياه وآخرته، فلابد من الالتزام والعلم بالشروط والآداب المطلوبة منه في هذا المجال، حتى يتحقق ما يصبو إليه، ويكون له الأجر في ذلك، فضلًا من الله ونعمة، فوق ما سوف ينتفعه من علمه من المنافع الدنيوية.

وإليك أخي الكريم
بعض الآداب المتعلقة بطلب العلم

أولًا- القصد بالعلم وجه الله تَعَالَى:

إن أول وأهم آداب وشرط النجاح في طلب العلم، أن يقصد به وجه الله تَعَالَى، مثل ما هو مطلوب في كل عبادة، وأن يكون قصده في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة، وفي المآل القرب من الله سُبْحَانَهُ والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة المقربين، فإذا قصد به ذلك كتب الله له الأجر والثواب في كل خطوة يمشيها في طلب العلم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الله**»[(١)].

(١) صحيح: رواه أبو داود [١٣٠٨]، والترمذي [٢٦٤٦]، وابن ماجه [٢٢٥]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٦٧).





حتى الدراسة والعلم الدنيوي المباح إذا قصد به وجه الله فإن له به أجرًا ونفعًا ورفعة لا محالة، كأن يتعلم الطب ليداوي المسلمين، ويكفيهم عن الحاجة إلى الأطباء غير المسلمين، أو يتعلم السياسة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامة دولة الإسلام، وهكذا بالنسبة لكل علم من العلوم الأخرى المباحة والمفيدة للبشرية، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

أما إذا قصد بطلب العلم غير وجه الله تَعَالَىٰ، مثل أن يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران، فعاقبة ذلك سيئة جدًا، وتعد فشلًا ذريعًا، وأي فشل أعظم من أن يكون نصيبه الحرمان من الجنة، ودخوله النار؟!، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله** عَزَّ وَجَلَّ، **لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»(١) يعني - ريحها - وهذا يشمل من يتعلم الطب أو الهندسة أو السياسة أو غير ذلك من العلوم ليتباهى بذلك، ويتعالى على الناس، ويتطاول عليهم.

ثانيًا- تطهير النفس:

إن الصلاة التي هي من أعمال البدن لا تصح إلا بتطهير البدن عن الأحداث والأخباث بواسطة الغسل والوضوء، وكذلك العلم هو من أعمال الباطن لا يصح عمارة القلب به إلا بعد طهارته من الأخلاق الخبيثة والأوصاف النجسة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، فالمشرك قد يكون نظيف البدن والثياب، حسن الهيئة والشكل، ومع ذلك فهو نجس، أي باطنه ملطخ بالخبائث، فنجاسة الباطن عبارة عما يجتنب ويطلب البعد عنه من الأخلاق الرديئة، والأوصاف الذميمة، مثل الغضب

(١) صحيح: رواه أبو داود [٣٦٦٤]، وابن ماجه [٢٥٢]، وصححه الشيخ الألباني. وانظر: «اقتضاء العلم» رقم [١٠٢].



والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب، وغير ذلك من النجاسات التي تعيق أو تمنع عمارة القلب بالعلم.

وكذلك على المتعلم أن يجتنب المعاصي، حتى يستفيد مما يتعلمه من حيث كونه عملًا لله تَعَالَىٰ إذا قصد به التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فالمعاصي تنكت في القلب نكتًا سوداء إلى أن يعلوه الران، فلا يستفيد من علم، ولا يثبت فيه صلاح، ويضعف فهمه وحفظه، قال علي بن خشرم: سمعت وكيع بن الجراح يقول: استعينوا على الحفظ بترك المعصية.

وكان وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية من آيات الله في الحفظ، حتى قال فياض بن زهير: ما رأينا بيد وكيع كتابًا قط، كان يقرأ كتبه من حفظه.

ثالثًا- التواضع وعدم التكبر:

قال عمر: تفقهوا قبل أن تسودوا. قال أبو عبد الله «البخاري»: وبعد أن تسودوا، وقد تعلم أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في كبر سنهم، فقد تكون السيادة والمناصب سببًا في الانصراف عن التعليم؛ لأن الرئيس قد يمنعه الكبر والاحتشام أن يجلس مجلس المتعلمين، ولهذا قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عيب القضاء: إن القاضي إذا عزل لا يرجع إلى مجلسه الذي كان يتعلم فيه.

وقال الشافعي: إذا تصدر الحدث فاته علم كثير. قال أبو عبيد: معناه تفقهوا وأنتم صغارٌ، قبل أن تصيروا سادة، فتمنعكم الأنفة عن الأخذ عمن هو دونكم فتبقوا جهالًا.

ولهذا كان على الإنسان أن يستغل صغره وشبابه في اكتساب العلم، قبل أن يتبوأ منصبًا من المناصب التي يمكن أن تكون سببًا في منعه من طلب العلم وثني الركب عند العلماء والمعلمين.

فمن شروط النجاح في اكتساب العلم وآدابه أن لا يتكبر على العلم ولا على المعلم، ولا يتأمر على معلم، بل يلقى إليه زمام أمره، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، وينبغي أن يتواضع لمعلمه، ويطلب الثواب والشرف بخدمته، قال الشعبي: صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال ابن عباس: هكذا نفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا نفعل بأهل بيت نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قٓ:٣٧].

وهذه بعض الآداب التي ينبغي على المتعلم أن يأخذها في اعتباره، ويعمل بها تواضعًا للعلم والمعلم، قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن من حق المعلم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته بالجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشى له سرًا، ولا تغتابن أحدًا عنده، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله تَعَالَى، ما دام يحفظ أمر الله تَعَالَى، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته.

ومن موانع التعليم التي ينبغي للمتعلم أن يجتنبها أيضًا: الحياء.

قال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحى ولا مستكبر.

وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.

وعن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ قال

النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا رأت الماء**»، فغطت أم سلمة - يعني وجهها - وقالت: يا رسول الله، أو تحتلم المرأة؟ قال: «**نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها؟**»(١).

فالحياء من الإيمان، وهو الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر، وهو محمود، وأما ما يقع سببًا لترك أمر شرعي فهو مذموم، وليس هو بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة، فعلى المتعلم أن يترك العجز والتكبر؛ لما يؤثر كل منهما من النقص في التعليم.

رابعًا- العلم قبل القول والعمل:

لابد لمن يريد النجاح في التعليم، أن يعلم بأن العلم يكون قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

فبدأ بالعلم ثم العمل، وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها، ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذًا أفضل الأعمال.

خامسًا- التدرج بالعلم:

إن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا، وبعضها طريق إلى بعض، وهذا ما نشهده من ترتيب المراحل الدراسية والصفوف، ابتداء من الصف الأول الابتدائي وما بعده حتى المرحلة الجامعية، وهكذا يكون أي فن من فنون العلم، ومن جملتها العلوم الشرعية، فعلى طالب العلم الشرعي أن يراعي الترتيب، ويبتدئ بالأهم فالمهم، والموفق من راعي ذلك الترتيب والتدرج.

---

(١) صحيح: رواه البخاري [١٣٠].





سادسًا- العمل بالعلم:

إن أحد أهم وسائل النجاح في اكتساب العلم هو العمل بما يتعلمه الإنسان لكي ينتفع به في دينه ودنياه وآخرته، وقد كان رسول الله ﷺ يتعوذ من العلم الذي لا ينفع، ويدعو الله تَعَالَى بأن ينفعه بما يعلمه ربه تَعَالَى، فعن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**»(١).

قال الحسن: «إن الرجل ليصيب الباب من العلم فيعمل به فيكون خيرًا له في الدنيا وما فيها لو كانت له فجعلها في الآخرة»، وقال: «كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يري ذلك في بصره وتخشعه ولسانه ويده وصلته وزهده».

وقد قال الله تَعَالَى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٩].

أي: إن الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه، ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم.

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقًا فيباهي بعضهم بعضًا، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله.

فيجب على المعلم أن يكون عاملًا بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد، وكل من أكل أو شرب شيئًا وقال للناس لا تأكلوه ولا تشربوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه، وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون: لو لا أنه طيب ولذيذ لما كان يستأثر به، ولذلك قيل في المعنى:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٧٢٢].






لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البَقَرَة: ٤٤].

ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل، إذ يزل بزلته ناس كثيرون ويقتدون به، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

قال أبو الدرداء: لا تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولا تكون بالعلم عالمًا حتى تكون به عاملًا.

وقال أبو حاتم: العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصده العمل به، لأنه من سعى فيه لغير ما وصفنا ازداد فخرًا وتجبرًا، وللعمل تركًا وتضييعًا، فيكون فساده في المتأسين به فيه أكثر من فساده في نفسه، وقال مالك بن دينار: إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سره علمه.

وأختم هذا الباب بهذه القصيدة النافعة في طلب العلم.

يا تاركا لمراضي الله أوطانًا	وسالكًا في طريق العلم أحزانًا
فالعلم أفضل مطلوب وطالبه	من أكمل الناس ميزانًا ورجحانا
والعلم نور فكن بالعلم معتصما	إن رمت فوزًا لدى الرحمن مولانا
وهو النجاة وفيه الخير أجمعه	والجاهلون أخف الناس ميزانًا
والعلم يرفع بيتًا كان منخفضًا	والجهل يخفضه لوكان ما كانا
وأرفع الناس أهل العلم منزلة	وأوضع الناس من قد كان حيرانًا
لا يهتدي لطريق الحق من عمه	بل كان بالجهل ممن نال خسرانًا
تلقاه بين الورى بالجهل منكسرًا	لا يدر ما زانه في الناس أو شانا
والعلم يرفعه فوق الورى درجًا	والناس تعرفه بالفضل إذعانا






وطالب العلم إن يظفر ببغيته ... ينال بالعلم غفرانًا ورضوانًا

فاطلبه مجتهدًا ما عشت محتسبًا ... لا تبتغي بدلاً إن كنت يقظانا

من ناله نال في الدارين منزلة ... أو فاته نال خسرانًا ونقصانا

وباذل الجد في تحصيله زمنًا ... ولم يكن نال بعد الجد عرفانا

فلن يضيع له سعي ولا عمل ... عند الإله ولا يوليه خسرانًا

فطالب العلم إن أصفى سريرته ... ينال من ربنا عفوًا ورضونًا

فالعلم يرفعه في الخلد منزلة ... فضلًا وجودًا وتكريمًا وإحسانًا

والله يوليه ألطافًا ومغفرة ... ورحمة منه إحسانًا ورضوانًا[1]



(١) «موارد الظمآن» (١/ ٩٧ - ٩٨) للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان الطبعة الثامنة عشرة، طبعة وقفية.







الإيمان والعمل الصالح

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النِّسَاء: ١٢٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**». قالوا يا رسول الله أفلا نُنبِّئ الناس بذلك.

قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»(١).

الإِيمان في اللغة معناه: التصديق.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: مخبرًا عن قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يُوسُف: ١٧].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: **أي:** أنك لا تصدقنا(٢).

والإِيمان في الشرع: هو الإِيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٧٤٢٣].

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٢/ ٥٠٤) للعلامة/ السعدي، ط. دار المدني.





قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهذا ما أجاب به الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل لما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: «يا محمد أخبرني عن الإسلام». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله** صلى الله عليه وسلم، **وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا**». قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: «**فأخبرني عن الإيمان**». قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**». قال: صدقت. قال «**فأخبرني عن الإحسان**». قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «**أن تلد الأمة رَبَّتَها، وأن ترى الحفاة العراة، العالة رعاء الشاة، يتطاولون في البنيان**»





قال: ثم انطلق. فلبثت مليًّا، ثم قال لي: «**يا عمر أتدري من السائل؟**»، قلت الله ورسوله أعلم. قال: «**فإِنه جبريل. أتاكم يعلمكم دينكم**»(١).

فهذا الحديث حديث عظيم في مقام النبوة وتعلم الدين، فهو فهرس الإِسلام، إِذا صح القول، فقد قسم ﷺ فيه الدين إِلى ثلاث درجات: أعلاها الإِحسان، وأوسطها الإِيمان، ثم الإِسلام، فجعل هناك فرقًا بين مسمى الإِسلام، ومسمى الإِيمان، ومسمى الإِحسان، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسنًا، ولا كل مسلم مؤمنًا، فالإِحسان يدخل فيه الإِيمان، والإِيمان يدخل فيه الإِسلام، فالمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين.

فإِذا صلح القلب بالإِيمان، صلح الجسد بالإِسلام، لذلك قال ﷺ في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم، وقال ﷺ: «**ألا وإِن في الجسد مضغة، إِذا صلحت صلح الجسد كله، وإِذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(٢).

فالإِسلام: هو الأعمال الظاهرة، كالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج؛ لقول النَّبي ﷺ: «**بني الإِسلام على خمس: شهادة أن لا إِله إِلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإِقام الصلاة، وإِيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**»(٣).

والإِيمان: هو الإِيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٥٠]، ومسلم [٨]، واللفظ له، وأبو داود [٤٦٩٥]، والترمذي [٢٦١٠]، والنسائي [٤٩٩٠]، وابن ماجه [٦٣].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري [٥٢]، ومسلم [١٥٩٩]، وأحمد [١٨٢٨٧].

(٣) **صحيح:** رواه البخاري [٨]، ومسلم [١٦]، والترمذي [٢٦٠٩]، والنسائي [٥٠٠١].



والإِيمان: تارة يذكر في القرآن والسُّنَّة مُجردًا، وتارة يقرن بالإِسلام، وتارة يقرن بالعمل الصالح.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٧].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفَال: ١ - ٢].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزَاب: ٣٥].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجرَات: ١٤]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الإِيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إِماطة الأذى عن الطريق**»(١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده، والناس أجمعين**»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال سمعت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإِن لم يستطع فبلسانه، فإِن لم يستطع فبقلبه، وذلك**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٩]، ومسلم [٣٥]، واللفظ له، والنسائي [٥٠٠٤]، وابن ماجه [٥٧].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [١٥]، ومسلم [٤٤]، والنسائي [٥٠١٣]، وابن ماجه [٦٧].



أضعف الإيمان»[(١)]، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[(٢)].

والإِيمان: هو اعتقاد وقول وعمل، اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وقد يكون هذا الإِيمان فرائض، وشرائع، وحدودًا، وسننًا، فمن استكملها فقد استكمل الإِيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإِيمان.

وهذا الإِيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال شيخ الإِسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: المأثور عن أصحابنا وأئمة التابعين، وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب لأهل السُّنَّة والجماعة أن الإِيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[(٣)].

وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإِجماعهم، أن الإِيمان، قول وعمل، ويزيد وينقص، وإِذا كان ينقص بالفتور عن الذكر، فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب أولى[(٤)].

ويدلل على ذلك قول الله تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٤٩]، والترمذي [٢١٧٢]، والنسائي [٥٠٠٩].
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [١٣]، واللفظ له، ومسلم [٤٥]، والترمذي [٢٥١٥]، والنسائي [١١٥]، وابن ماجه [٦٦].
(٣) مجموع فتاوي شيخ الإِسلام (٧/ ٥٠٥) ط. دار الرحمة.
(٤) «معارج القبول» (٤/ ١٠٣) الشيخ حافظ أحمد حكمي ط. مركز الهدى للدراسات.



وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر: ٣١].

وعن حنظلة الأسدي وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت؟ يا حنظلة! قال قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله! ما تقول؟، قال قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا.

قال، أبو بكر: ! فوالله! إنا لنلقي مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وما ذاك**»؟، قلت: يا رسول الله! نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات. نسينا كثيرًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بيده! لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**»(١) ثلاث مرات.



(١) صحيح: رواه مسلم [٢٧٥٠]، والترمذي [٢٥١٤]، وابن ماجه [٤٢٣٩]، وأحمد [١٧٨١٤]، والطبراني في «الكبير» [٣٤٩٠]، والبيهقي في «الشعب» [١٠٢٨].







تفاضل أهل الإيمان

فأهل الإِيمان يتفاضلون ويتفاوتون في مراتب الإِيمان في قلوبهم، وفي أعمال الإِيمان الظاهرة، والله قسمهم بمقتضى حكمته، وجعلهم في ذلك مراتب ودرجات.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فَاطِر: ٣٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الظالم لنفسه وهو المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، والمقتصد هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، والسابق بالخيرات هو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات(١).

وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قسم الله تَعَالَىٰ الناجين منهم إِلى مقتصدين، وهم الأبرار أصحاب اليمين، الذين اقتصروا على التزام الواجبات، واجتناب المحرمات، فلم يزيدوا على ذلك، ولم ينقصوا منه.

وإلى سابق بالخيرات: وهم المقربون الذين تقربوا بالنوافل بعد الفرائض وتركوا ما لا بأس به خوفًا مما به بأس، وما زالوا يتقربون إِلى الله تَعَالَىٰ بذلك، حتى كان سمعهم الذي يسمعون به، وبصرهم الذي يبصرون به، فبه يسمعون، وبه يبصرون، وبه يبطشون، وبه يمشون، وبه يمشون، وبه ينطقون، وبه يفعلون(٢).

ويدلل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بينا أنا نائم، رأيت الناس يعرضون عليَّ وعليهم قمص، منها**

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥٦٢) للحافظ ابن كثير ط: دار المعرفة.
(٢) «معارج القبول» (٤/ ١٠٤) للشيخ حافظ بن أحمد حكمي، ط: مركز الهدى للدراسات.





ما بلغ الثَّدْيَ، ومنها ما بلغ دون ذلك، وعرض على عمر بن الخطاب، عليه قميص يجره»، قال: فماذا أولت ذلك يا رسول الله؟، قال: «**الدين**»(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(٢).

العمل الصالح:

قال القاسمي: من عادة التنزيل العزيز أنه لا يذكر فيه آية في الوعيد إلا ويتلوها آية في الوعد وذلك لفوائد؛ منها: ليظهر بذلك عدله سُبْحَانَهُ. لأنه لما حكم بالعذاب الدائم على المصرّين على الكفر، وجب أن يحكم بالنعيم الدائم على المصرّين على الإيمان؛ ومنها: أن المؤمن لابد وأن يعتدل خوفه ورجاؤه، وذلك الاعتدال لا يحصل إلا بهذا الطريق؛ ومنها: أنه يظهر بوعده كمال رحمته، وبوعيده كمال حكمته، فيصير ذلك سببًا للعرفان هذا والله أعلم وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

مسعد حسين محمد

عضو اتحاد الكُتّاب المسلمين

ومؤلف برابطة العالم الإسلامي برقم (ج/ ٧٤٥)

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٦٩١]، ومسلم [٢٣٩٠]، واللفظ له، والنسائي [٥٠١١].

(٢) **صحيح**: سبق تخرجه.





فهرس




تم بحمد الله




شبكة الألوكة
www.alukah.net